مجمع السيدة رقية (عليها السلام)

قال الله
تبارك وتعالى

﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ
أُمَّةً وَٰحِدَةً
وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ
فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾

[الأنبياء]

ارتقاء

مجلة فصلية ثقافية
تعنى بالعلوم الإسلامية و الإنسانية
تصدر عن مجمع السيدة رقية (عليها السلام)
للدراسات العربية و الإسلامية

المدير المسؤول:
سماحة السيد عبد الله نظام

رئيس الهيئة العلمية :
الشيخ الدكتور نبيل الحلباوي

رئيس التحرير :
المستشار الإعلامي ميسر سهيل

أمين التحرير :
الدكتور محمد نظام

هيئة التحرير :
زهراء نظام
يوسف أمينو - رضا زيدان

العلاقات العامة :
عماد كامل زلزلة

سكرتير التحرير :
عامر النحاس

الهيئة العلمية :
د. عبد الله طلبة
د. ناصر علي
د. نزيه الحسن
د. محمود ترمانيني
د. الياس أبو يونس
د. محمد أمين العسكري
الشيخ جمال جزان

تصوير : أحمد الأشقر

المدقق اللغوي :
د. ناصر علي

تصميم و إخراج :
لبيب صندوق

السنة في التشريع

كلمة رئيس التحرير
ميسّر سهيل

تمر بنا ذكرى مولد الرسول محمد صلى الله عليه وآله وسلّم حاملة ملامح جهاده في تبليغ الرسالة السماوية الخاتمة لتكون رحمة للعالمين، وناشرة عبق كلامه التربوي والتشريعي الذي أطلق عليه المحدثون مصطلح السنة.

فالسنة: كلما أُثر عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خلْقية أو خُلُقية أو سيرة سواء قبل البعثة أو بعدها، وفي اصطلاح الأصوليين: ما نقل عن النبي صلى الله عليه وآله وسلّم من قول أو فعل أو تقرير مما يصح أن يكون دليلا لحكم من أحكام الشرع .

السنة إذن أصل من أصول التشريع والعمل بها واجب متى ثبتت صحتها عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لا مجال للشك في ذلك، إذ هي وحي من الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وآله وسلّم، قال تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾ (النجم) وما يصدق على أقوال الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم يصدق على أفعاله وإقراره حيث لا فرق، لأن وظيفة الرسول البلاغ المبين عن الله تعالى فيتعين علينا التسليم بأن كل ما يصدر عنه فيما يختص بالتشريع من وحي الله جل وعلا، وقد أمر الله بطاعة الرسول فقال سبحانه: ﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُوا۟ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ۝٩٢ ﴾ (المائدة) وسائر ما قرن فيه طاعة الرسول بطاعة الله فهو دال على أن طاعة الله ما أمر به ونهى عنه في كتابه، وطاعةَ الرسول ما أمر به ونهى عنه مما جاء به مما ليس في القرآن، إذ لو كان في القرآن لكان من طاعة الله عز وجل، والآيات بهذا المعنى كثيرة منها قوله سبحانه: ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ۖ وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۝٨٠ ﴾(النساء) وقوله سبحانه:

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾(النساء) وقوله عز وجل: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (الأحزاب) فهذه الآيات واضحة الدلالة على وجوب طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم باتباع سنته، وأدلة القرآن تدل على أن كل ما جاء به رسول الله وكل ما أمر به ونهى عنه لاحق في الحكم بما جاء في القرآن فلا بد أن يكون زائداً عليه)[1]، فلا ينبغي الالتفات لما أثير ويثار من الدعاوى الزائفة التي تهدف إلى التشكيك في السنة لأن تلك الدعاوى لم تصدر إلا عن جهل بحقيقة السنة وأهميتها، وعدم معرفة طرق نقلها، كما تصدر أحياناً عمن يبتغون هدم الدين والنيل من أصوله. وهو افتراء لا يثبت أمام الأدلة الشاهدة على صحتها عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلّم وصلتها بالقرآن الكريم.

لقد بذل العلماء منذ فجر التاريخ جهوداً كبيرة في التثبت من صحة النقل لم تتوفر لأي خبر عن نبي مرسل أو أمة من الأمم، ولم يحظ التاريخ القديم والحديث بمثل ما حظيت به حياة الرسول الكريم من الدقة والعناية، كالتثبت من صحة متن الحديث ومعرفة الرجال الذين روَوْهُ ودراسة أحوالهم من حيث الحفظ والضبط والثقة بصدقهم وذاكرتهم، ثم ألفوا في ذلك المؤلفات التي يَعرف من يرجع إليها أنها أصح أخبار الأمم.

يقول الإمام الشاطبي (إن الرسول صلى الله عليه وآله وسلّم لم يكن في قوله أو فعله أو تقريره منفصلاً عن مصدر الوحي السماوي، لذا جاءت السنة النبوية مشتملة على جوانب متعددة تربطها بكتاب الله فهي تفصيل مجمله وبيان مشكله وبسط مختصره وذلك لأنها بيان له وهو الذي دل عليه قوله تعالى: ﴿ بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِ ۗ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾(النحل) فلا تجد في السنة أمراً إلا والقرآن دل على معناه دلالة إجمالية)[2].

١- الموافقات للشاطبي ج٤ ص١٠، وهو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الغرناطي المعروف بالشاطبي).
٢- الموافقات ج٤ ص٩

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس العدد

- **همسة في مولد الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم**
  سماحة السيد عبدالله عبد اللطيف نظام ٧
- **وحدة الأمة في مواجهة التكفير الإرهابي**
  سماحة الدكتور الشيخ نبيل الحلباوي ١١
- **نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام**
  أ. د. ناصر علي ١٩
- **ثقافة الحوار والانفتاح على الآخر**
  د. محمد نظام ٢٩
- **من سبل الوقاية من الافتراق**
  د. الشيخ علاء الدين محمود زعتري ٤١
- **جريمة الدعاية الإعلامية لحرب العدوان**
  أ. د. محمود ترمانيني ٥٣
- **النشاط العلمي لمجمع السيدة رقية عليها السلام**
  إعداد: عامر النحاس ٦١
- **تأملات بلاغية قرآنية**
  د. رياض المونس ٦٥
- **الوعي الوطني في مواجهة العدو**
  الخبير الاعلامي ميسر سهيل ٧٩
- **لغة الرحمة وأسماء الله الحسنى**
  د. ماجدة حمود ٨٩

- **القيم ودور الأسرة في إغنائها**

بقلم: سلوى روماني ٩٥

- **من رسائل أئمة البيت عليهم السلام**

د. معتز المُوَقِّع الحسيني ١٠٣

- **التخطيط الركن الأول من أركان الإدارة**

بقلم: عماد امل زلزلة ١١٥

- **ذكر الصدق في الهدي النبوي الشريف**

بقلم: صفاء الصباغ ١٢٧

- **مفهوم الحرية**

د. حسن البحري ١٣٧

- **الادارة الالكترونية وإعادة ابتكار الحكومة الالكترونية**

د. سامر حسين المصطفى ١٤٩

تنويه :

المواد المنشورة في المجلة تعبر عن آراء أصحابها و لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة، و يخضع نشر المواد و تسلسلها لاعتبارات فنية.

الموقع الإلكتروني للمجلة: *www.roqayya.com*

ترحب المجلة ببحوث الكتاب بحدود (٣٠٠٠ - ٣٥٠٠) كلمة ، قياس الحرف ١٦ .
و نوع الخط (*Simplified arabic*) أو (Times New Roman)
على أن ترسل للمجلة على قرص مضغوط *Cd*

أو على البريد الإلكتروني للمجلة *Email*: msuhail*2008*@gmail.com
موبايل : ٠٩٣٣٤٥٧٤٥٠

العدد ١٧
كانون الأول ٢٠١٦ م - ربيع الأول ١٤٣٨ هـ

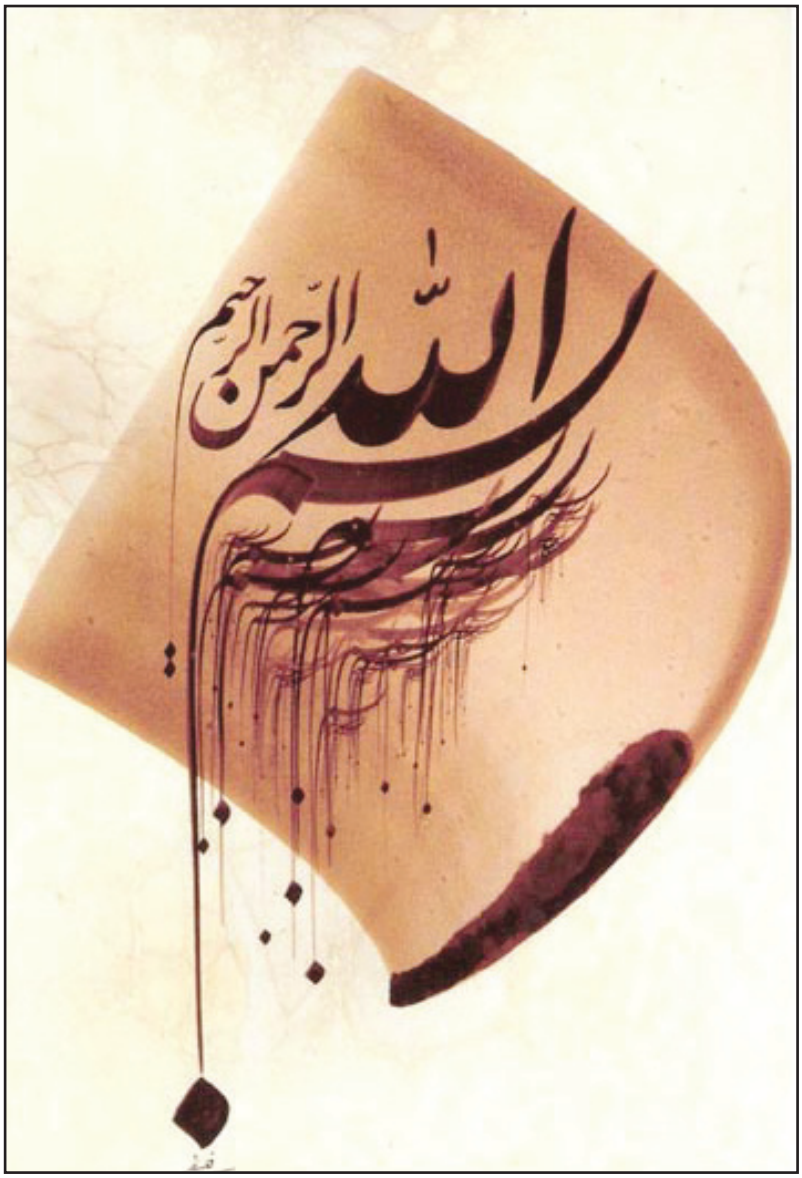
بسم الله الرحمن الرحيم

همسة في مولد الحبيب ﷺ

سماحة السيد عبدالله عبد اللطيف نظام
رئيس مجمع السيدة رقية عليها السلام

سيدي يا رسول الله ﷺ في ربيع مولدك بشرنا ربنا برحمتين: أولاهما ألزم به نفسه وكتب على نفسه الرحمة وثانيتهما ما وصف به نبيه ورسالته: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء]، فكانت الرحمة كساء دعوتك ودثار دينك.

وكان أول بلاغ أنزله ربك: ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾[العلق]، فبلّغته للناس، ونقلتهم به من عبادة العباد إلى عبادة الله، والقراءة ضم الحروف والكلمات لإنتاج معنى مفيد، فعرف الجاهليون من الأمر بها باسم ربك وربهم أن القراءة باسم طواغيتهم قد أبطلها الدين الجديد، وأنَّ ما يرجع إلى جاهليتهم نجمه في أفول.

فالقراءة باسم الله لا تكون إلا بالسير على منهجه والائتمار بأمره والابتعاد عمّن سواه، والقراءة يجب أن تكون باسم الخالق المربّي لمخلوقاته المدبّر لأمرهم والقائم بإودِهم،والغني عن خلقه الذي لا يُبطِل سجاياه جحود الجاحدين وإنكار المنكرين،والذي أعظم نِعمِهِ تعليم الجاهلين، فزوّدهم بما يجب أن يعرفوه، وأقرأهم كتابه ليفقهوه، فهو جلّ شأنه مهتم بهم وبحاضرهم وبمستقبلهم،فأخبرهم أنّ إليه مرجعهم وأنه سيحاسبهم عما كانوا يعملون.

لقد ذكر في كتابه الرجعى ﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ ٨ ﴾[العلق]، وتصلح أن تكون منه وإليه، فالتوبة والاستقالة من الذنوب رجوع إلى الله، إذ الرجوع إياب، والإياب إليه توبة، والفرار من الذنوب وبالذنوب لا يكون إلا إليه: ﴿ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ

مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ﴾[الذاريات]، ﴿ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ... ﴿٥٣﴾ ﴾[الزمر]، والرجوع إليه رجوع منه جل جلاله على عباده بالمغفرة والرحمة، وقد تعهد في كتابه أن تسع رحمته كل شيء، وشرّع الشفاعة ويسّر القبول.

لقد عرّفْتنا يا سيدي بميثاق العلاقة بيننا وبين ربنا، فبلّغتنا أمّ الكتاب وفرضتها علينا في كل صلاة، وقد أخبرنا فيها أنه الرحمن الرحيم، الذي لا حدّ لرحمته التي لا يقدر على إحصائها غيره، فالحمد ملكه وكما يستحقه،وأنه منعم في الدنيا ورحيم في الآخرة.

لقد ربط فيها بين رحمانيّته وبين ملكه ليوم الدين، ليعلن أن الرحمة أساس دينه حتى في يوم الحساب، ووعده بمغفرة ذنوب عباده وإذنه بالشفاعة لهم ومضاعفته لحسناتهم خير شاهد على ذلك، ولمّا كان كل الأمر بيده، والمصير إليه، فإنه يجب أن يُخصّ بالعبادة فلا ربّ سواه،وأن يُخصّ بطلب العون منه لأن كل ما في الدنيا راجع إليه.

إن الهداية إلى الصراط المستقيم والحصول على سعادة الدارين لا يمنحها إلا الرب الرحيم، ونطلبها منه بقولنا: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ ﴾[الفاتحة]، أي صراط الذين لم يعصوك لِتُتْبع نعماءك غضبك والذين لم يضلوا عن منهجك.

لقد وصفك ربك في كتابه الكريم بقوله: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾[القلم]، وقال في حق نبوتك ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾[الأنبياء]، وعلّمك طريقة الدعوة إليه فقال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ ... ﴿١٢٥﴾ ﴾[النحل]، وذكر في كتابه على لسانك قانونها: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ... ﴿١٠٨﴾ ﴾[يوسف]، وأرادك أن تكون ليّناً تتألّف قلوب الناس فقال: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾[آل عمران]، فجعلك برحمته ليّناً لأنه يريد الخير لعباده والانتشار لدينه فالغلظة والفظاظة منفِّرتان من الدين.

لقد عاتبك ربك في أضعف المؤمنين الذي اقتحم مجلسك، وقطع خطابك مرات وكرات في لحظة كنت ترجو فيها إسلام قريش فتغيّر وجهك وهو كفيف لا يراك، ليعلّمك ربك أن أضعف مؤمن أكرم عند الله من أعظم الكافرين، وأمرك أن تصبر نفسك

مع الذين يدعون ربهم بالغداة والعشـيّ يريدون وجهـه، ونهاك عن الالتفات عنهم إلى غيرهم لرعاية بعض شأنك، وأمرك أن تلزم جانب المؤمنين ولو كان ذلك على خلاف مصلحتـك ودنياك فلـم يرض منك مجرد الكينونة، بل طالبـك بالصبر والتحمل، وبيّن لـك أن المؤمنين أخـوة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ... ﴿١٠﴾ ﴾[الحجرات]، وأنّ اختلاف الناس في ألوانهم وأعراقهم قيمة معرفيّة ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ... ﴿١٣﴾ ﴾[الحجرات]، وأن الاختلاف فيما وهبهم ربهم من ملكاتهم وإمكانياتهم إنما كان لنظم أمور عيشـهم وأنالأكرميةعنـده بالتقوى ﴿ ... وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ... ﴿٣٢﴾ ﴾ [الزخرف].

لقـد وصـف ربك المسـلمين في كتابه فذكر أنهـم أمة واحـدة بعقيدتهم ومنهج حياتهـم: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾[الأنبياء]، وقـد بيَّنتَ لنا أن: «الناس عيـال الله، وأحبّهم إلى الله أنفعهم لعياله»[1] ، ونهيتنا عن الفرقة فقلت: «لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض»[2].

لقد بيّن لنا ربك أن الدعوة التي ظاهرها خير قد تكون حقيقتها ضلالة وزيغ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ... ﴿١٠٧﴾ ﴾[التوبـة]، فبنـاء المسجد في ظاهره خير والدعوة إليه دعوة إلى الدين، ولكنّ نية السوء صيّرته مسجد ضرار وكفر،لأن غايته التفريق بين المؤمنين، فالمهم في كل شيء حقيقته وهدفه لا الوقوف على ظاهره لذا قلت لنا: «إنما الأعمال بالنيات وإنما لامرئ ما نوى»[3].

سيدي لا أجد ما أقوله بعد رحيلك إلى ربك إلا اللجوء إليه.

إلهي أشـكو إليك فقد نبينا، وزيغ قلوبنا وسـوء عملنا، وشـدة الفتـن بنا، فثبتنا على الإيمان بك وطاعة رسـولك ووفقنا لصالح الأعمال وأطيب الأقوال وفرج عنا كروبنا وهمومنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

إلهي ما الذي سيقوله العباد إذا ما وقفوا للحساب بين يديك؟ وقد تفرقت كلمتهم

١- الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، ط٤، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٥هـ ش، ج٢، ص ١٦٤.
٢- البخاري، صحيح البخاري، دار الفكر للطباعة والنشر، اسطنبول، تركيا، ١٩٨١، ج١، ص٣٨؛ و:المجلسي، محمد، بحار الأنوار، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ج٣٢، ص٢٩٤.
٣- العاملي، الحر، وسائل الشيعة، ط٢،مؤسسة آل البيت لاحياء التراث، قم، إيران، ١٤١٤هـ، ج١، ص٤٨.

وعملوا بالبغي بينهم فسفكوا الدم الحرام وانتهكوا العرض الحرام واستحلّوا المال الحرام، وهدموا أمتك الواحدة واستبدلوا اللين بالغلظة والرحمة بالشدة، لقد وصفك ربك بقوله: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ ﴾[الأنبياء]، فَرَوَوْا على لسان نبيك زوراً «جئتكم بالذبح»[1].

لقد أمرتنا يا رسول الله بعرض الحديث على القرآن الكريم ورفع اليد عما خالفه بعد شكواك من كثرة الكذب عليك، ودعانا ربك إلى التعقل والتفكر والتدبر في أكثر من مئة آية في كتابه الكريم فلم نعمل بذلك وأخذنا بالغث والسمين، وذكرت لنا أنه لما خلق الله العقل قال له: («أقبل» فأقبل، ثم قال له: «أدبر» فأدبر،ثم قال له: وعزتي وجلالي ماخلقت خلقاً هوأحب إلي منك، ولا أكملك إلا في من أحب،أما إني إياك آمر وإياك أنهى، وإياك أعاقب وإياك أثيب)[2].

فأبطلوا أحاديث العقل ليبقى هنالك متسع للترّهات، وليفتري كل قوم عليك بما يشاؤون ويدلّسوه في الخبر الصحيح.

سيدي يا رسول الله إن أكثر ما أخاف في الحشر شهادتك علينا، فإن ربك قد ذكرك في كتابه الكريم: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ٤٦ ﴾[الأحزاب].

فأنت الرسول المبلغ كلمات ربه، والشاهد علينا أن قد بلغ، وأن زَيْغنا قدكان بسوء اختيارنا، وشهادتك تقطع حجتنا وتنفي عذرنا وتدين إسرافنا على أنفسنا،بعدما بشرت المحسنين وأنذرت المسيئين ودعوت إلى الله بإذنه وكنت السراج المنير.

سيدي يا رسول الله لقد تمت كلمة ربك بك علينا صدقاً وعدلاً، وإننا لنرجوا أن لا نكون ممن ذكرهم في كتابه: ﴿ قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١ ﴾ [غافر].

---

١. ابن حبان، محمد، صحيح ابن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢،مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ج١٤، ص٥٢٦؛ و: ابن حنبل، أحمد، مسند أحمد، دار صادر، بيروت، لبنان، ج٢، ص٢١٨.

٢. الكليني، محمد بن يعقوب، أصول الكافي، تصحيح وتعليق علي أكبر غفاري، ط٥، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٦٣هـ ش؛ البرقي، خالد، المحاسن، تصحيح وتعليق جلال الدين الحسيني، دار الكتب الإسلامية، طهران، إيران، ١٣٧٠هـ، ج١، ص ١٩٢؛ وفي كنز العمال، المتقي، الهندي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٨٩، ج٣، ص٣٨٣ـ باختلاف يسير.

وحدة الأمة في مواجهة التكفير الإرهابي

سماحة الدكتور الشيخ نبيل الحلباوي
نائب رئيس مجمع السيدة رقية عليها السلام للشؤون العلمية

لـم يعـد التكفير الإرهابي بحاجـة إلى تعريف فهو أعـرف من أن يعرف، وهـو يعرّف نفسـه بأرقـام ضحاياه في العالـم، وعدد تفجيراته ومـدى إثخانه في أجسـاد الأبرياء، من الأطفال والرجال والنسـاء، وانديا‌ح دائرة إفسـاده في الأرض، وافتنانـه في التنكيل بأسـراه قبل قتلهم وبعد قتلهم بأسـاليب هوليودية تملأ الشاشات، وتنغّص الهناءات، وتشوّه أحلام الأطفال وما فيها من براءات.

كذلك وحدة الأمة ولا سيما أمتنا وقد ابتليت بهذا الداء فهي أعرف من أن تعرّف بل لا تحتاج تعريفاً بعد إذ عرّفها الله لتشمل مسيرة الأنبياء وأتباعهم الأوفياء.

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ ﴾(المؤمنون).

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ ﴾ (الأنبياء).

وحسـبنا أن نلقي نظرةً حصيفةً نافذةً حتى نـدرك أنّ هذا التكفير الإرهابي بقطبيه المشـؤومين: التكفير أي إخـراج من كفّرهم من مفهوم الأمة ومصداقها لديه مما يعني خروج الكثرة الكاثرة وبقاء القلة القليلة، والإرهاب أي اعتبارهم أهلاً لأن تمارس عليهم فنون الإرعاب قتلاً وذبحاً وتنكيلاًبل اسـتئصالاً، أنه - هذا التكفير الإرهابي - بقطبيه المشـؤومين مناقض لدود لكل مستويات الوحدة في البشرية؛من وحدة العائلة وقد رأينا ابناً يذبح أمه أو أباه بغير ذنب اقترفاه إلا أنهمـا نصحاه وردعاه، ها هو ذا فتكه بوطننا وتمزيقه لعراه، ووحدة الأمة وها هي ذي صارت أمماً وبعضها يفرح لما أتاه ويشـجعه ويتبناه، ووحدة البشـرية ها هي ذي معاوله تنقض أي بناءٍ لها وتجتث من بناه.

ولكن عداوته لوحدة الأمة أبرز وأوضح لأنها المعادل الموضوعي والخصم الاستراتيجي وصمام المناعة الحيوي والعلاج النهائي لدائه الدوي.

وهي إذن النقيض الإيجابي لقاموس قيمة السلبي:

فهو جهـــلٌ وهي علم.

وهو فسـقٌ وهي إيمان.

وهو فجـورٌ وهي تقوى.

وهو عنفٌ وهـــي رفق.

وهو سطحيةٌ وهي عمق.

وهو انغلاقٌ وهي انفتاح.

وكذلك هما نقيضان على صعيد الآثار:

فوحدة الأمة تعمير وهو تخريب وتدمير.

وهي تجميع وتأليف وهو تفريق وتقسيم.

وهي تقوية وتحصين وهو إضعاف وتوهين

وهي إحكام وتوثيق وهو إخلال وتمزيق.

وللمتأمل في قائمة الأخطار وهي – على ما تثيره من أوجاع – أبعد من قتلٍ لعشراتٍ من المقيمين والمسافرين والزوار كلما كرّ ليلٌ وأقبل نهار.

إلا أنها توقد غرائز لتشعل بها حرائق تتسع مكاناً وتمتدّ زماناً، بألوان كلها قاتـمٌ بل مظلمٌ ظالم مـن صراع طائفيّ وصراع اثنيّ وصـراع دينيّ وصراع سياسيّ وصراع اقتصاديّ وصراع اجتماعيّ وصراع فكريّ.

لكن هذه الصراعات ليست بنات هذا التكفير الإرهابي فحسب، بل تشي في واقع الأمر وتكشـف عن أيدٍ خفيات وغرف عمليات يقوم عليها قادة ورادة من المستعمرين ورفقائهم الصهيونيين.

وقـد وجد هؤلاء بديلاً غبياً يحقق لهم –بزعمهم - ما كانوا أرادوه ولم يحققوه مـن الفتك بهـذه الأمة وتحقيـق ما هو أبعد مـن مخطط سـايكس بيكو، ومخطط الشـرق الأوسط الجديد ومخطط الشرق الأوسط الكبير، ويجمع لهم على الأمة ما أرادوه مـن الحرب الناعمة والحرب الخشـنة والحرب الظاهرة والحرب الخفية، وهكذا يسـتأصلون كما يأملون بضربة واحدة خطر الأمة الواحدة على مصالحهم

وأطماعهم وغاياتهم اللئيمة، ويرجعونها قروناً إلى الوراء ويبتكرون لها داءً لا خلاص منه ولا شفاء له يستنفد طاقاتها وأحلامها ويجعل بأسها وشدّتها بينها.

ثم هم في آخر المطاف قادرون – كما يظنون- أن يجعلوا لهذا التكفير الإرهابي حداً لا يتعداه فلا يصل إليهم ولا يعود بالويل عليهم، وأن يحصروه حيثما شاؤوا وكيفما شاؤوا ليبقى في أرضنا ما يشبه أن يكون إسرائيل داخلية في ثياب الأمة وتحت جلدها، يفتّق لها كل يوم داءً ويستنزفها كما يستنزف دعاته وأدواته دم الضحية البشرية قبل أن يلتهموا كبدها أو قلبها.

وفضلاً عن قاموس التكفيريين الإرهابيين وما يتضمنه من إدارة التوحش- وهو مصطلح يصلح لدراسة مستقلة - فإن الجامع لكل تنظيماتهم على اختلافها من قاعدة وطالبان وداعش والنصرة وذيولها في بلاد المغرب وليبيا وسيناء والصومال وسواها من دول آسية وافريقية وامتداداتها في أوروبة وغيرها من القارات أنها وإن احتكرت مشروعيةً مصطنعةً لها ووفق فهمها القاصر فإنها لا تؤمن بدورٍ لاختيار الناس وقبولهم في تحقق أي نظام مع أن هذا القبول مما يرعاه الدين حتى في تدين الناس.

قال تعالى: ﴿ لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ٢٥٦ ﴾ (البقرة)

وترى هذه التنظيمات في القوة والغلبة والعنف والقهر ولو من قبل فئةٍ محدودة مستنداً وذريعةً لفرض النظام الذي تشاؤه على الأمة بأسرها، ناهيك عما في تصارع تنظيماتها بأسمائها التي سبقت من خطر صراع أسوأ على الأمة فيما لو استتبّ السلطان لواحدٍ من تلك التنظيمات، وهو ما بدا مبكّراً ورأينا كوارثه ومصائبه في أكثر من مكان في عدد من البلدان.

وتقوم دول إقليمية فضلاً عن الدول الكبرى بدعم هذه التنظيمات بعضاً أو كلاً بالمال والسلاح والتخطيط وغيرها لتحقيق أغراض دنيئة لها أو لتلك الدول الكبرى: من تدخل وتوسع وإضعاف وتفتيت؛ مما يعقّد الصورة ويخلط الأوراق ويفاقم الجراح.

ويبدو الواقع - على امتداد مساحة الأمة حاضراً ومستقبلاً - بعد كل ما سبق عرضه مرشحاً للمزيد والمزيد من الأدواء؛ فهذه التنظيمات تهيمن على

أشـطرٍ من البلدان، وتبث خلاياها في أكثر من مكان، وتهيئ لضرباتٍ موجعة علـى طريقتهـا في التفجير الانتحـاري المتنقل في أكثر من مـكان ولأكثر من زمـان، وهي تسـتقطب كلّ يوم بعضاً من الشـابات والشـبان، وتُعمِل مخالب تأثيرها وتدريبها في الأطفال والصبيان، وتحاول أن تهتك نسـيج الأمة بكل ما في جعبتها من أساليب الخرق والتمزيق.

ومما يزيد الطين بلة ـ كما يقولون ـ أنّ هذا الامتداد السرطاني تمدّه حكومات وترفده جمعيات ويدعمه شـيوخ ونواب ومؤسسـات، وكلُّ ما سبق يحتّم وحدة الأمة في مجابهة هذا الخطر الذي تنوء بمواجهته قوة دولة هنا ودولة هناك.

وإذا كان المحور المؤتلف من إيران والعراق وسورية وحزب الله وبعض المقاومة الفلسـطينية ومن يؤازرهم بمعونة محسـوبة من الحليف الاستراتيجي الروسـي قـد تحمّل عـن الأمة عبء مواجهـة الإرهاب التكفيري في سـورية والعراق ولبنان عسـكرياً، فإن المواجهة الشـاملة والمجابهـة المتعددة الوجوه تنتظـر من الأمـة وقواها الحية وتياراتها الداعمة أن تسـتنفر طاقاتها وتحشـد رصيدها على أكثر من صعيد.

وفـي هذا السـياق ينبغي التنويه بأبعاد هـذه المواجهة أو المجابهة وأسـاليبها والبدائل المتاحة ريثما تتحقق وحدة الأمة التي تبدو بعيدة المنال في المدى القريب.

أمـا على صعيد الأبعاد فلا بد من أن يُشـفَع التصدي العسـكري بنجاحاته المتلاحقة بعد الصمود الاسـتثنائي لمواقفه والتضحيات الجسام لأبطاله بتطوير جـادٍّ للبعـد الإعلامي ذلك أن الإرهاب التكفيري اتَّخذتـه أو اتُّخذَت له منصّاتٌ إعلامية من عشـرات القنوات التلفزيونية والمتميزة منها ولاسيما قناة الجزيرة بزخمها وخبراتها ومؤسساتها ومحاوريها وكذلك العربية.

وإذا كانـت الميادين والمنار وبعض القنوات السـورية والعراقية واللبنانية قد طورت تجربتهـا الإعلامية، فلا يزال محور الصمود والمقاومة بحاجة إلى المزيد على أكثر من صعيد.

والخطير في المسألة أن إعلاميات الإرهاب التكفيري اشتقّت لنفسها فضاءً آخر نافسـت فيه وحققت أعظم النجاحات، ألا وهو فضاء التواصل الاجتماعي وقد استطاعت من خلاله استقطاب الآلاف فضلاً عن التأثير في مئات أضعافهم.

وحسبنا شاهداً على ذلك مئات الانتحاريين التفجيريين الذين لا ينقطع سيلهم المتدفق في ساحات وساحات وقد فتكوا بالآلاف لا بالمئات، وصار لداعش جيشها من عشرات الجنسيات وكذلك النصرة وسواها من التنظيمات.

لكن ثمة بعدٌ أخطر ينتظر جهداً أكبر، هو البعد الثقافي الذي لا يكتفي بإعلام اللحظة والحادثة وإنما ينطلق إلى مواجهة ثقافة التكفير الإرهابي السامّة المنغلقة على تنظيم أو آخر بثقافة إسلامية لا تكفّر مسلماً بل تستوعب شركاء الوطن وشركاء الأمة.

وثقافة التكفير الإرهابي - إن صحّت تسميتها ثقافة - لا تقاوَم بالسلاح بل بالثقافة، ثم إنّ الثقافة المقاومة تشمل المجتمع وتصل إلى الجميع بأساليب مباشرة وغير مباشرة، وهي تهيئ أرضية لا غنى عنها لتحصين الناس من الآثار المدمِّرة لذلك الوباء اللاثقافي في حقيقة الأمر.

لكن التحصين الأمنع من هذا الخطر، لا ينهض بعبئه الإعلام ولا تجزئ فيه الثقافة، ولا يكون إلا بالتربية التي تؤسّس منذ الطفولة وخلال مراحل الدراسة لشخصية عصية على الاختراق بمناهج يقوم عليها تربويون أكفياء وعلماء أتقياء، لتنشأ لدينا أجيال تتوئم العقل بالدين، والعلم بالإيمان، وتناغم بين الأصالة والمعاصرة وتنفتح على البعد الإنساني.

والقاسم المشترك في الإعلام والثقافة والتربية ينبغي أن يقوم على ركائز من:

١ـ تجاوز الذات:

فآفة الآفات أن ينغلق الإنسان على ذاته ويجعل من الانتماء إلى مجموعة أو دين أو منظمة أو حزب أو قبيلة أو بلد أو لون أو جنس دائرةً مغلقة تعزله وتغدو شرنقةً له تخنقه أو سجناً يغلّ طاقاته على حين أنه لا نموّ للذات إلا بتجاوزها.

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ١٣ ﴾ (الحجرات).

٢ـ احترام الآخر:

وسواء أكان الآخر هو الآخر على الصعد السالفة الذكر فإن احترامه واجب ولاسيما على صعيد الحوار الذي ينطلق من أرضية المساواة بين المتحاورَين وعدم استعلاء أحدهما على الآخر.

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ ﴾(سبأ).

٣ـ قبول التنوع:

يهدينا اختلاف الألسنة والألوان والأشكال والبيئات والعادات إلى قبول التنوع على أنه سنة إلهية في الخلق وهو تنوع يدخل إلى إطار الأسرة الصغيرة فليس ثمة أخ يماثل أخاه شكلاً وصفات بل إن التوائم تختلف قدراً من الاختلاف ولولا ذلك لما تميز واحدها من الآخر.

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾(الروم).

٤ـ تغليب المشتركات:

لكن التنوع لا يغيّب حقيقةً هي أن مساحةً من المشتركات قائمة مهما كان حجم المختلفات، ومن الحكمة والحصافة والانفتاح أن تغلَّب المشتركات بين كل مختلفين على سواها صغرت مساحتها أم كبرت لتكون هي دائرة اللقاء والاجتماع.

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾(البقرة).

وتتكفل هذه الركائز بدورٍ مزدوج أول بعديه: تعزيز وحدة الأمة وتجاوز عوامل الفرقة والتشتت والصراع، وثانيهما بعديه: مواجهة التكفير الإرهابي مواجهة عميقة.

ويبقى السؤال المطروح حول وحدة الأمة وإمكان تفعيلها في ظل الواقع الذي يشهد حالة من التشرذم والتشتت والتضارب لا نظير لها.

ففي حين حفلت الخمسينيات من القرن الماضي – وبعد استقلال الدول العربية والإسلامية عسكرياً- بموجٍ هادرٍ من حركة الشعوب ودورها في مقاومة محاولات الهيمنة السياسيةً والاقتصادية والثقافية للاستعمار وتفقرٍ لدور الحكومات الرجعية الخانعة والضالعة في خدمة الاستعمار، فإنّ مطلع القرن العشرين يشهد انكفاءً لدور الجماهير في الأمة وتقدماً وقحاً مكشوفاً لدور تلك الحكومات وكذلك التنظيمات المتناغمة معها سراً أو علناً، وعلى حين

كانت مقاطعة العدو الصهيوني تمتدّ إلى الدول الإفريقية احتراماً منها لعلاقاتها مع العرب والمسلمين إذا بالعلاقات مع العدو الصهيوني تعود إليها حرارةٌ متجددةٌ في الدول الإفريقية والآسيوية تبعاً للحكومات العربية التي لم تعد ترى بأساً في المجاهرة بتلك العلاقات، وصار ما كان يدعى خيانةً ذات يوم مجرد وجهة نظر بل حلفاً صريحاً معلناً ولم تعد التنظيمات المعارضة وحتى المسماة منها إسلاميةً تجد بأساً في التصريح والمباهاة بهذه العلاقات.

وبعد أن تقدمت مسيرة التقريب بين المذاهب الإسلامية في الخمسينيات مثلاً وقبلها لتشكل جماعة تقريب من كبار العلماء ولتصدر مجلة رسالة الإسلام الحافلة بموضوعات كُتبت بنفس منفتح على احترام المسلمين لتنوع الرؤى الفقهية والتفصيلات العقدية إذا بنبرة الصراع الطائفي تشتدّ ويشتعل أوارها وتتحمل وزرها عشرات القنوات الفضائية ويهبط مستوى التعليقات المتبادلة على وقائعها ومجرياتها إلى أحطّ ما يقال.

وبعد أن كان يُعوَّل على اتحاد علماء المسلمين أن يكون الإطار الجامع للعلماء المتحررين من ربقة السعودية ووهابيتها السقيمة المتخمة بالحقد على المسلمين المخالفين لانغلاقها وتعصبها ونبذها كل الرؤى الإسلامية الأخرى بالشرك، إذا بالاتحاد بقيادته القرضاوية يُخرج من صفوفه كلَّ من لا يخضع لتهييجه وعدائه وسعيه إلى سفك دماء العلماء الحريصين على وحدة المسلمين.

وبعد أن كانت مؤسسة القدس مثلاً رديفةً ليوم القدس ومسيرته في التعبير عن ضمير الأمة وحرصها على قدس أقداسها واستنقاذه والأرض الفلسطينية كلها من دنس الصهاينة الغاصبين، إذا بها تغدو شقين ومحورين كمحوري السياسة المتصارعين؛ محور الحكومات السعودية والقطرية والتركية والخليجية ومن لف لفها في جهة، ومحور إيران وسورية والعراق وحزب الله وشطرٍ مهمّ من المقاومة الفلسطينية في جهةٍ أخرى.

لكن وحدة الأمة تبقى الملاذ والملجأ من عواصف هذا التمزيق والصراع، فما السبل المتاحة لها وكيف يستعاد ما أمكن منها؟

السبيل الأولى:تصليب المحور الرافض للهيمنة الأمريكية وللاغتصاب الصهيوني الإسرائيلي المتبني لتيار المقاومة ومحاولة ضم دول أخرى إليه عربياً أو إسلامياً.

السـبيل الثانية: تقوية الصيغ الجامعة للقوى القومية والإسلامية الحريصة على التحرر من الاستعمار والتبعية كالمؤتمر القومي الإسلامي.

السـبيل الثالثة: إعادة الحياة وتوسيع الهيئات المساندة للمقاومة والمناهضة للتطبيـع مع العدو الصهيوني، كما التجربة القائمة في مصر لمسـاندة المقاومة ورفض التطبيع برئاسة الدكتور رفعت السيد أحمد.

السـبيل الرابعة: التبني الجاد لتجمع العلماء المسـلمين من مختلف الرؤى الفقهيـة والتقدمية الداعي إلى وحدة المسـلمين، كمجمـع التقريب بين المذاهب الإسـلامية في إيـران، وتجمع العلماء المسـلمين، واتحاد علمـاء المقاومة في لبنان، واتحاد علماء الشام.

السبيل الخامسة: انفتاح فكري واسع على مختلف التيارات في الأمة الملتقية على قاسم مشترك هو الحرص على مصالح الأمة السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

السبيل السادسة: توحيد القوى الوطنية في كل بلد من بلدان الأمة بما يضمن سلامة أرضه واستقلاله ويعزز قوته وينفتح به على الأمة بمجموعها.

السبيل السابعة: التعويل على الشعوب ونفض اليد من الحكومات المتواطئة والتابعة للغرب المسـتعمر، وتحفيز القوى الشعبية لتمارس ضغوطها على تلك الحكومات بكل ما يتاح من الوسائل لا لأجل مطالب معيشية فحسب بل لمطالب تتعلق بالاستقلال والحرية ودعم القضية المحورية للأمة قضية فلسطين وإذكاء روح الرفض والمخالفة للعدو الصهيوني.

السبيل الثامنة: الانفتاح الأوسع والتنسيق وتوحيد الجهود مع القوى الشعبية العالمية المتمردة على السياسة الأمريكية الصهيونية كما في بعض دول أمريكا اللاتينية وسواها.

السـبيل التاسعة: تشـكيل جبهة عريضة للنخب الفكرية والثقافية في العالم الرافضة لهيمنة القطب الأمريكي ومن يدور في فلكه.

السبيل العاشرة: إعطاء زخم أدبي فني لكل ما سبق بتجميع التراث الشعري والمسـرحي والقصصي الملائم وتقديمه في ندوات ولقاءات ومقابلات ليجري في وجدان الأمة ويحرّك عنفوانها ويستثير عزتها.

والحمد لله ربّ العالمين.

نهج البلاغة للإمام علي (ع)

الأستاذ الدكتور ناصر علي
عميد كلية اللغة العربية بمجمع السيدة رقية عليها السلام

قوة التأثير ورصانة البناء وقدوة البلغاء

لا أحـد ينكر بلاغة الإمام علي عليه السلام وتناوله مختلف نواحي الحياتين الدنيا والآخرة بأسـلوب مقنع محبب إلى النفوس في أرقى عبارة وأدق تعبير وأشمل أسـلوب لا تدانيهـا بلاغة أخرى ولا تجـاري ما كتبه أقلام كتبـت في البلاغة وأسـاليبها، فنهجه سـيد كلام البلغاء ومنبر الحكماء وملجأ الخطباء أنار دروب القاصدين إلى الإصلاح في المجتمعات، وهو القائل عليه السلام [١]: أيها الناس سلوني قبل أن تفقدوني فلأنا بطرق السماء أعلم مني بطرق الأرض، والقائل أيضاً[٢]: وإنا لأمراء الكلام وفينا تنشّبت عروقه وعلينا تهدلت غصونه.

مختارات من أقواله عليه السلام في كتاب نهج البلاغة حصراً[٣]

- الحمـد لله الذي لا يبلغ مدحته القائلـون ولا يحصي نعماءه العادّون ولا يـؤدي حقه المجتهدون الذي لا يدركـه بعد الهمم ولا يناله غوص الفطن، الذي

١- نهج البلاغة للإمام علي عليه السلام إصدار سفارة الجمهورية الإسلامية الإيرانية بدمشق، طبع دار التعارف، بيروت، دون تاريخ ص٤٠٩.
٢- نهـج البلاغـة ص٥٠٠، وتنشـبت: علقت وثبتت، والمراد بالعـروق: الأفكار العالية والعلوم السـامية، والغصون: وجوه القول في فصاحته وصفاته الفاعلة في النفوس.
٣- نهج البلاغة ص٦٧-٦٩.

ليس لصفته حدّ محدود ولا نعت موجود ولا وقت معدود ولا أجل ممدود، فطر الخلائق بقدرته ونشر الرياح برحمته.

أول الدين معرفته، وكمال معرفته التصديق به وكمال التصديق به توحيده وكمال توحيده الإخلاص له وكمال الإخلاص له نفي الصفات عنه، فمن وصف الله سبحانه فقد قرنه ومن قرنه فقد ثنّاه ومن ثناه فقد جزّأه ومن جزأه فقد جهله ومن جهله فقد أشار إليه ومن أشار إليه فقد حدّه ومن حده فقد عدّه ومن قال: ((فيمَ؟)) فقد ضمّنه، ومن قال: ((علام؟)) فقد أخلى عنه، أنشأ الخلق إنشاءً وابتدأه ابتداء بلا رويّة أجالها ولا تجربة استفادها ولا حركة أحدثها.

وممـا جرى مجرى الأمثال قوله عليه السلام في الخوارج لمّا سمع قولهم: لا حكم إلا لله[1]:

- كلمة حقّ يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلّا لله، ولكن هؤلاء يقولون:
- لا إمرة إلّا لله وإنه لا يد للناس من أميرٍ بَرٍّ أو فاجر يعمل في إمرته المؤمن ويستمتع فيها الكافر ويبلغ الله فيها الأجل ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو وتأمن به السبل ويؤخذ به للضعيف من القوي حتى يستريح به برٌّ ويُستراح من فاجر.

ومن نصائحه[2]

- أيها الناس إن أخوف ما أخاف عليكم اثنتان:

اتباع الهوى وطول الأمل، فأما اتّباع الهوى فيصدّ عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة، ألا وإن الدنيا وقد ولّت حذّاء فلم يبق إلا صبابة كصبابة الإناء اصطبّها صابُّها، ألا وإن الآخرة قد أقبلت - ولكلٍّ منهما بنون – فكونوا من أبناء الآخرة ولا تكونوا من أبناء الدنيا فإن كل ولدٍ سيلحق بأمه يوم القيامة، وإن اليوم عمل ولا حساب وغداً حسابٌ ولا عمل.

وفي نهيه عن التنجيم حين قال له أحد أصحابه: يا أمير المؤمنين إن

١- نهج البلاغة ص ١٤١-١٤٢.
٢- نهج البلاغة ص١٤٣، حذّاء: ماضية مسرعة، والصبابة: البقية من الماء واللبن في الإناء.

سرت في هذا الوقت خشيت أن لا تظفر بمرادك من طريق علم النجوم، فقال عليه السلام[1]:

- أتزعم أنك تهدي إلى الساعة التي من سار فيها صرف عنه السوء وتُخوّف من الساعة التي من سار فيها حاق به الضرّ فمن صدّق بهذا فقد كذّب القرآن واستغنى عن الإعانة بالله في نيل المحبوب ودفع المكروه، وتبتغي في قولك للعامل بأمرك أن يوليك الحمد دون ربّه، لأنك بزعمك أنت هديته إلى الساعة التي نال فيها النفع وأمن الضرّ، أيها الناس إياكم وتعلم النجوم إلا ما يُهتدى به في بَرٍّ أو بحرٍ، فإنها تدعو إلى الكهانة، والمنجم كالكاهن، والكاهن كالساحر، والساحر كالكافر، والكافر في النار، سيروا على اسم الله.

ومن بلاغته في النحو استخدامه التضمين وهو: إشراب اللفظ معنى لفظ آخر وإعطاؤه حكمه لتصير الكلمة تؤدي مؤدَّى كلمتين، فيصير الفعل اللازم متعدّياً[2]:

- أُنبئتُ بُسراً قد اطّلع اليمن.

أراد: بلغ اليمن، فلما ضمنه معنى: بلغ عدّاه بعد أن كان لازماً فنصب مفعولاً به هو اليمن.

أما رواية النحويين فهي[3]: طلع بِشرٌ اليمن، أي: بلغها وتمكن منها وغشيها بجيشه، ومثله قولهم: رَحُبتكم الطاعة، أي وسعتكم، لأن الفعل: رحُب لازم، فلما ضمنوه معنى: وسع المتعدي نصب مفعولاً به، هو الكاف المتصل به، ومن التضمين أيضاً، قوله تعالى: ﴿ ...وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ ...﴿٢٣٥﴾ ﴾ (البقرة)، أي: لا تنووا، لأن الفعل: عزم لازم لا يتعدى إلا بحرف الجر»على» تقول: عزمت على كذا لا عزمت كذا، فلماضمنه معنى: نوى عدّاه إلى المفعول به: عُقدة، ومن التضمين أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (البقرة) نصب الفعل: سفه المفعول به: نفس، لتضمنه معنى: امتهن أو أهلك، كأنه قال: امتهن نفسه أو اهلكها.

١- نهج البلاغة ص١٧٩-١٨٠.
٢- نهج البلاغة ص١١٧.
٣- مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري، دمشق ١٣٩٢ هـ ٦٨٠/٢ وحاشية الصبان على شرح الأشموني، القاهرة ١٣٦٣ هـ ٩٥/٢-٩٧.

بعـض الجهلة يدعي أن حواء عليها السلام هي التي أقنعت آدم عليه السلام بأكل ما نهى عنه الله تعالى بعد أن أغواهما الشيطان إبليس اللعين، والحقيقة أن آدم هو الذي أقدم على ما نهاه الله تعالى عنه، وإنما هي شاركته الأكل ولم تقنعه، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتۡ لَهُمَا سَوۡءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخۡصِفَانِ عَلَيۡهِمَا مِن وَرَقِ ٱلۡجَنَّةِۖ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمَا عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٢٢ ﴾ (الأعراف).

- قال الإمام عليه السلام [١]: اختار آدم عليه السلام خيرةً من خلقه وجعله أول جبلّته وأسكنه جنته وأرغد فيها أكله وأوعز إليه فيما نهاه عنه، وأعلمه أن في الإقدام عليه التعرض لمعصيته والمخاطرة بمنزلته، فأقدم على ما نهاه عنه موافاة لسابق علمه فأهبطه بعد التوبة ليعمر أرضه بنسله وليقيم الحجة به على عباده.

وعندما عوتب على التسوية في العطاء[٢]:

- أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن ولّيت عليه! والله ما أطور به ما سمر سمير وما أمّ نجمٌ في السماء نجماً، لو كان المال لي لسوّيتُ بينهم، فكيف وإنما المال مال الله ألا وإن إعطاء المال في غير حقه تبذير وإسراف، وهو يرفع صاحبه في الدنيا ويضعه في الآخرة، ويكرمه في الناس ويهيئه عند الله ولم يُضيّع امرؤ ماله في غير حقه ولا عند غير أهله إلا حرمه الله شكرهم وكان لغيره ودّهم فإن زلت به النعل يوماً فاحتاج إلى معونتهم فشرٌّ خليلٍ وألأمُ خدين.

وفيما أخبر به من الملاحم بالبصرة ونفى علمه بالغيب الذي احتفظ الله تعالى به[٣]:

- كأني أراهم قوماً كأنّ وجوههم المجانُّ المطرّقة، يلبسون السّرق والديباج ويعتقبون الخيل العتاق، ويكون هناك استحرار قتل حتى يمشي المجروح على

١- نهج البلاغة ص٢٢٧، وجبلّته: خلقته.

٢- نهج البلاغة ص٢٩٤ ما أطور به، من: طار يطور: حام حول الشيء، أي: ما قاربه، مبالغة في الابتعاد عن العمل بما يقولون، وما سمر سمير، أي: مدى الدهر، وما أم نجم في السماء نجماً، أي: ما قصد نجم نجماً، وخدين: صديق.

٣- نهج البلاغة ص٢٩٧-٢٩٨، المطرقة: التي يطرق بعضها على بعض كالنعل مطرقة، أي: المخصوفة، والأحسن أن يقال: التي ألزق بها الطرق وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به، والسرق: شقق الحرير الأبيض أو الحرير عامة، ويعتقبون: يحسبون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم، واستحرار القتل: اشتداده.

المقتـول ويكون المفلت أقل من المأسـور، فقال له بعض أصحابه: لقد أعطيت يـا أميـر المؤمنين علم الغيب، فضحك – عليه السـلام – وقـال للرجل- وكان مـن قبيلة كلـب - : يا أخا كلب ليس هو بعلم غيبٍ وإنمـا هو تعلُّمٌ من ذي علم، وإنما الغيب علم الساعة، وما عدّد الله سبحانه، بقوله ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلۡغَيۡثَ وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡأَرۡحَامِۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسٞ مَّاذَا تَكۡسِبُ غَدٗاۖ وَمَا تَدۡرِي نَفۡسُۢ بِأَيِّ أَرۡضٖ تَمُوتُۚ ٣٤ ﴾ (لقمان)، فيعلم الله سـبحانه ما في الأرحام من ذكر أو أنثى وقبيح أو جميل وسـخيّ أو بخيل وشقيّ أو سـعيد ومن يكون في النار حطباً أو في الجنان للنبيين مرافقاً، فهذا علم الغيب الذي لا يعلمه أحد إلا الله، وما سـوى ذلك فعلم علّمه الله نبيّه فعلّمنيه ودعا لي بأن يعيه صدري.

ومما جرى مجرى المثل[1]:

- أيها الناس من عرف من أخيه وثيقة دين وسـداد طريق فلا يسـمعنّ فيه أقاويـل الرجـال أما إنه قد يرمي الرامي وتُخطئ السـهام ويحيل الكلام وباطل ذلك يبور، والله سـميع وشـهيد أما إنه ليس بين الحق والباطل إلا أربع أصابع، فسُـئل عليه السلام عـن معنى قوله هذا، فجمع أصابعه ووضعهـا بين أذنه وعينه، ثم قال: الباطل أن تقول سمعت، والحق أن تقول رأيت.

ومن تقسيمه الظلم بأبلغ عبارة [2]:

- ألا وإن الظلم ثلاثة: فظلم لا يغفر وظلم لا يترك وظلم مغفور لا يطلب، فأما الظلم الذي لايغفر، فالشـرك بـالله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ ... ٤٨ ﴾ (النساء)، وأما الظلم الذي يغفر فظلم العبد نفسه عند بعض الهنات، وأما الظلم الذي لا يترك فظلم العباد بعضهم بعضاً، القصاص هناك شـديد، ليس هو جرحاً بالمُدى ولا ضرباً بالسياط، لكنه ما يستصغر ذلك معه.

ومن بلاغته في كلامه عن الله تعالى[3]:

- لا تدركه العيون بمشـاهدة العيان ولكن تدركـه القلوب بحقائق الإيمان

١- نهج البلاغة ص٣١١، ويحيل: يتغير عن وجه الحق.

٢- نهـج البلاغـة ص٣٧٨ ليس هو جرحاً بالمدى ولا ضرباً بالسـياط، أي: لكنه العـذاب الذي بعد الجرح والضرب يكون صغيراً بالنسبة إليه.

٣- نهج البلاغة ص٣٨٢، تعنو: تذل، ووجب القلب: خفق واضطرب.

قريب من الأشياء غير ملامس، بعيد عنها غير مباين، متكلم بلا روية، مريد بلا همة، صانع بلا جارحة، لطيف لا يوصف بالحاسة، رحيم لا يوصف بالرقة، تعنو الوجوه لعظمته وتجب القلوب من مخافته.

ومن أبلغ ما وصف به المنافقين[١]:

- أوصيكم عباد الله بتقوى الله، وأحذركم أهل النفاق فإنهم الضالون المضلون والزالّون المزلون، يتلوّنون ألواناً ويفتنون افتناناً ويعمدونكم بكل عماد ويرصدونكم كل مرصاد، قلوبهم دويّة وصفاحهم نقية، يمشون الخفاء ويدبّون الضراء، وصفهم دواء وقولهم شفاء وفعلهم الداء العياء، حسدة الرخاء ومؤكّدو البلاء ومقنّطو الرجاء، لهم بكل طريق صريع وإلى كل قلب شفيع ولكل شجو دموع، يتقارضون الثناء ويتراقبون الجزاء إن سألوا ألحفوا[٢] وإن عدلوا كشفوا وإن حكموا أسرفوا، قد أعدّوا لكل حق باطلاً ولكل قائم مائلا ولكل حي قاتلاً ولكل باب مفتاحاً ولكل ليل مصباحاً، يتوصلون إلى الطمع باليأس ليقيموا به أسواقهم وينفقوا به أعلاقهم[٣]، يقولون فيشبهون ويصفون فيموّهون قد هوّنوا الطريق وأضلعوا المضيق[٤]، فهم لمّة[٥] الشيطان وحمّة[٦] النيران ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱلشَّيۡطَٰنِ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٩ ﴾ (المجادلة).

ومما جرى مجرى الأمثال[٧]:

- تقولون: النار ولا العار كأنكم تريدون أن تُكْفئوا الإسلام على وجهه انتهاكاً لحريمه ونقضاً لميثاقه الذي وضعه الله لكم حرماً في أرضه وأمناً بين خلقه، وإنكم إن لجأتم إلى غيره حاربكم أهل الكفر، ثم لا جبرائيل ولا

١- نهج البلاغة ص٤٤٢-٤٤٣، يفتنون: يأخذون في فنون من القول لا يذهبون مذهباً واحداً، دوية: مريضة، ويذبون الضراء يسرون سريان المرض في الجسم، والداء العياء: الذي أعيى الأطباء ولا يمكن منه الشفاء، ولكل شجو دموع: يبكون تصنعاً متى أرادوا.
٢- ألحفوا: بالغوا بالسؤال وألحوا.
٣- الأعلاق: الأشياء النفيسة، يقولون فيشبهون الحق بالباطل.
٤- وأضلعوا المضيق: يجعلونه معوجاً يصعب تجاوزه فيهلك من سلكه.
٥- اللمة: الجماعة من الثلاثة إلى العشرة.
٦- الحمة: الإبرة التي تلسع بها العقرب ونحوها، والمراد هنا: لهيب النيران.
٧- نهج البلاغة ص٤٣٢-٤٣٣.

ميكائيل ولا مهاجرون ولا أنصار ينصروكم إلا المقارعة بالسيف حتى يحكم الله بينكم.

ومثل ذلك أيضاً كتابه إلى عبد الله بن العباس[١]:

- أما بعد فإنك لست بسابق أجلك ولا مرزوق ما ليس لك واعلم بأن الدهر يومان يوم لك ويوم عليك وأن الدنيا دار دول فما كان منها لك أتاك على ضعفك وما كان منها عليك لم تدفعه بقوتك.

ومن وصيته لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج على الخوارج[٢]:

- لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجوه، تقول ويقولون، ولكن حاججهم بالسنة فإنهم لم يجدوا عنها محيصاً.

ومن قوله لابنه الحسن عليه السلام [٣]:

- يا بني احفظ عني أربعاً وأربعاً، لا يضرك ما عملت معهن: أغنى الغنى العقل وأكبر الفقر الحمق وأوحش الوحشة العجب وأكرم الحسب حسن الخلق، يا بني إياك ومصادقة الأحمق فإنه يريد أن ينفعك فيضرك وإياك ومصادقة البخيل فإنه يبعد عنك أحوج ما تكون إليه، وإياك ومصادقة الفاجر فإنه يبيعك بالتافه، وإياك ومصادقة الكذاب فإنه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب.

ومن وصاياه

- أوصيكم بخمس[٤]: لا يرجوَنَّ أحدكم إلا ربه، ولا يخافن إلا ذنبه، ولا يستحينّ أحدكم إذا سئل عمالا يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يستحينّ أحدكم إذا لم يعلم الشيء أن يتعلمه، وعليكم بالصبر فإن الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد، ولا خير في جسد لا رأس معه ولا في إيمان لا صبر معه.

١- نهج البلاغة ص٦٤٠.
٢- نهج البلاغة ص٦٤٣، حمال: يحمل معاني كثيرة إن أخذت بأحدها احتج الخصم بالآخرة، والمحيص: المهرب.
٣- نهج البلاغة ص ٦٥٨-٦٥٩، وأحوج حال من الكاف في (عنك).
٤- نهج البلاغة ص ٦٦٦.

- كان في الأرض أمانان من عذاب الله[١]، وقد دفع أحدهما فدونكم الآخر فتمسكوا به، أما الأمان الذي رفع فهو رسول الله ﷺ وأما الأمان الباقي فالاستغفار، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾(الأنفال).

ومن إرشاد الناس إلى التمسك بالمثل العليا والخصال الحميدة باستعمال (لا) النافية للجنس في النحو وهذا من أبلغ القول[٢]:

- لا مال أعود من العقل ولا وحدة أوحش من العجب ولا عقل كالتدبير ولا كرم كالتقوى ولا قرين كحسن الخلق ولا ميراث كالأدب ولا قائد كالتوفيق، ولا تجارة كالعمل الصالح ولا ربح كالثواب ولا ورع كالوقوف عند الشبهة ولا زهد في الحرام ولا علم كالتفكر ولا عبادة كأداء الفرائض ولا إيمان كالحياء والصبر ولا حسب كالتواضع ولا شرف كالعلم ولا عز كالحلم ولا مظاهرة أوثق من المشاورة.

ومن صياغته التعجب بأبلغ العبارات[٣]:

- عجبت للبخيل يستعجل الفقر الذي منه هرب ويفوته الغنى الذي إياه طلب فيعيش في الدنيا عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء، وعجبت للمتكبر الذي كان بالأمس نطفة ويكون غداً جيفة، وهو يرى الموتى، وعجبت لعامر دار الفناء وتارك دار البقاء.

ومن تقسيمه الناس بحسب وجود معلوماتهم أو عدم ذلك[٤]:

- الناس ثلاثة: فعالم رباني ومتعلم على سبيل نجاة وهمج رعاع أتباع كل ناعق يميلون مع كل ريح لم يستضيئوا بنور العلم ولم يلجؤوا إلى ركن وثيق.

ومن استعماله أسلوب المفعول لأجله في النحو بأبلغ تعبير[٥]:

- فرض الله الإيمان تطهيراً من الشرك والصلاة تنزيهاً عن الكبر والزكاة

١- نهج البلاغة ص ٦٦٧.
٢- نهج البلاغة ص ٦٧٤، وأعود: أنفع.
٣- نهج البلاغة ص ٦٧٧.
٤- نهج البلاغة ص ٦٨٣.
٥- نهج البلاغة ص ٧٠٣-٧٠٤، والمجاحدات: جمع مجاحدة وهي الإنكار والجحود.

تسـبيباً للرزق والصيام ابتلاء لإخلاص الخلق والحج تقربة للدين والجهاد عزاً للإسـلام والأمـر بالمعروف مصلحة للعوام والنهي عن المنكر ردعا للسـفهاء وصلة الرحم منماة للعدد والقصاص حقناً للدماء وإقامة الحدود إعظاماً للمحارم وترك شـرب الخمر تحصيناً للعقل ومجانبة السـرقة إيجابـاً للعفة وترك الزنا تحصيناً للنسب وترك اللواط تكثيراً للنسل والشهادة استظهاراً على المجاحدات وترك الكذب تشريفاً للصدق والسلام أماناً من المخاوف والأمانات نظاماً للأمة والطاعة تعظيماً للإمامة.

بسم الله الرحمن الرحيم
الله لا اله الا هو الحي القيوم لا تاخذه سنة ولا نوم له ما في السموات
وما في الارض من ذا الذي يشفع عنده الا باذنه يعلم ما بين
ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء وسع كرسيه
السموات والارض ولا يؤده حفظهما وهو العلي العظيم لا اكراه في الدين
قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم الله ولي الذين امنوا
يخرجهم من الظلمات الى النور والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت
يخرجونهم من النور الى الظلمات اولئك اصحاب النار هم فيها خالدون

ثقافة الحوار والانفتاح على الآخر

الدكتور محمد نظام
نائب رئيس مجمع السيد رقية عليها السلام للشؤون الإدارية

تمهيد

في عصرنا الذي نعيش.. حيث تفشّت ثقافة القتل وإلغاء الآخر،وامتلأت الصدور والدروب بنواتج ومخلّفات التطرف الديني والتعصب المذهبي والتمييز العرقي والتباغض القومي، فخيّمت بذلك الفوضى الخلّاقة التي أرادها وخطط لها أمريكا وإسرائيل،وقام بتنفيذها طوابير من الجهلة والمغرّرين، وموّلها ممالك ودويلات لم تلتفت أنّها ستكتوي وتحترق عاجلاً أو آجلاً، بنار قد أوقدتها، وفتن قد أيقظتها.

في عصرنا الذي نعيش..عصر الخريف العربي الذي لم يعد أشهراً في عام واحد، بل امتد إلى سنوات في عقد واحد، قابله ربيع مزهر تعيشه إسرائيل، وتشهد فيه على محيطها القريب والبعيد، تزعزعاً في النفوس قبل الجيوش، وسقوطاً للقيم والتراث قبل الحصون والقلاع.

في عصرنا الذي نعيش.. أصبحنا بحاجة ماسّة إلى تعزيز الوعي وإلى عمل وجهد دؤوب غايته صناعة الإنسان العاقل المنفتح المتوازن الذي يعي كيف يتعايش مع الآخرين تحت سقف الوطن، وذلك من خلال تكريس لغة التواصل والحوار، والسير في درب التكامل والانفتاح.

علاقة الإنسان بالحوار

يمتاز الإنسان عن باقي الكائنات بالعقل والنطق،ولسانه ترجمان عقله،كماأنّه بفطرته وأصل خلقته كائن اجتماعي،يأنس ويألف الآخر،ويعتبر الحوار بالنسبة للإنسان حاجة أساسية وضرورية كالهواء والماء والغذاء، وقد لازمته منذ آدم عليه السلام وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، بل كلّما تقدمت العلوم والمعارف والحضارات وتعدّدت الرؤى الفكرية والسياسية والاقتصادية على مستوى العالم بأسره،زادت الحاجة إلى الحوار والانفتاح والتواصل والتعاون سواء بين الأفراد أو بين الأمم والشعوب .

كيف يصل الحوار إلى مبتغاه ؟

إنّ أمّتنا ومجتمعاتنا أحوج ما تكون اليوم إلى تفعيل ثقافة الحوار والانفتاح على الآخر أكثر من أي وقت مضى، وهذا الحوار والانفتاح لا يمكنه أن يصل إلى مبتغاه إلّا بتحقق أمرين اثنين :

أولهما : انفتاح القلب والعقل معاً

فما لم يفتح الإنسان قلبه خلال الحوار لن يصل إلى حالة التفهم، وما لم يفتح الإنسان عقله لن يصل إلى حالة الفهم،وبالتالي كل حوار غير مبني على الفهم والتفهم لا فائدة منه ولا جدوى بل سيؤدّي إلى نتائج عكسية . ففي الحوار المذهبي على صعيد المثال نجد أنّه إذا أقفل القلب سدّت أبواب التفهم،ووصل الأمربين طرفي الحوار إلى التكفير،وإن أغلق العقل سدّت أبواب الفهم،ووصل الأمر بينهما إلى التجهيل والتسخيف وإطلاق الأحكام المسبقة.

وثانيهما: الانفتاح على الذات

نعني بذلك ضرورة أن يتعرف الإنسان على حقيقة آرائه وأفكاره وأن يدرك الحجج والأدلة التي يستند إليها قبل أن ينفتح على الآراء والأفكار الأخرى ومن ثم يقوم بدور المقارنة والمقايسة واختيار الأفضل والأنسب منها.

وفي مجتمعاتنا نجد الكثير ممن يكتفون بالمظاهر والقشور والموروثات الاجتماعية دون أن ينفتحوا على ذواتهم،هؤلاء بالذات ما أن لاح لهم رأي أو

فكـر يمتلك جاذبية الطـرح وقوة الإعلان إلّا وتراهم أقبلوا عليه وانشـدوا إليه مباشرة، رغم القاعدة التي تقول:

ليس كل رأي آخر هو الأفضل وليس كل فكر جديد هو الأحسن.

وإذا ما عدنا إلى الحوار المذهبي كمثال لتلمّسّـنا حالة حدثت منذ عشـرات السنين بين قامتين مسلمتين في عصرهما هما المرجع السيد عبد الحسين شرف الدين في لبنان والشـيخ سـليم البشـري إمام الأزهر الشـريف في مصر،حيث اتفقاعلى تبادل الرسـائل بينهما تضمنت الاسـتفهام والسـؤال حول كافة النقاط الخلافية بين مدرسة أهل البيت ومدرسة الخلفاء وبالتالي عرض الحجج والأدلة على الأجوبة المطروحة، وهذه الرسـائل جمعت في كتاب سمّي (المراجعات) طبع منه مئات الطبعات، ولعل هذه الحالة من الحوار خير مثال على انفتاح كل من القلب والعقل معاً مع الانفتاح على الذات.

عوامل تكريس حالة الانغلاق وتعطيل الحوار في مجتمعاتنا

إنّ ما نعيشـه اليوم من أزمات واضطرابات وتناقضات ليس وليد السـاعة ولا اليوم ولا السنة، بل نتيجة طبيعية لمقدمات وعوامل تراكمت عبر عشرات السـنين وسـاهمت في تكريس حالة الإنغلاق والتعصـب والتطرف بل رفض الآخر،وتتعدد هذه العوامل بتعدد جذورها ومصادرها:

فعلـى الصعيد التربوي: نجد أنّ الكثير من الأسـر وعبـر تاريخ طويل قد ربّـت أطفالها على الخـوف والحذر من الآخر وتحت عناويـن وألقاب متعددة (البعبع - الشـرطي - .... الخ) كما نجد أنّ الأب أو الأم أو كليهما يمارسـان أسـلوب الأمـر والزجر مـع الأولاد دون إعطائهم أي فرصـة للنقاش أو إثارة التفكير.

وعلى الصعيد التعليمي : نجد أنّ أغلب الأسـاليب التعليمية قد انتهجت أسـلوب التلقين وفرض الرأي الواحد وعدم الحرص علـى الحالة التفاعلية بين الطالب والمدرس،بينما فيما قرأت عن أسلوب التعليم في اليابان أنّ مادة تـدرّس في كامـل المرحلة الابتدائية بعنوان (طريـق إلى الأخلاق) تهدف

إلــى التربية وغرس المفاهيم والقيم الاجتماعية وبناء الشــخصية وليس فقط التعليم والتلقين .

وعلى الصعيــد الاجتماعي: نجــد أنّ العلاقــة بين التكتــلات الاجتماعية والانتمــاءات الفكريــة المختلفة في المجتمــع الواحد وصلت إلى حــدّ القطيعة والتنافــر بــدل حالة التكامل والتنافس الإيجابي،بل نجــد أنّ تواصل وانفتاح أي فرد من مجموعة مع أفراد من مجموعة أخرى بات يعتبر لوناً من ألوان الخيانة للمجموعة الأم وتعبيراً عن انعدام الولاء وميوعة الانتماء.

وعلى الصعيدين الديني والمذهبي: نجد أنّ معظم التوجيه الديني قد انتهج ولا يزال أســلوب التعصب والتشنج،فكل طرف يرى أنّه يمثّل الحق والصواب وأنّه الفرقة الناجية وباقي الفرق إلى النار،وهذا النمط من الخطاب المذهبي نجده لدى المأجورين في كل الأطراف،والأمثلة كثيرة وواسعة ويمكن الاستشهاد بما يســمّى الشــيخ العرعور وأمثاله من جهة وبما يسمّى الشيخ ياسر الجبيب المقيم في لندن وأمثاله من جهة أخرى، وهذا النمط لم يكتف بالتشــهير والتشــويه بل وصــل إلى مقاطعة الآخر وردعه بكل الوســائل المتاحة.والأمــر يزداد تعقيداً وتأثيراً عندما يتخطّى ممارسات الأفراد ليصل إلى مؤسسات لها دورها ووزنها في العالم الإســلامي برمّته،حيث أقام الأزهر الشــريف في أواخر العام ٢٠١٥ ندوة بعنوان (انتشــار التشــيع وخطر التمدد الشــيعي) كما طرح مسابقة ثقافية كبرى بعنوان (نشر التشيع في المجتمع السنّي،أسبابه،مخاطره،كيفية مواجهته) وأعلن عن جوائزللمشــاركين بقســميها الأدبي والفني تصل إلى ٥٠٠٠٠ جنيه مصري!!.

وعلى الصعيد السياســي: نجد أنّ الأمر يزداد ســواداً فــي ظل حكومات تقمــع الرأي الآخر بل لا تســمح لأي لون من ألــوان المعارضة،وتعتبرأنّ كل مــن يخالفها الرأي والمنهج يســتحق أقصى العقوبات لأنّه شــقّ عصا الطاعة، ونستشــهد هنا بالشيخ باقر النمر في الســعودية الذي دعا فقط إلى تحقيق بعض الإصلاحــات لكل المواطنين وليس لفئــة أو طائفة معينة وكيف انتهى به الأمر إلى اعتقاله وقطع رأسه.!!

وفي هذا السياق نشير إلى نوعين من الأنظمة في أسلوب تعاطيها مع الرأي الآخر،فمنها من لا يقبل أبداً بتعددية الآراء ويحاسب على ذلك،ومنها من يسمح بفتح باب الحوار والمشاركة.وبالمقابل فإنّ المعارضة تنقسم ما بين المبالغة في التشدّد وأخذ المواقف من السلطة واعتبار أي حوار معها حالة من التراجع والخيانة وما بين الدخول في دوائر الحوار والانفتاح وكل ما يحقق المصالح العامة للبلاد والعباد.

الأسباب المباشرة التي تؤدّي إلى محاصرة العقل وعدم الانفتاح

إنّ مجمل العوامل والأسباب التي تعرضّنا لها والناشئة بفعل الأساليب الخطأ في مجالات التربية والتعليم والخطاب الديني والسياسي يمكن اعتبارها أسباباً بعيدة أوغير مباشرة، إلّا أنّ هناك أسباباً قريبة ومباشرة تمنع إطلاق العقل وتغلق كل الأبواب على الإنسان.

الأسباب المباشرة الداخلية : تتعلق بالصفات الشخصية والذاتية للفرد.

١ـ الجهل والسذاجة: كل من يدرك قيمة العلم والمعرفة تجده يتطلّع إلى الحقيقة والصواب،ويبحث عن الرأي الأفضل والأكمل باستمرار،وأمّا الجاهل الساذج فهو يعيش الشعور بالامتلاء والاكتفاء،بحيث يرى أنّ ما لديه من قناعات وتوجهات هي عين الحقيقة المطلقة والسسقف الأعلى للمعرفة.

وقد قسّمت الروايات الناس إلى أربعة أصناف، فمنهم من يعلم ويعلم أنّه يعلم، ومنهم من يعلم ولا يعلم أنّه يعلم، ومنهم من لا يعلم ويعلم أنّه لا يعلم، ومنهم من لا يعلم ولا يعلم أنّه لا يعلم!!! وهم الجهل بعينه.

٢ـ اللامبالاة: صفة تجعل صاحبها غير معني وغير مكترث بتكوين رأي أو اتخاذ موقف، وكل اهتمامه بشؤونه ومتطلباته الخاصة فقط.

٣ـ الكسل والتبلد الذهني: صفة تمنع صاحبها من تحريك الذهن وبذل الجهد في التمحيص بين الآراء والافكار.

٤ـ ضعف الثقة بالذات: صفة تجعل صاحبها ينظر إلى نفسه أنّه غير مؤهل لتكوين رأي وغير قادر على التمييز بين الخطأ والصواب وتجعله بالتالي من أصحاب التقليد الأعمى.

٥ـ الخوف من الرأي الآخر: صفة تجعل صاحبها يتهرب من أي حوار أو مناقشة لكونه لا يملك إمكانية الدفاع عن آرائه.

٦ـ الغرور والاستبداد بالرأي: صفة تجعل صاحبها يترفع عن محاورة الآخرين لاعتقاده الراسخ بصوابية رأيه، ولاستخفافه بالآخرين.

وأمّا الأسباب المباشرة الخارجية فتتلخص في سببين اثنين:

١ـ وجود تضليل إعلامي مركّز ومضاد للرأي الآخر مما يساهم في الحشد والتعبئة وإطلاق المواقف والأحكام المسبقة بحقّه.

٢ـ وجود قوة تمارس دور الوصاية والقمع الفكري مما يساهم في الحدّ من حرية الفكر ومنع نشر الآراء المخالفة والمعاقبة عليها.

هل من بديل عن الحوار في مجتمع ساد فيه الاختلاف؟

عندما يتعطل الحوار يصبح المجتمع أمام أحد خيارين:

١ـ إمّا هيمنة إرادة معينة أو فكر معين وبالتالي خضوع باقي الأطراف لتلك القوة والإرادة خضوعاً ظاهرياً وقهرياً يحمل في باطنه الشعور بالغبن والظلم والتحفز للتمرد والتغيير مما يجعل العلاقة بين القوة المهيمنة وباقي الأطراف علاقة قلق وترقب وحذر وتوتر ينعدم في ظلّها التعاون البنّاء لما فيه مصلحة الوطن العامة.

٢ـ ترسيخ حالة من التنافر والتناحر بين كافة الأطراف التي تؤدّي إلى انغلاق كل طرف على ذاته مع حشده واستنفاره ضد الآخرين، إلى أن تجد الأطراف المختلفة نفسها في مأزق حرب وتصادم لا خروج منه.

إنّ غياب الحوار الفاعل والبنّاء من جهة، والحضور المكثّف لخطاب التطرف والتعصب من جهة أخرى، هو الذي يفتح الباب على مصراعيه أمام الفتن والانقسامات الدينية والمذهبية، والصراعات العرقية والقومية. وعلى الصعيد الأسري تنطبق المعادلة نفسها، فالكثير من حالات الطلاق أو التفكك والخصام، تنجم عن أسلوب الهيمنة والتفرد في الرأي، وغياب أسلوب التفهم والاحترام والود المتبادل بين الزوجين، أو بين الأهل والأولاد.

كيف ينظر الإسلام إلى الحوار؟

أشــار القرآن الكريم في العديد من آياته إلى أهميّة الحوار وأنماطه وأهدافه وذلك لإرشادنا وتعليمنا ما ينفع حياتنا ووجودنا، نأتي على بعض منها:

- حوار الله سبحانه وتعالى مع الملائكة :

﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (البقرة)

- حوار الله عزّ وجلّ مع إبليس حول السجود لآدم:

﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ۖ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ ۖ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ ﴾(ص)

إلى نهاية الحوار الذي وافق فيه الله عزّ وجلّ على طلب إبليس

﴿ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴿٧﴾ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ ﴾(الأعراف)

- الحضّ على التشاور في مختلف تفاصيل الحياة،والتشاور ليس إلّا حالة من حالات الحوار والانفتاح.

﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ ۖ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران)

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (الشورى)

بل الحض على التشــاور في أدق المسائل الحزئية والصغيرة على الصعيد الأســري،كإنجاب الأولاد أو عدم الإنجاب،وكذلك في مســألة فطام الطفل عن حليب أمّه.

﴿ وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا

وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٣﴾ ﴾(البقرة)

وأيضاً في حال الخلافات الزوجية:

﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُواْ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَـٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا ﴿٣٥﴾ ﴾ (النساء)

- دعوة قرآنية صريحة إلى الاستماع للآخر مع الدراسة والتمحيص لما يقال والقبول به عند ثبوت صحته.

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّـٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿١٨﴾ ﴾ (الزمر)

- الدعوة إلى الحوار الحسن.

قَالَ تَعَالَىٰ: أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۖ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾ (النحل)

وبالمقابل هناك العديد من الآيات القرآنية التي ذمّت واستنكرت حالة الانغلاق الفكري ووصفت أصحابها بصفات سلبية، نستشهد منها بكلام النبي نوح عليه السلام :

﴿ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَـٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ (نوح)

حيث الاشارة إلى قوم نوح على عدم الاستماع لدعوته وتغطية وجوههم بثيابهم كي لا يروه ويتأثروا بخطابه ووصفهم بالمستكبرين.

وأمّا على صعيد السيرة والأحاديث الشريفة فنجد الكثير من المناظرات التي كان يجريها أئمتنا مع أتباع الديانات أو المذاهب الأخرى أو حتى مع الملاحدة وكلها بالشكل العلمي والمنهجي والمنطقي المبني على الحجة والعقل والبرهان، وقد قام الشيخ الطبرسي بجمع هذه المناظرات في كتاب أسماه (الاحتجاج) وهو من أنفس الكتب التي أبرزت حالات الحوار الإيجابي والبنّاء.

وقـد ورد عن الإمام علي عليه السلام: «الحكمة ضالّة المؤمن، فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق» (نهج البلاغة / قصار الحكم ٨٠).

كما ورد عن النبي عيسـى عليه السلام: «خذوا الحق من أهل الباطل ولا تأخذوا الباطل من أهل الحق،كونوا نقّاد الكلام». (بحار الأنوار ط٣ ج٢ ص٩٦)

أخلاقيات الحوار

في أيّ مسـتوى من مسـتويات الحوار هناك عدد من الآداب والأخلاقيات يجب التحلّي بها من الطرفين للوصول إلى النتائج المرجوة منه.

١ـ الهدف النبيل وسلامة المقصد:

يجب أن يكون الهدف من الحوار البحث عن الحقيقة والصواب والوصول إلـى فهم متبادل بين طرفي الحوار،وأمّا إذا كان المقصد إظهار الغلبة والإفحام أو الشـهرة أو ممارسة الجدل للجدل،فهذا يعني أن الحوار سيكون عقيماً وغير منتجٍ.

٢ـ موضوعية البحث ومنهجيته:

لا بـدّ في الحـوار من تحديد موضوع البحث والحوار وذلك لعدم تشـعيب الحـوار وغياب الفكرة الأساسـية،كما لا بد من تحديـد المصطلحات والمفاهيم والاتفـاق على مدلولاتها،كما ينبغي الاحتـكام للأدلة والبراهين والاعتراف بها وعدم المكابرة ورفضها.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ ٨ ﴾ (الحج)

٣ـ الاحترام المتبادل وحسن الإنصات:

ينبغي أن تسود أجواء الحوار درجة عالية من التقدير والاحترام المتبادل،لأن أجواء التوتر النفسي والشحن والبغضاء تعكّر استمرار الحوار بل ستؤدّي إلى نتائج سلبية وهدّامة.

وقد سـاهمت العديد مـن القنـوات الفضائية بالتحريض الطائفي وإشـاعة الفتن من خلال اختيارها المتعمد لأشـخاص يسـيئون للفكرة ويعمّقون الخلاف ويرسّخونه.

وفي هذا السياق نستشهد بأمر الله عزّ وجلّ لنبييه موسى وهارون عليهما السلام مخاطبة الطاغية فرعون بلين الكلام.

﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾ (طه)

كما نستشهد بأسلوب حوار الإمام جعفر الصادق عليه السلام مع ملاحدة عصره،حيث حدّث المفضل بن عمر أنّه سمع ذات يوم كلاماً إلحادياً من إبن أبي العوجاء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول :

« فلم أملك نفسي غضباً وغيظاً وحنقاً،فقلت يا عدو الله،ألحدت في دين الله، وأنكرت الباري جلّ قدسه. فردّ عليه ابن أبي العوجاء قائلاً: يا هذا إن كنت من أهل الكلام كلّمناك، فإن ثبت لك حجة تبعناك، وإن لم تكن منهم فلا كلام لك،وإن كنت من أصحاب جعفر بن محمد الصادق فما هكّذا يخاطبنا،ولا بمثل كلامك يجادلنا،ولقد سمع من كلامنا أكثر مما سمعت، فما أفحش في خطابنا،ولا تعدّى في جوابنا،وإنّه للحليم الرزين، العاقل الرصين، لا يعتريه خرق ولا طيش ولا نزق، ويسمع كلامنا، ويصغي إلينا، ويستغرق حجتنا، حتّى إذا ما استفرغنا ما عندنا، وظننا أنّا قد قطعناه، أدحض حجتنابكلام يسير، وخطاب قصير، يلزمنا به الحجة، ويقطع العذر، ولا نستطيع لجوابه رداً، فإن كنت من أصحابه فخاطبنا بمثل خطابه» (بحار الأنوار، ط٣، دار إحياء التراث العربي، بيروت،١٩٨٣،ج٣،ص٥٧-٥٨)

وكل ما ذكرناه يؤكد أنّ من مقوّمات وشروط نجاح الحوار، الاحترام المتبادل أي إبداء الترحيب بالطرف الآخر، ومخاطبته باحترام، والإصغاء لكلامه، وعدم مقاطعته، وعدم تجريح شخصيته، أو إهانة رموزه ومقدّساته.

٤ـ التركيز على المشتركات ونقاط الالتقاء:

لا بد في الحوار من تركيز الطرفين على المشتركات ونقاط الالتقاء، والانطلاق منها إلى معالجة ومناقشة القضايا الخلافية والوصول إلى النتائج الإيجابية.

﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (العنكبوت)

وإذا كانت موارد الاتفاق والالتقاء مع أهل الكتاب كثيرة فهي أكثر بكثير بين المذاهب الإسلامية،ورغم ذلك نشـهد غياب الحوار الهادئ العقلاني وحضور تبادل الإتهامات والإساءات بين الفرق والمذاهب الإسلامية.

٥ـ تقبّل تعددية الآراء والتعايش معها:

لا بد في الحوار من اسـتعداد كافة الأطـراف القبول بالتعددية والاعتراف بالآراء الأخرى،وذلك في حال لم يصل الحوار إلى إقناع طرف لآخر.

فالدنيا تتسـع للجميع والحياة حق مشـترك،وحرية العمل والحركة والفكر حق لكل الناس.

فعلى الصعيد الديني: ليس كل من لا يؤمن بالله ليس بإنسـان،بل له حقوقه ويتوجب التعامل معه بالعدل والإحسان ما لم يمارس الظلم والعدوان.

وقـد ورد عـن أمير المؤمنيـن الإمام علي عليه السلام في عهده إلـى واليه على مصر (مالك الأشتر):

«وأشـعر قلبك الرحمة للرعيـة والمحبة لهم واللطف بهم ولا تكونن عليهم سـبعاً ضارياً تغتنـم أكلهم فإنهم صنفان إمّا أخ لك فـي الدين وإمّا نظير لك في الخلق». (نهج البلاغة ج٣ ص٨٤)

وأمّا على صعيد المذاهب فأيضاً ليس المطلوب أن يصبح السنّي شيعياً ولا الشيعي سنيّاً،بل التفهم والاحترام المتبادل.

الخاتمة

في ختام البحث لا بد من التعرّض إلى ما تمارسـه داعش منذ سـنوات من رفض للآخر بل الإلغاء وقطع الأعناق والتكفير لكل من يختلف معها في الفكر والسـلوك،وهي في ذلك تجسّـد ذروة التطرف والإنغلاق،وتضرب في عرض الحائط كل القيم والأخلاق التي دعا إليها الإسـلام الحنيف وجسّـدها رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم .

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُوٓاْ ءَالِهَةً مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ هُمۡ يُنشِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الأنبياء)

بدوی ١٣٥٢

من سبل الوقاية من الافتراق

الدكتور الشيخ علاء الدين محمود زعتري
مدير الإفتاء العام والتدريس الديني، وزارة الأوقاف

الاختلاف والتفرق من مظاهِر السلوك البشري نتيجة الحَرَكة العقلية والفِكرية، وهو مِن السُّنن والقوانين التي أقام عليها ربُّ العالمين نظامَ الكوْن والحياة.

وقد اتفق العقلاء من الناس على أن الاجتماع والائتلاف مطلب ضروري لا غنى عنه لأمة تريد الصلاح والنجاح والفلاح.

وجاء الشرع الحنيف بالتأكيد على هذا الأصل ورعايته، لكن المواقف والأحداث تعصف بالناس، فكان من الضرورة بمكان أن يتم التأكيد على المعاني الأصيلة للإسلام، والوصية بها.

ذلكم أنَّ الاختلاف يعني تباينَ وجهات النظر في قضية مِن القضايا، أو في الحُكم على شيءٍ من الأشياء، أو في تصوُّر حدَثٍ مِن الأحداث.

نعم، لقد أفرزت الأحداث الأخيرة في عالمنا العربي والإسلامي اختلافاً في الآراء والمواقف، وتبايناً وصل إلى حد الشقاق والفراق، ويُلاحظ أن الاختلاف اتسعت رقعته، وزادت شقته، فوصل إلى الخلاف والتدابر، والاقتتال والتناحر.

لكن خطورة الاختلاف تتمثَّل في تحوُّله في ظِّل البغي واتباع الهوى إلى فرْقة وانقسام، وتوزُّع طائفي، بحيث تجعل كلُّ فرقة مِن فكرها واجتهادها

محـورًا ترتكز عليه ولا تبرحه، ولا تسـمح لعقل المنتمِي لها أن يتَّجه لسـواه، وهنا يتحـوَّل منتمو الفرق إلى طوائف متصارِعة، ومتشـاحنة، يكتنف حياتهم جوٌّ من العداء والكراهية.

وللأسـف أن هـذا الخلافُ الذي تحـوَّل إلى فرقة يتمُّ غالبًا ـ للأسـف ـ في رِحـاب حملة العلم؛ كما قـال تعالى: ﴿ ...وَمَا ٱخۡتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۖ ...﴿٢١٣﴾ ﴾ [البقرة].

نعم، ومع إدراكنا أن الافتراق حقيقة لا تنكر، وسـنة كونية متكررة، ولكن فـي المقابـل فإنه ليس من شـأنٍ أعظم مِن أن يُوَفَّق الإنسـانُ لاجتنـابِ التفرقِ والخلاف.

قـال الله تعالـى: ﴿ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾ يَوۡمَ تَبۡيَضُّ وُجُوهٞ وَتَسۡوَدُّ وُجُوهٞۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسۡوَدَّتۡ وُجُوهُهُمۡ أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ فَذُوقُواْ ٱلۡعَذَابَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۗ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴿١٠٨﴾ ﴾ [آل عمران].

يقـول الشـاطبي: (فهذا دليل علـى مجيء البيان الشـافي، وأن التفرق إنما حصـل مـن جهة المتفرقين لا من جهة الدليل. فهو إذن من تلقاء أنفسـهم، وهو اتباع الهوى بعينه)[1].

من المهم حين يشـيع خلاف تبدو منه بوادر الافتراق أن يسعى المصلحون للأخذ بزمام المبادرة، فيبذلون وسـعهم في الإصـلاح، ورأب الصدع، قبل أن يتأصل الخلاف، وتطول الخصومة.

وما بين العلاج البعدي، والوقاية القلبية أذكر جملةً من السُبل التي تقي من الافتراق ابتداءً، أو دوامه واسـتمراره، وأيضاً تسـاعد على علاجه ـ بإذن الله ـ فأقول:

(١) الاعْتِصَـام، إبراهيـم بن موسـى بن محمد اللخمي الغرناطي الشـهير بالشـاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ)، تحقيق ودراسـة:، الجزء الأول: د. محمد بن عبد الرحمن الشـقير، الجزء الثاني: د سـعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د هشـام بن إسـماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ ـ ٢٠٠٨ م، ٢٤٩/١.

أولاً: الاعتصام بحبل الله، وذم الافتراق والتحذير منه.

ثانياً: الالتـزام بمنهج التلقي الصحيح المبني على الوحي المُنْزَل على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ثالثـاً: الالتـزام بمنهج الاسـتدلال الصحيـح المبني على القواعد السـليمة المراعية للنصوص بالفهم السليم والاحتجاج الدقيق.

رابعاً: الحذر من سلوك طرائق المنحرفين.

هذا الإجمال، وإليكم التفصيل:

أولاً: الاعتصام بحبل الله ولزوم الجماعة واستصحاب ما ورد من ذم الافتراق والتحذير منه

مـع أن الاختـلاف آية من آيـات الله في الكـون، إلا أن العاقل يدرك أهمية الاعتصام بحبل الله ووجوب عدم التفرق.

يقول سبحانه وتعالى: ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا ۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [آل عمران].

ويقـول عـزَّ وجـلَّ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾ ﴾ [النساء].

ويقـول تبـارك وتعالـى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام].

فعَـنِ النُّعْمَـانِ بْنِ بَشِـيرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُـولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسـلم: «الْجَمَاعَةُ رَحْمَةٌ، وَالْفُرْقَةُ عَذَابٌ»[1].

وعـن ابْـنِ عُمَرَ قَالَ: خَطَبَنَا عُمَـرُ بِالجَابِيَةِ فَقَالَ: يَا أَيُّهَـا النَّاسُ، إِنِّي قُمْتُ

(١) الإبانـة الكبـرى ابن بطة، أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمـدان العُكْبَري المعروف بابن بَطّة العكبري (المتوفى: ٣٨٧هـ)، المحقق: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، ٢٨٧/١.

فِيكُمْ كَمَقَامِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم فِينَا فَقَالَ: «... عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ»(١).

وعَـنْ أمير المؤمنين الإمـام عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: (مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا، فَقَدْ نَزَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ)(٢).

وعَنْ عَرْفَجَةَ بْنِ ضُرَيْحٍ الْأَشْـجَعِيِّ، قَالَ رَأَيْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسـلم وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي هَنَاتٌ وَهَنَاتٌ، فَمَنْ رَأَيْتُمُوهُ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ أَوْ يُرِيدُ أَنْ يُفَرِّقَ أَمْرَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم كَائِنًا مَنْ كَانَ فَاقْتُلُوهُ؛ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، وَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ يَرْكُضُ»(٣).

وعَنْ أُسَـامَةَ بْنِ شَـرِيكٍ، عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسـلم قَالَ: «يَدُ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ، فَإِذَا شَـذَّ الشَّاذُّ مِنْهُمُ اخْتَطَفَهُ الشَّـيْطَانُ كَمَا يَخْتَطِفُ الذِّئْبُ الشَّاةَ مِنَ الْغَنَمِ»(٤).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صلى الله عليه وآله وسلم: «لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى الضَّلَالَةِ أَبَدًا، فَعَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ»(٥).

وعن الحَارِثِ الأَشْعَرِيِّ، أَنَّ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم قَالَ: « آمُرُكُمْ بِخَمْـسٍ، اللَّهُ أَمَرَنِي بِهِنَّ، السَّـمْعُ وَالطَّاعَـةُ وَالجِهَادُ وَالهِجْـرَةُ وَالجَمَاعَةُ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الجَمَاعَةَ قِيدَ شِـبْرٍ فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الإِسْـلَامِ مِنْ عُنُقِهِ إِلَّا أَنْ يَرْجِعَ، وَمَنْ

(١) سـنن الترمذي، محمد بن عيسـى بن سَـوْرة بن موسـى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسـى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاكر (جـ ١، ٢)، ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣)، وإبراهيم عطوة عوض المدرس في الأزهر الشريف (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي – مصر، الطبعة الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م، (٢١٦٥)، ٤٦٥/٤.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة، (١٢٠)، ٢٨٩/١.

(٣) السـنن الكبرى، أبو عبد الرحمن أحمد بن شـعيب بن علي الخراسـاني، النسـائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، حققه وخرج أحاديثه: حسـن عبد المنعم شـلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، (٣٤٦٩)، ٤٢٨/٣.

(٤) المعجم الكبير، سـليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشـامي، أبو القاسـم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ)، المحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية – القاهرة، (٤٨٩)، ١٨٦/١، وكتاب السـنة، أبو بكر بن أبي عاصم وهو أحمد بن عمرو بن الضحاك بن مخلد الشـيباني (المتوفى: ٢٨٧هـ)، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م، (٨١)، ٤٠/١.

(٥) المعجم الكبير، الطبراني (مرجع سابق)، (١٣٦٢٣)، ٤٤٧/١٢.

ادَّعَى دَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جُثَا جَهَنَّمَ»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ؟ قَالَ: «وَإِنْ صَلَّى وَصَامَ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّذِي سَمَّاكُمُ المُسْلِمِينَ المُؤْمِنِينَ، عِبَادَ اللَّهِ»[1].

وما إخبار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما يكون من هذه الأمة من الافتراق إلا على سبيل التحذير والتنفير منه لينجو المسلمون من الوقوع فيه.

لقد كان لأصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم اعتناء بالغ بهذا الأمر، وكان الخلاف في الرأي يحصل بينهم، ومع ذلك كانت النفوس صافية نقية.

وكان بعضهم يعترف بفضل الآخر، فالقلوب متفقة على الاحترام والمحبة، وإن ظهرت بعض الطباع البشرية بين الحين والآخر؛ من التنافس والمزاحمة.

فالفرقة شر وعذاب وزيغ عن الصراط؛ فإن الناس إذا تفرقوا تنافروا، وتعادَوا، وساءت أحوالهم الدينيةِ والدنيوية، وبغى بعضهم على بعض.

والافتراق محرم، كما مرَّ قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [آل عمران].

بل هو من صفات المشركين، قال سبحانه وتعالى: ﴿ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم].

ونزل قوله عزَّ وجلَّ في اليهود والنصارى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ ﴾ [الأنعام].

والمراد: أن لا تقعوا في ما وقع فيه غيركم من الأمم والشعوب، والشرائع والأديان.

ودعا القرآن إلى ضرورة الاجتماع ونبذ الافتراق، يقول سبحانه وتعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا

(١) سنن الترمذي، (مرجع سابق)، (٢٨٦٣)، ١٤٨/٥.

كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ [الشورى].

ومما ورد عن أمير المؤمنين الإمام علي كرَّم الله وجهه، في وصية من أجمع الوصايا: الوصية بعدم التفرق، وهو على حال الطعن قبيل استشهاده، جاء فيها: (وَقَالَ عَلِيٌّ لِلْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ: أَيْ بَنِيَّ أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى اللهِ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ لِوَقْتِهَا، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ عِنْدَ مَحِلِّهَا، وَحُسْنِ الْوُضُوءِ، فَإِنَّهُ لَا يُقْبَلُ صَلَاةٌ إِلَّا بِطَهُورٍ، وَأُوصِيكُمْ بِغَفْرِ الذَّنْبِ، وَكَظْمِ الْغَيْظِ، وَصِلَةِ الرَّحِمِ، وَالْحِلْمِ عَنِ الْجَهْلِ، وَالتَّفَقُّهِ فِي الدِّينِ، وَالتَّثَبُّتِ فِي الْأَمْرِ، وَتَعَاهُدِ الْقُرْآنِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَاجْتِنَابِ الْفَوَاحِشِ، ... ثُمَّ أُوصِيكُمَا يَا حَسَنُ، وَيَا حُسَيْنُ، وَجَمِيعَ أَهْلِي وَوَلَدِي، وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى اللهِ رَبِّكُمْ، وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ، وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا، وَلَا تَفَرَّقُوا، ... وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْناً كَمَا أَمَرَكُمُ اللهُ، وَلَا تَتْرُكُوا الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، فَيُوَلِّيَ أَمْرَكُمْ شِرَارَكُمْ، ثُمَّ تَدْعُونَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَكُمْ، عَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ، وَالتَّبَاذُلِ، وَإِيَّاكُمْ وَالتَّقَاطُعَ، وَالتَّدَابُرَ، وَالتَّفَرَّقَ، وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَاتَّقُوا اللهَ، ... أَسْتَوْدِعُكُمُ اللهَ وَأَقْرَأُ عَلَيْكُمُ السَّلَامَ)[1].

ومن سبل الوقاية من الافتراق:

الاستمساك بالثقلين؛ كتاب الله، وآل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فعَنْ جَابِرٍ، قَالَ: خَطَّ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وآله وسلم خَطًّا، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلٌ»، ثُمَّ خَطَّ خُطُوطًا، فَقَالَ: «هَذِهِ سُبُلُ الشَّيْطَانِ، فَمَا مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهَا شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ النَّاسَ، فَإِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي فَأُجِيبَهُ، وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ،

(١) المعجم الكبير، الطبراني (مرجع سابق)، (١٦٨)، ٩٧/١.

مَنِ اسْتَمْسَكَ بِهِ وَأَخَذَ بِهِ كَانَ عَلَى الْهُدَى، وَمَنْ تَرَكَهُ وَأَخْطَأَهُ كَانَ عَلَى الضَّلَالَةِ، وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ فِي أَهْلِ بَيْتِي»[1].

ولنا في الأمم السابقة والقرون السالفة أخذ العبرة وأخذ الحيطة من الافتراق ونتائجه الوخيمة، وآثاره السلبية، وما يَجُرُّ من ويلات ومآسي.

ومن الاعتصام بحبل الله الطلب منه عزَّ وجلَّ الثباتَ على الحق، مع الالتجاء إليه سبحانه وتعالى بأن يثبتنا على الحق؛ فقد كان من دعاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُ صلى الله عليه وآله وسلم يُكثِرُ أنْ يَقول: «اللهُمَّ يَا مُقلبَ القُلوبِ ثَبتْ قَلبِي عَلى دِينِك»[2].

ثانياً: الالتزام بمنهج التلقي الصحيح المبني على الوحي المُنْزَل على قلب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وهذا السبيل التزام الطريقة الشرعية التي يتم بها تلقي العلم، فالمنهج الصحيح ما كان مصدره الكتاب والسنة والإجماع المبني على الكتاب والسنة والتسليم بما جاء عن الله عزَّ وجلَّ وعن رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن سبيل الوقاية من الافتراق:

١- الحذر من أخذ الدِّين من غير الكتاب والسنة، كالاعتماد على الآراء والأهواء، يقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ وَأَنِ ٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ وَٱحۡذَرۡهُمۡ أَن يَفۡتِنُوكَ عَنۢ بَعۡضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ ...﴿٤٩﴾ ﴾ [المائدة]، ويقول سبحانه: ﴿ ... فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡ عَمَّا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ ...﴿٤٨﴾ ﴾ [المائدة]،

---

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور الطبري الرازي اللالكائي (المتوفى: ٤١٨هـ)، تحقيق: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة – السعودية، الطبعة الثامنة، ١٤٢٣هـ / ٢٠٠٣م، (٩٥)، ٩٠/١.

(٢) الأدب المفرد بالتعليقات، المؤلف: محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: ٢٥٦هـ)، حققه وقابله على أصوله: سمير بن أمين الزهيري، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م، (٦٨٣)، ٣٥٨/١.

٢- الحذر عن أخذ الدِّين من كتب الأدب اللغوية والفلسفة الإلحادية، فقد قَالَ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَا ذَمَّ بِهِ الْمُخَالِفِينَ: ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ٥٣ ﴾ [المؤمنون].

٣- البعد من الاعتماد على المكذوبات والموضوعات من المرويات، فعَنِ المُغِيرَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وآله وسلم يَقُولُ: «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»(١).

ثالثاً: الالتزام بمنهج الاستدلال الصحيح المبني على القواعد السليمة المراعية للنصوص بالفهم السليم والاحتجاج الدقيق

وذلك بـ:

١-البعد عن الاعتماد على الرأي الشخصي في الاستدلال؛ فخطأ الجماعة وقلما يحصل خير من صواب الفرد، والخطأ إلى الجماعة أبعد من الخطأ إلى الفرد، لأن احتمال أن يخطئ الفرد أكثر من أن تخطئ جماعة من الناس.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: (قَضْمُ الْمِلْحِ فِي جَمَاعَةٍ خَيْرٌ مِنْ أَكْلِ الْفَالُوذَجِ فِي فُرْقَةٍ)(٢).

وقال قتيبة بن مسلم: (الخطأ مع الجماعة خيرٌ من الصواب مع الفرقة، وإن كانت الجماعة لا تخطئ، والفرقة لا تصيب)(٣).

وقال الشاعر حافظ إبراهيم:

رَأيُ الجَماعَةِ لا تَشقى البِلادُ بِه ... رَغمَ الخِلافِ وَرَأيُ الفَردِ يُشقيها

فكيف نحقق الاجتماع دون أن تتحد القلوب، وتتآلف النفوس، وتتحدد الأهداف في العقول وتجتمع السواعد المؤمنة؟

فالفريق أهم من الفرد، نعم، خطأ الجماعة خير من صواب الفرد، عندما يملي رأيه ويفرضه بالقوة ويلزمهم به، عندها تفتت الثقة.

---

(١) الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، (١٢٩١)، ٨٠/٢.

(٢) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: ٤٣٠هـ)، الناشر: السعادة - بجوار محافظة مصر، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، ٣٠٥/١٠.

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، ٤٥٥/١.

أمـا رأي المجموعة فإنه ينبئ عن التكاتف ويبنـي الثقة ويعين على تحمل المسـؤولية، فـإن كان صوابًا فالجميع فيه شـركاء وله الأجـر، وإن كان خطأً فالجميع يتعلمون ويعينون أخاهم على النهوض.

٢- الحـذر من تحريف الأدلة عن مواضعها، وأخطر ما يكون الاسـتدلال بغيـر المـراد الأصلي، وذلك بأن يَرِدَ الدليلُ قـد ورد على مناط، فيُصْرَفَ عن ذلك المناطِ إلى أمر آخر؛ بدعوى أن المناطين واحد، أو يتكلف في الاسـتدلال؛ ويلـوي أعناق النصـوص ليؤكد فكرته، لكونه ليس من أهل العلم رسـوخاً في معرفـة كلام العـرب والعلم بمقاصدها، وكذا لعدم رسـوخه فـي العلم بقواعد الأصول التي من جهتها تستنبط الأحكام الشرعية[١].

٣- الحذر من الاستدلال بالمتشابه من القرآن والسنة من غير رَدٍّ له إلى المحكم، يقول الله تعالى: ﴿ ...فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ...﴿٧﴾ ﴾ [آل عمران].

٤- ترك التعلق بالأقوال أو الآراء أو المواقف الشاذة، قَالَ ابْنُ عَبَّاس: (أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَـى الْمُؤْمِنِينَ بِالْجَمَاعَـةِ، وَنَهَاهُمْ عَنِ الِاخْتِلَافِ وَالْفُرْقَـةِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّهُ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ بِالْمِرَاءِ وَالْخُصُومَاتِ فِي دِينِ اللَّهِ) [٢].

رابعاً: الحذر من سلوك طرائق المنحرفين

فإن السعيد مَن وُعِظ بغيره لا مَن وُعِظ بنفسه

عَنْ مُجَاهِـدٍ، في قوله تعالـى: ﴿ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴿١٥٣﴾ ﴾ [الأنعام] قَالَ: (الْبِدَعُ وَالشُّبُهَاتُ) [٣]، ويندرج تحت هذا عدة أمور:

١- الحذر من الجدل والخصومة والمراء في الدين، قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: (تَعَلَّمُوا الْإِسْلَامَ، فَإِذَا تَعَلَّمْتُمُ الْإِسْلَامَ فَلَا تَرْغَبُوا عَنْهُ يَمِينًا وَلَا شِمَالًا، وَعَلَيْكُمْ بِالصِّرَاطِ الْمُسْـتَقِيمِ، وَعَلَيْكُمْ بِسُـنَّةِ نَبِيِّكُمْ، وَالَّذِي كَانَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ، وَإِيَّاكُمْ وَهَذِهِ الْأَهْوَاءَ الَّتِي تُلْقِي بَيْنَ النَّاسِ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ)[٤].

---

(١)الاعتصام، الشاطبي (مرجع سابق)، ٦٩/٢.

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة، ٢٧٥/١.

(٣) الاعْتِصَام، الشاطبي (مرجع سابق)، ٨٣/١.

(٤) السـنة، المؤلف: أبو عبد الله محمد بن نصر بن الحجاج المَرْوَزِي (المتوفى: ٢٩٤هـ)، المحقق: سـالم أحمد السلفي، الناشر: مؤسسة الكتب الثقافية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨، ص ١٣.

٢- الاحتراز من اتباع الظن، وفيه:

أ-البعد عن الجهل والظلم والإعراض عن دين الله تبعاً للهوى، والانغماس في المعاصي والذنوب والآثام، فعن مُحَمَّدُ بْنُ الْمُهَاجِرِ الْأَنْصَارِيُّ، قَالَ: سُئِلَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، عَنِ الْفُرْقَةِ وَالِاخْتِلَافِ، مَا يُوقِعُهُمَا بَيْنَ النَّاسِ؟ قَالَ: (الْبَغِيُّ، وَالْحَسَدُ، وَمَا يُلَائِمُهُمَا مِنَ الْمَعْصِيَةِ، وَمَا يُرِيدُهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْعَامَّةِ مِنَ النِّقْمَةِ) [١].

ب- البعد عن الإعجاب بالرأي، ومحور هذه الصفة هو تعطل روح الجماعة، وتوقف تبادل الخبرات والمشورة. وينتج عن ذلك بروز ظواهر التعصب للرأي، والعجب والكبر والتعالم على الآخرين، وإملاء الرأي وفرضه على الناس. ويكون من نتائج ذلك بروز مجتمعات الكراهية وفقدان الثقة، وشيوع الحسد وانعدام التعاون والوحدة، وتفرق الكلمة، والتستر على الأخطاء والنواقص والعيوب.

وإلى هذا المصير يشير قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ ...﴿٦٥﴾﴾ [الأنعام]. ولقد فسر ابن عباس قوله تعالى: {مِنْ فَوْقِكُمْ} من أمرائكم. و{وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ} من سَفَلَتكم، و{وَيَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} الأهواء والاختلاق. و{وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} يقتل بعضكم بعضًا[٢].

ولا شك أن معاني الآيات تتطور في الأزمنة والأمكنة والتكنولوجيا. فقد يكون من مظاهر: {مِنْ فَوْقِكُمْ} الطائرات والقذائف الصاروخية الناسفة، وقد يكون من مظاهر: {أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا} الأحزاب والمنظمات المتحاربة من أجل غايات مختلطة يحوطها اللبس والغموض، والدسائس الخفية.

فمظاهر العذاب تتطور بتطور أدواته، أما القوانين والسنن فهي خالدة مترابطة، دون أن توقفها أهواء أو تحد من هولها، وعواصفها عصبيات ونزعات.

ت-الحذر من الغلو والتنطع في الدين (فلا إفراط ولا تفريط)، والمؤمن

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة، ٢٧٧/١.
(٢) الطبري، التفسير جـ٧، ص٢٢٠-٢٢١.

الحـق معتدل، لا إفراط لديه ولا تفريط، ولا تحمله ردود الأفعال على إنكار ما ثبت.

ث- الحـذر مـن مخالطة أهـل الأهـواء ومريـدي الافتراق ومجالسـتهم والاستماع لهم.

ولا شك أن العمل بهذه القواعد يعد من السبل التي تقي من الافتراق، وكذلك من وقع منه الافتراق فإنه يعالج بهذه السـبل، فإنه متى ما استخدمها والتزم بها فإنه يعافى بإذن الله من هذا المرض العضال.

فالالتزام بالدِّين دون فرْقة وشِـقاق مطلبٌ إلهي من كلِّ أمَّة سـِعدت بنزول شرْع السماء، وما فيه مِن هداية ورشد.

فالاختلاف الناشـئ عن تعدد وجهات النظر، ينبغي ألاَّ يفسـد قضية الود، ولنعلـم أنَّ الإسـلام بطبيعته حريص علـى تجميع القلوب، وتلاحُم المشـاعرِ، ويرفض التفرق والتشرذُمَ.

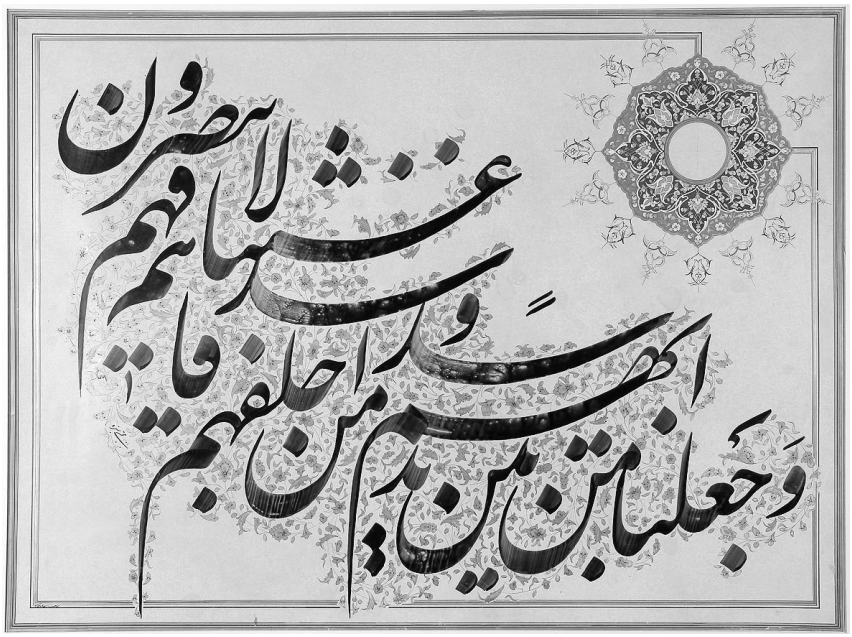
وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ

جريمة الدعاية الإعلامية لحرب العدوان

الأستاذ الدكتور محمود ترمانيني
رئيس قسم الحقوق في مجمع السيدة رقية عليها السلام

إن العدوان من الجرائم الدولية التي تعصف بالسلم والأمن الدوليين، فنستطيع أن نقتبس تعريف جريمة العدوان من مشروع التقنين الخاص بالجرائم ضد سلام وأمن البشرية وإن لم يتفق العالم على تعريفها في المادة الثانية منه بأنها: (كل فعل عدوان بما في ذلك استخدام سلطات الدولة القوة المسلحة ضد دولة أخرى لأغراض غير الدفاع الشرعي ـ الوطني أو الجماعي ـ أو تنفيذا لقرار أو تطبيقاً لتوصية هيئة مختصة من هيئات الأمم المتحدة.

والعدوان يشمل ليس فقط القوة المسلحة العسكرية من دولة ضد دولة أخرى بل ينضوي تحته كل فعل يمثل عدواناً كالعدوان الاقتصادي، أو الأيديولوجي أو حرب التجويع من حصار غير مشروع لشواطئ أو حدود الدولة المعتدى عليها. صادر هذا القعل عن كبار المسؤولين أو القادة في دولة ضد دولة أخرى، وكثيراً ما يسبق هذا العدوان من تجييش الإعلام في إثارة النفوس وتعبئة الرأي.

إن الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها وهي أشد من القتل، لذا كانت جريمة الدعاية الإعلامية لحرب العدوان ولارتباطها بالعدوان إن وقع أو لم يقع من اختصاص المحكمة الجنائية الدولية، وقد جرت محاولات عديدة لتجريم الدعاية الإعلامية كحرب العدوان نستعرضها في مكانها لضمها إلى الجرائم الدولية.

إن وسائل الدعائية الإعلامية عديدة قد تكون مكتوبة، أو تكون غير مقروءة (مرئية أو مسموعة) كالتلفزيون والسينما والمسرح والإذاعة، وحديثاً وسائل التواصل الاجتماعي بعضها ومضيفها.

إن هذه الوسائل الإعلامية والدعائية من المصادر المهمة للثقافة وسلاح مزدوج ذو حدين فإما أن تكون وسيلة نشر محبة وسلام وتآخي بين الشعوب أو وسيلة هدامة بنشر روح التباغض والعداء والكراهية وبث الفرقة وإثارة الفتن والتناحر بحسب القائمين عليها والأهداف التي يرومون تحقيقها منها.

من هذه المقدمة يمكن أن نستجلي أهمية هذه الوسائل الإعلامية في الدعاية للعدوان من خلال توجيه الجماهير وتعبئة الرأي العام ضد السلام وذلك في بث الفتن وإثارة النعرات (القومية والدينية) بين الشعوب وتوجيهها نحو العدوان ماهي إلا عمل تحضيري عاقب عليه القانون الدولي الجنائي حيث نصت على ذلك المادة الثانية من مشروع التقنين الخاص بالجرائم ضد سلام وأمن البشرية الذي أقرته لجنة القانون الدولي من الجريمة الخامسة منها التي نصها: (مباشرة أو تشجيع سلطات الدولة للنشاطات الإعلامية في دولة أخرى أو سماحها لنشاطات منظمة معدة بقصد ارتكاب أفعال إرهابية في دولة أخرى.

لقد كان مشرعنا يقظاً وفطناً في ذلك في تجريم كل فعل يهدف إلى إثارة الحرب الأهلية أو الاقتتال الطائفي واعتبرها من الجرائم الواقعة على أمن الدولة وذلك في المادة ٢٩٨ من قانون العقوبات السورية لخطورتها على أمن الدولة والمجتمع. وكذلك جرم المشرع دس الوسائل لدى دولة أجنبية أو معادية لدفعها إلى العدوان على سورية كما في المادتين ٢٦٥ و ٢٦٦ من القانون النافذ نفسه.

وهنا تصنيف جديد لجريمة الدعاية الإعلامية لحرب العدوان بأنها تعتبر من الجرائم المانعة، أي أن من الجرائم التي تمنع المجتمع الدولي من أمدٍ طويل تجريم حرب العدوان لأهوالها وخسائرها في الحربين العالميتين وفي الوقت نفسه تجريم الدعاية الإعلامية لحرب العدوان. لأنها المقدمة الخطيرة

والممهـدة للعدوان. وقـد بدأ تلمس هذا الاتجاه العالمـي فبيان مجلس الاتحاد الدولـي للبـث[1] الذي صدر عام ١٩٢٥ حيث جاء يه أنه يجب أن يبتعد البث عن أي عدوان على روح التعاون الدولي وحسن النوايا الدولية التي هي من الأسس الضرورية للبث الدولي.

كذلـك في المؤتمر الثامن والعشـرين الدولي للسـلم الـذي انعقد في بلجيكا (بروكسـل) عام ١٩٣١ حث على هجـر كل دعاية إعلامية للحرب وأن تدخل الدول في قوانينها الوقائية التدابير الكفيلة بقدر الإمكان منع وقمع كل من يسعى بالكلمة أو بالقلم أو بأية وسيلة أخرى للتحريض على الحرب، كما كانت معاهدة جنيـف الموقعة فـي ١٩٣٩/٩/٢٣ أول محاولة جدية في تجريم حرب العدوان الخاصة بتنظيم الدعاية أو وقفها عن البث دون تباطؤ من قبل كل دولة تبث من أراضيهـا إذا كان هذا البث يضر بالتفاهم الدولي حتى إن كان تحريض سـكان أحـد البـلاد على مخالفة النظام الداخلي للدولة أو ماسـاً بسـلامة أراضي دولة أخرى مع التعهد بالتعاون على مراقبة ما يذاع من محطات الإذاعة الوطنية.

وبعد الحرب العالمية الثانية وبعد إنشـاء منظمة الأمم المتحدة تقدم الاتحاد السوفييتي آنذاك من خلال مندوبه بالجمعية العامة للأمم المتحدة بمشروع يهدف إلى تجريم الدعاية الإعلامية لحرب العدوان وصدر المشروع بعد تعديل طفيف بقـرار رقم ١١٠/١١ في ١٩٤٧/١١/٨ عـن الجمعية العامة، إضافة لقرارات أخرى جرمت الدعاية الإعلامية لحرب العدوان[2].

كمـا أن المـادة ٢٠ من الاتفاقية الدوليـة المتعلقة بحقوق الإنسـان المدنية والسياسـية الصـادرة عن الأمم المتحـدة في ١٩٦٦/١٢/١٦ تنـص على أنه: (تمنع بحكم القانون كل دعاية من أجل الحرب).

ومما سـبق وحسـب المعاهدات والمواثيـق الدولية يمكـن تعريف جريمة الدعاية الإعلامية لحرب العدوان بأنها: (كل نشـاط إعلامي مقصود تخطط له وتنفذه السـلطات المسؤولة عن النشـاط الإعلامي في الدولة أو تقبل به، يكون

١- الاتحاد الدولي للبث منظمة غير حكومية. (للبث الإذاعي والتلفزيوني)
٢- صدور قرارين عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في عامي ١٩٤٩ و ١٩٥٠.

الغرض منه الحث على الحروب أو الأعمال العدوانية أو إنهاء العلاقات السلمية والودية بين الدول[١].

ومن هذه المقدمة المطولة (عذراً) لا بد من الإشارة إلى ما تتعرض له سورية الحبيبة من تجييش الإذاعات والقنوات التلفزيونية (العربية والأجنبية) في إثارة الفتن بين أبناء شعبنا وبث روح التفرقة والاقتتال الطائفي والعرفي وأوضح مثال مباركة المسؤولين في تلك الدول التي تبث من أراضيها مفبركة كل أنواع الأكاذيب والتضليل في تزييف لحقائق الدامغة في وطن الالفة والمحبة والسلام و... الصمود والمقاومة سورية الأبية. ويكفينا أن نذكر مثالين على تلك القنوات التلفزيونية (الجزيرة والعربية) إضافة للقنوات الطائفية والمذهبية إذاعية وتلفزيونية وفتاوي ما أنزل الله بها من سلطان (باسم الإسلام) والإسلام منها براء في تحليل سفك دم المسلم وقتله بحسب الهوية المذهبية أو القومية أو ... في بلدنا أو غيره من البلدان متناسية العدو الأول (الكيان الصهيوني) في حث أبناء الوطن للاقتتال فيما بينهم أو بتحريض الأمريكي أمام السواحل السورية عام ٢٠١٤.

وجريمة الدعاية الإعلامية لحرب العدوان تتألف من ثلاثة أركان (الركن المادي، والركن المعنوي، والركن الدولي).

نتناول هذه الأركان بشيء من التفصيل.

أولاً: الركن المادي: إن الركن المادي في الجريمة يتكون من ثلاثة عناصر: (الفعل، والنتيجة، والرابطة السببية) ولنسقط ذلك على الجريمة موضوع بحثنا هذا.

فالفعل في جريمة الدعاية الإعلامية لحب العدوان ينجم عنه إثارة الجمهور وتقبله فكرة العدوان والحرب وهي (العدوان) وهذا الفعل يتحقق في هذه الجريمة بأية وسيلة لها قوة التأثير في الرأي العام، (صحافة، إعلانات عامة...) توجه إلى الجماهير لإثارة الهمة وتجييش وتعبئة النفوس للعدوان سواء كان من

١- علي عبد القادر القهوجي ، القانون الدولي الجنائي، منشورات الحلبي الحقوقية ، بيروت، ص٩٨.

مدنيين أو عسكريين، وسواء كان من مسؤولين (حكام) أو محكومين (رعية) مادامت الدعاية الإعلامية عامة لافرق بينهم وعادة ما يتم الفعل الجرمي في هذه الجريمة من خلال الإغراءات المرتقبة والمكاسب التي سيجنيها الشعب أو ممكن أن يحصل عليها فيما لو تمت الحرب وحدث العدوان، وكما يظهر بجلي الاستجابة لها. وهنا تلعب وسائل الدعاية الإعلامية سبلاً شتى ما دامت الغاية تسوّغ الوسيلة سواء كانت تضليلاً إعلامياً خداعاً وتشويهاً للحقائق أو كانت حقيقية وسيلة تحقيقها بالعدوان من خلال هذه الدعاية وليس الطرق الحضارية باتباع سبل سلمية وحوارية لاحتوائها وتجنب ويلات الحرب والعدوان.

وفعل الدعاية الإعلامية للعدوان على الدولة من دولة أو دول أخرى موجه من قبل خارج إقليم الدولة المجني عليها أو من خلال الوسائل الحديثة في التواصل الاجتماعي أو عن طريق الأقمار الصناعية ولنا في ذلك مثال القنوات التلفزيونية الموجهة على سورية الحبيبة سواء من دول مجاورة أو إقليمية أو غير إقليمية. توجه بثها التلفزيوني إلى شعبنا الصامد والمتآلف في إثارة الفتن بين صفوفه.

فعلى الدولة التي يتم البث (التلفزيوني أو الإذاعي) من أراضيها أن تكون الراعية والمشرفة والموجهة لهذا البث بالابتعاد عن إثارة الفتن لدى الشعوب الأخرى في الدول الأخرى وإلا تحقق الفعل الإجرامي بسكوتها أو رضاها وعدم مساءلة من يجيش لحرب العدوان وفعل الدعاية الإعلامية لحرب العدوان يسأل عنه كذلك أي موظف في الدولة حتى لو لم يكن من كبار القادة أو المسؤولين.

النتيجة: العنصر الثاني في الركن المادي تتحقق في الجريمة موضوع بحثنا في إثارة الجمهور فعلاً حتى وإن لم ينتج عن الدعاية الإعلامية عدوان فالجريمة هنا الدعاية الإعلامية في زرع بذور الفتنة وشحن النفوس لشن العدوان والاقتتال المذهبي والطائفي والعرقي و....

الرابطة السببية: العنصر الثالث في الركن المادي. إذ يجب أن تكون متوافرة هنا في الجريمة بأن يكون بين فعل الدعاية الإعلامية وما تحققه من خلال ذلك رابطة سببية (بين الفعل والنتيجة) وإن تخلفت الرابطة السببية هنا

رأي بسبب كان خارجاً عن إرادته انهدام الركن المادي في الجريمة يمكن أن يسأل الجاني في هذا الخصوص عن مشروع في تنفيذ فعل الدعاية.

ثانياً: الركن المعنوي: المقصود به القصد الجرمي والذي يتألف من عنصرين أساسيين هما (العلم والإرادة) وإن جريمة الدعاية الإعلامية لحرب العدوان من الجرائم المقصودة بوعي وإدراك لإبعادها، ولا يمكن أن تتم عن طريق الخطأ.

فالعلم في هذه الجريمة يتوافر عندما يعلم الجاني بأن فعله بالدعاية الإعلامية لحرب العدوان فعل مجرَّم ومعاقب عليه ويقدم على ارتكابه بوعي وإدراك.

أما الإرادة: فهي أن تتوجه إرادة الجاني إلى ارتكاب الجريمة من خلال الدعاية الإعلامية لحرب العدوان وهنا يظهر بأن الجاني في هذه الجريمة يريد الفعل ويريد النتيجة وبشكل مقصود وبإدراك واعٍ وحر من دون إكراه أو ضغوط.

ثالثاً: الركن الدولي: لا بد في الجريمة الدولية من توافر هذا الركن وإذا انتقى هذا الركن قد نكون أمام جريمة داخلية حسب توصيفها.

إذ لا بد أن تكون الدولة (الجاني، الفاعل) موجهة دعايتها الإعلامية الخبيثة ضد دولة أخرى تهيئة للعدوان عليها من خلال خطط إعلامية معدة ومحضرة بشكل حرفي ومدروسة ترجمة لتوجهها العدواني الآثم إن تم العدوان أو لم يتم وتوقف عند إثارة الهمم وشمس النفوس وتهيئتها للعدوان على الدولة أو الدول الأخرى (كمجني عليهم) وذلك من خلال كافة وسائل الإعلام فيها. ولا فرق في الدعاية الإعلامية هنا إن كانت من خلال مؤسسات إعلامية عامة (حكومية) أو من خلال مؤسسات إعلامية خاصة (غير حكومية) مادامت الدولة. اما أن تكون قد منحت ترخيصاً لها بالبث من أراضيها ضد دولة أخرى أو تجاهلت بثها عن عمد وتغاضت عن ذلك. وقد يكون النشاط في الدعاية الإعلامية لحرب العدوان صادراً عن مسؤول في الدولة أو له مركز قيادي فيها (في الحكومة) أو كمسؤول حزبي ينشط على أراضي تلك الدولة بعلمها ورضاها ضد دولة أخرى حتى إن كانت دولته كما هو شأن كثير من معارضتنا في الخارج التي تبث الفتن

وتثير الحماس في العدوان على سورية لكن بعلم ورضا إن لم تقل بدعم وتأييد من تلك الدولة والمتواجدين على أراضيها. إذ تعتبر تلك الدولة التي يتم بث الدعاية الإعلامية لحرب العدوان من إراضيها بعلمها ورضاها مسؤولة عن هذه الجريمة ولا يمكن أبداً تخلي الدولة عن مسؤولياتها تجاه هذه الجريمة التي يتم بث ونشر الدعاية الإعلامية من أراضيها وبرضاها أن تتذرع بحجة حرية التعبير. لأن حرية التعبير دائماً تكون خاضعة لدستور أو قانون أو نظام عام وليست مطلقة بل مقيدة بحدود وإلا كانت حرية التعبير هذه فوضوية وهدامة وعلى الدولة واجب ضبطها أو منعها في بث الدعاية للعدوان ولدق طبول الحرب ضد دولة أخرى وإلا فإن المسؤولية تقع عليها كجاني في هذه الجريمة من خلال سكوتها أو رضاها أو توجيهها الوجهة التي تناسب وتتماشى مع نهجها السياسي وهنا عندما نتكلم عن الركن الدولي في هذه الجريمة تسأل عن الجريمة القادة والمسؤولين في الدولة كأشخاص طبيعيين وليس الدول كشخص معنوي، وسواء كانا فاعلين أصليين أو شريكين (متدخلين) أو محرضين ولا يمكن الاعتداء بالصفة الرسمية للأشخاص ولا أثر لتلك الصفة على قيام المسؤولية الجنائية. إذ لا تحول الحصانات أو القواعد الإجرامية الخاصة التي قد ترتبط بالصفة الرسمية للشخص دون مساءلته أو تقديمه للمحاكمة ومحاكمته وهذا ما أكدته المادة ٢٧ من النظام الأساسي للمحكمة الجنائية الدولية. وهنا لا بد من الإشارة إلى أن اختصاص المحكمة الجنائية الدولية في هذه الجريمة إنما يكون ضمن اختصاصها غير الاستشاري (التكميلي). إذ الولاية القضائية أولاً للمحاكم الوطنية في المحاكمة والحكم تجاه الجناة لترفع المسؤولية عن قادتها ومسؤوليها وهذا ما أكدته مقدمة النظام الأساسي للمحكمة بأن اختصاصها مكمل للولايات القضائية الجنائية الوطنية وكذلك تم ذكر هذا الاختصاص في المادة الأولى من هذا النظام.

الخاتمة: إن تناولنا هذه الجريمة لا يأتي بالشيء الجديد من خلال تحليل الجريمة إلى أركانها لكن الشيء الجديد الذي أروم من ورائه أن لهذه الجريمة الدولية ركناً خاصاً بها يسمى نطاق الجرائم الداخلية يضاف إلى نطاق الجرائم

الدولية كما أننا نكشف من خلال الدراسة القانونية لهذه الجريمة عن خطورتها وما تسببه من إهدار حقوق المجتمع الواحد أو الشعوب بنشر وبث كل أنواع البغضاء والحقد والتعصب والإقصاء للآخر بدعاية إعلامية خبيثة هدامة غير أخلاقية ويحث الجمهور وبث الحماس للعدوان على الأخر وقيمه ومؤسساته وحضارته بوسائل غير قانونية أصلاً. وإن لم نقل بوسائل بعيدة عن الإنسانية والحضارة. وختاماً لهذا البحث أتوجه ومن خلال كتابته إلى أن تتنبه هذه القنوات الإعلامية الحكومية من خلال المسؤولين فيها أو القائمين عليها وكذلك القنوات الإعلامية الخاصة عن هذه الدعوات والتضليل إلى الاعتدال وذكر الحقائق باختلاف أنواعها (حوار، مصالحة، مساعٍ حميدة، وساطة ...) وإظهار ديننا الإسلامي بوسطيته واعتداله وإنسانيته كالدِّين المسيحي لا بالتطرف والتعصب والإقصاء لتنعم البشرية بأمن وسلام.

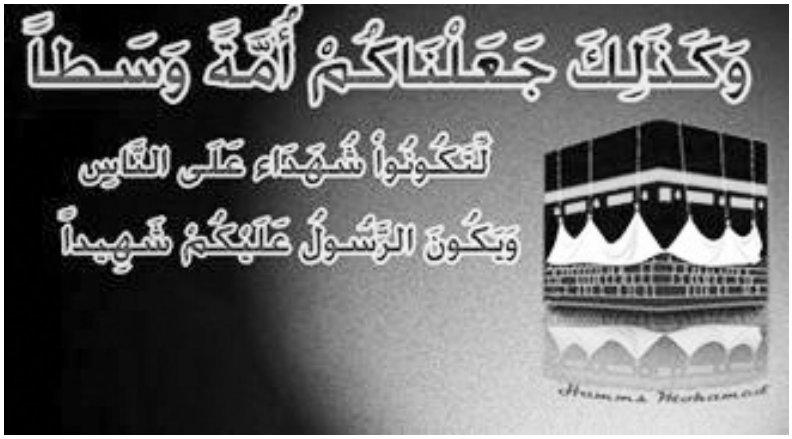

النشاط العلمي

لمجمع السيدة رقية عليها السلام

إعـــداد: عامـر النحـاس
مدير الشؤون الإدارية في مجمع السيدة رقية عليها السلام

شـــهد النشـــاط العلمي لمجمع الســـيدة رقية عليها الســـلام تقدماً في الإطار الأكاديمي فيما يتعلق بنيل شهادات عليا.

مناقشة رسالة ماجستير

أقيمت في مجمع الســـيدة رقية عليها السلام فرع معهد الشـــام العالي للعلوم الشـــرعية واللغة العربية والدراســـات والبحوث الإســـلامية في تمام الســـاعة الحادية عشرة والنصف من صباح يوم الأحد الواقع في ٢٠١٦/١٠/٣٠م. جلسة المناقشة العلنية لرســـالة الماجســـتير في أصول الفقه التي تقدمت بها الطالبة مؤمنة ياســـين الزين

بعنـوان «حجيـة الظنون في أصـول الفقه بين جعل العلميـة وأهمية الملاك خبر الواحد بين الشيخ النائيني والشهيد الصدر أنموذجاً».

حيـث ضمت لجنة الحكم كلاً من الأسـاتذة الدكتور تيسـير أبو خشـريف عميد معهد الشـام العالي والدكتور عبد المنعم السـقا نائب عميد كلية الشـريعة في جامعة دمشـق والدكتور حسن جمعة من قسم الفقه الإسلامي وأصوله بكلية الشريعة في جامعة دمشق.

وقد حضر هذه الجلسـة سـماحة السـيد عبد الله نظام رئيس مجمع

السيدة رقية عليها السلام فرع معهد الشام العالي والدكتور الشيخ نبيل طالب الحلباوي نائب رئيس المجمع للشؤون العلمية والدراسات العليا بالإضافة إلى عدد من أعضاء الهيئتين التدريسية والإدارية في المجمع وعدد من الطلاب.

وبعد الاستماع إلى دفاع الطالبة ومناقشتها أوصت اللجنة بقبول هذه الرسالة والحكم بالإجماع على أهلية الطالبة لنيل درجة الماجستير في أصول الفقه الإسلامي من كلية الشريعة في مجمع السيدة رقية عليها السلام بتقدير «الشرف» ودرجة (٩٥).

أسرة مجمع السيدة رقية عليها السلام فرع معهد الشام العالي تبارك للسيدة مؤمنة الزين نيل درجة الماجستير.

إن الله يبشرك بيحيى

تأملات بلاغية قرآنية

الدكتور رياض المونس
محاضر في علوم القرآن الكريم في مجمع السيدة رقية عليها السلام

القرآن الكريم معجزة نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم الخالدة حيث تحدى به الإنس والجنّ على الإتيان بمثله أو بسورة من مثله أو بعشر سور مفتريات فعجز بلغاء العرب وفصحاؤهم عن الإتيان بسورة من مثله.

إن القرآن الكريم معجز بذاته ، قال تعالى ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء) وليس بوسع مخلوق أن يأتي بكلام غير مشتمل على الاختلاف.

ومن وجوه الإعجاز القرآني : الإعجاز البلاغي والإعجاز بالإخبار بالمغيبات والإعجاز بالتشريع والإعجاز العلمي بمختلف أنواعه كالإعجاز الطبي والفلكي والجغرافي والإعلامي والعددي وأنواع أخرى كثيرة.

جاء في مخطوط في مكتبة «عارف حكمت» في المدينة المنورة يرجع تأليفه إلى القرن الأول الهجري، ينقل فيه عن جماعة كيفية عدهم حروف القرآن الكريم ما نَصُّهُ: (وروي عن بعضهم أنه قيل له كيف أحصيتم ذلك؟ قال ذلك بالشعير، وروي أنهم عدوه في أربعة أشهر ، وعند أهل المدينة نصف القرآن في سورة الكهف عند قوله تعالى «ما لم تستطع عليه صبراً» ... وسألهم الحجاج : أخبروني إلى أي حرف ينتهي نصف القرآن؟ فنظروا فأجمعوا على

أنــه في ســورة الكهف قوله تعالــى: «وليتلطف» التاء مــن النصف الأول من القرآن واللام من النصف الآخر من القرآن والله أعلم بالصواب).

ومن منطلق أحد وجوه الإعجاز القرآني ســأذكر متفرقات لغوية من خلال كلمات وآيات القرآن الكريم.

١- الرحمن ذو الرحمة ولا يوصف بها غيره سبحانه .

الرحيم عظيم الرحمة ويوصف بها غيره سبحانه .

٢- الالتفات في علم البلاغة :

الانتقال من الغيبة إلى الخطاب أو العكس :

﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٤ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥ ﴾(الفاتحة)

(من الغيبة إلى الخطاب)

﴿ ... حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم ... ﴿٢٢﴾ ﴾(يونس)

(من الخطاب إلى الغيبة)

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ ... ﴿٩﴾ ﴾ (فاطر)

(من الغيبة إلى التكلّم)

٣- ﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ ... ﴿٧﴾ ﴾(البقرة).

السمع داخل في حكم الختم وليس الغشاوة لقوله تعالى:

﴿ ...وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمۡعِهِۦ وَقَلۡبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةٗ ... ﴿٢٣﴾ ﴾(الجاثية).

٤- ﴿ مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِي ٱسۡتَوۡقَدَ نَارٗا ... ﴿١٧﴾ ﴾(البقرة) .

جاء التمثيل بالمفرد وليس بالجمع لأن مثلهم (قصتهم) شبهت بقصة المشبه به.

مثــل :﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ ثُمَّ لَمۡ يَحۡمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلۡحِمَارِ يَحۡمِلُ أَسۡفَارَۢاۚ ... ﴿٥﴾ ﴾(الجمعة) .

وقوله: ﴿ ...يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ ... ﴿٢٠﴾ ﴾(محمد).

لذلك لم يقل : المغشي عليهم -كمثل الحمير تحمل أسفاراً – الذين استوقدوا ناراً .

٥- ﴿ ...فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ ... ﴿١٩﴾ ﴾(البقرة) .

الرعد والبرق مصدران ، والمصادر لا تجمع وإن أريد بها الجمع.

٦- ﴿ ...فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ ... ﴿٢٣﴾ ﴾ (البقرة) .
﴿ ... بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ ... ﴿٣٨﴾ ﴾ (يونس) .
قوله (من مثله) أبلغ من قوله (مثله) وبآية البقرة بلغ التحدي مداه.

٧- ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا ... ﴿٢٦﴾ ﴾(البقرة).
(مـا) مزيدة ومعناها التوكيد كما في قولـه تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ... ﴿١٥٩﴾ ﴾ (آل عمران)

٨- ﴿ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾(البقرة).
واو (وكنتـم) واو الحـال وإضمار (قد) جائـز إذا كان في الكلام دليل عليه ومثله قوله تعالى: {أَوْ جَاؤُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ} (أي قد حصرت صدورهم) وإنما وجب إظهار - قد- في هذا أو تقديرها لأن الماضي لا يكون حالاً. وقد إنما تكـون لتقريب العهد ولتقريب الحال فبدخولها يصلـح أن يكون الفعل الماضي حـالاً، ولـم تدخل واو الحال علـى {كنتم أمواتاً} فقط بـل دخلت على جملة ما بعدها إلى قوله {ترجعون} ، كأنه قيل : كيف تكفرون بالله وقصتكم هذه وحالكم أنكـم كنتم أمواتاً فـي أصلاب آبائكم فجعلكم أحياء ثم يميتكـم بعد هذه الحياة ثم يحييكم بعد هذا الموت ثم إليه ترجعون.

٩- ﴿ ... وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ ﴾(البقرة).
قـال اهبطوا بالجمع والمخاطـب اثنان آدم وحـواء .لأن المخاطب مع آدم وحـواء ذريتهما يدل على ذلك قولـه تعالى : ﴿ قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى ... ﴿١٢٣﴾ ﴾ (طه) .

١٠- ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾(البقـرة). إذا كان قوله - فلا خوف عليهم - جواباً لقوله -فمن تبع هداي، فأين جواب الشرط الأول وهو : فإما يأتينكم مني هدى ؟
جواب الشرط الأول هو الشرط الثاني مع جوابه كما تقول : إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك.

١١- ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾(البقرة) .

الضمير هنا من باب إطلاق المفرد وإرادة الاثنين منه . (أمثلة أخرى) :

﴿ ... وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ... ﴿٣٤﴾ ﴾(التوبة).

﴿ وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا ... ﴿١١﴾ ﴾(الجمعة) .

﴿ يَحۡلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمۡ لِيُرۡضُوكُمۡ وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ ... ﴿٦٢﴾ ﴾(التوبة) .

١٢- ﴿ وَإِذۡ وَٰعَدۡنَا مُوسَىٰٓ أَرۡبَعِينَ لَيۡلَةً ثُمَّ ٱتَّخَذۡتُمُ ٱلۡعِجۡلَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ وَأَنتُمۡ ظَٰلِمُونَ ﴿٥١﴾ ﴾(البقرة).

قال (أربعين ليلة) ولم يقل أربعين يوماً لأن العرب كانت تراعي في حسابها الشهور والأيام والأهلة فأول الشهر الليالي (لعشر خلون ولخمس بقين). وهي ذو القعدة وعشر من ذي الحجة. وقد ذكرت في سورة الأعراف ﴿ وَوَٰعَدۡنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيۡلَةً وَأَتۡمَمۡنَٰهَا بِعَشۡرٖ ... ﴿١٤٢﴾ ﴾.

١٣- ﴿ وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ (البقرة).

كلمة جهرة هنا تؤكد الرؤية على التحقيق، ولأنه من دون ذكر جهرة قد تكون الرؤية كالرؤية في النوم كقوله تعالى: ﴿ ... إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ ... ﴿١٠٢﴾ ﴾(الصافات) .

١٤- ﴿ ثُمَّ أَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ تَقۡتُلُونَ أَنفُسَكُمۡ ... ﴿٨٥﴾ ﴾(البقرة) .

أنتم مبتدأ ، هؤلاء منادى تقديره يا هؤلاء، وجملة تقتلون خبر المبتدأ .

١٥- ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾(البقرة) .

جواب لمّا محذوف يدل عليه قوله {فَلَمَّا جَاءهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِ}.

كما حذف جواب (لو) من قوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ قُرۡءَانٗا سُيِّرَتۡ بِهِ ٱلۡجِبَالُ أَوۡ قُطِّعَتۡ بِهِ ٱلۡأَرۡضُ أَوۡ كُلِّمَ بِهِ ٱلۡمَوۡتَىٰۗ ... ﴿٣١﴾ ﴾ (الرعد)، تقديره ولو أن قرآناً غير هذا القرآن سيرت به الجبال لسيرت بهذا القرآن.

ومثل هذه الآية : ﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ ... ﴿٢٧﴾ ﴾ (الأنعام) .

ومثل :﴿ قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (البقرة) . جواب الشرط محذوف تقديره (قل من كان عدواً لجبريل فليمت غيظاً فإن جبريل نزل الوحي على قلبك يا محمد).

١٦- ﴿ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾(البقرة) أعاد ذكر جبريل وميكال لعظيم فضلهما وعلو منزلتهما.

كما في قوله تعالى :﴿ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ﴾ (الرحمن).

وقوله : ﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ ... ﴿٢٣٨﴾ ﴾ (البقرة).

١٧- ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا ... ﴿١٢٦﴾ ﴾ (البقرة) و(إبراهيم : ٣٥) بلداً آمناً - البلد آمناً، النكرة إذا كررت صارت معرفة، ومثل ذلك:

﴿ ...فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ ... ﴿٣٥﴾ ﴾(النور) .

١٨- ﴿ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ... ﴿٢١٢﴾ ﴾(البقرة) .استعمل فعل زين بصيغة المذكر مع أن نائب الفاعل مؤنث (الحياة)، لأنه فصل بين الفعل ونائب الفاعل بقوله (للذين كفروا) وإذا فصل بين فعل المؤنث وبين الاسم بفاصل حسن تذكير الفعل، لأن الفاصل يغني عن تاء التأنيث .

١٩- ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ... ﴿٢٢٨﴾ ﴾(البقرة) .

ثلاثة قروء : منصوب مفعول به ، التقدير مضيَّ ثلاثة قروء.

أو : منصوب مفعول فيه، التقدير مدة ثلاثة قروء.

٢٠- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ... ﴿٢٣٤﴾ ﴾ (البقرة) .

كلمة الذين مبتدأ خبره محذوف تقديره (ويذرون أزواجاً، أزواجهم يتربصن) وقد يحذف المبتدأ كما في قوله تعالى: ﴿ ...قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ ۚ ٱلنَّارُ ... ﴿٧٢﴾ ﴾ (الحج) أي هو النار .

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ ﴾(البقرة) ، أي (هم أموات بل هم أحياء).

٢١- ﴿ ...وَلَا تَعۡزِمُواْ عُقۡدَةَ ٱلنِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبۡلُغَ ٱلۡكِتَٰبُ أَجَلَهُۥۚ ...﴿٢٣٥﴾ ﴾(البقرة).
المعنى : لا تعزموا عليهن عقدة النكاح، لأن فعل عزم مرتبط بحرف على بعده.

٢٢- ﴿ ...ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ ...﴿٢٧٥﴾ ﴾(البقرة) .
الوجــه أن يقال : إنما الربا مثل البيع، لأن حل البيع متفق عليه، فهم أرادوا أن يقيســوا عليه الربا، ومن حق القياس أن يشــبه محل الخلاف بمحل الوفاق. وبمــا أن غرضهم أن الربا والبيــع متماثلان من جميع الوجوه المطلوبة، فأيهما قدم أو أخر جائز .

٢٣- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ...﴿٢٨٢﴾ ﴾(البقرة).
فائــدة قوله (مسـمَّى) ليعلم أن مــن حق الأجل أن يكــون معلوماً كالتوقيت بالسنة والأشهر والأيام. ولو قال إلى رجوع الحاج، أو إلى وقت الحصاد وغيره من أمثال هذا فإنه لا يصح، لمكان الجهالة.

٢٤- ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ ... ﴿٢٨٢﴾ ﴾(البقرة) .
قولــه (تداينتــم) يغني عن قوله بديــن ! إنما قال (بديــن) لأن التداين يكون لمعنييــن. أحدهما التداين بالمال، والآخــر التداين بمعنى المجازات، من قولهم: كما تدين تدان. والدين الجزاء، فقال (بدين) لتخصيص أحد المعنيين.

٢٥- ﴿ ... أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ ...﴿٢٨٢﴾ ﴾(البقرة) .
لمــاذا كررت كلمة إحداهما وهــلا قال (أن تضل إحداهما فتذكر الأخرى). والمعنى: أن تضل إحدى الشــهادتين، أي تضيع بالنسيان فتذكر إحدى المرأتين الأخــرى، لئــلا يتكرر لفظ إحداهما بلا معنى. ويؤيد ذلك أنه لا يســمى ناســي الشهادة ضالاً ويقال أضلت الشهادة إذا ضاعت.

٢٦- ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ ...﴿٢٨٦﴾ ﴾(البقرة) .
لِمَ خص الخير بالكسب والشر بالاكتساب ؟
في الاكتســاب اعتمال، فلما كان الشر مما تشتهيه النفس كانت في تحصيله أعمل وأجد فجعلت لذلك مكتسبة فيه. ولما لم تكن كذلك في الخير، وصفت بما لا دلالة فيه على الاعتمال .

٢٧- ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ... ﴿٧﴾ ﴾(آل عمران).

المحكم ما علم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن به لوضوحه (أي ما لم تشتبه معانيه) .

المتشابه ما لا يعلم المراد بظاهره من غير قرينة تقترن به (ما اشتبهت معانيه).

الآيات المحكمة بمجموعها أصل الكتاب أي أم الكتاب وليست كل آية محكمة هي أم الكتاب وأصله، لأنها جرت مجرى شيء واحد في البيان والحكمة .

ومثله قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴿٥٠﴾ ﴾(المؤمنون). ولم يقل آيتين، لأن شأنهما واحد في أنها جاءت به من غير ذكر. فلم تكن الآية لها إلا به ولا له إلا بها. ولو أراد أن كل واحد آية على التفصيل لقال آيتين.

ولو جعل الله القرآن كله محكماً لاتَّكل الناس كلهم على الخبر واستغنوا عن النظر.

وقد وصف الله سبحانه جميع القرآن بأنه محكم بقوله: ﴿ الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ... ﴿١﴾ ﴾ (هود). ووصف جميعه بأنه متشابه بقوله: ﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا ... ﴿٢٣﴾ ﴾ (الزمر)، وهذا ينافي قوله في آية آل عمران ﴿ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴿٧﴾ ﴾.

الجواب :

معنى الإحكام: الإتقان والمنع، أي هو ممتنع بإتقانه وإحكام معانيه عن اعتراض خلل فيه.فالقرآن كله محكم من هذا الوجه.

معنى التشابه: أي يشبه بعضه بعضاً في الحسن والصدق والثواب والبعد عن الخلل والتناقض، فهو كله متشابه من هذا الوجه.

٢٨- ﴿ رَبَّنَآ إِنَّكَ جَامِعُ ٱلنَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ ۚ ... ﴿٩﴾ ﴾ (آل عمران)

التقدير: جامع الناس للجزاء في يوم لا ريب فيه .

٢٩- ﴿ ... فَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ دَرَجَةً ۚ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ ﴾(النساء)

الشرح : في أول الآية فضل الله المجاهدين على القاعدين من أولي الضرر درجة. ثم قال: وفضل الله المجاهدين على القاعدين غير أولي الضرر درجات. فلا تناقض لأن قوله تعالى {وَكُلاًّ وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى} يدل على أن القاعدين لم يكونوا عاصين، وإن كانوا تاركين للفضل.

٣٠- أمثلة على الباء الزائدة :

- ﴿ ...وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ ... ٦ ﴾ (المائدة)
- ﴿ ...تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ ... ٢٠ ﴾ (المؤمنون)
- ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ ﴾ (العلق)
- ﴿ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ ... ٦ ﴾ (الإنسان)
- ﴿ وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ ... ٢٥ ﴾ (مريم)
- ﴿ فَسَتُبۡصِرُ وَيُبۡصِرُونَ ٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلۡمَفۡتُونُ ٦ ﴾ (القلم)
- ﴿ ...تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ ... ١ ﴾ (الممتحنة)
- ﴿ ... وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۭ بِظُلۡمٖ ... ٢٥ ﴾ (الحج)

٣١- أمثلة على حمل المفرد على الجماعة :

- ﴿ ...وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ ... ٦ ﴾ (المائدة)
- ﴿ ...وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٞ ٤ ﴾ (التحريم)
- ﴿ ... هَٰٓؤُلَآءِ ضَيۡفِي فَلَا تَفۡضَحُونِ ٦٨ ﴾ (الحجر)
- ﴿ ...إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٦ ﴾ (الشعراء)
- ﴿ ... نُخۡرِجُكُمۡ طِفۡلٗا ... ٥ ﴾ (الحج)
- ﴿ ...هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ ... ٤ ﴾ (المنافقون)
- ﴿ ... وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ﴾ (النساء)

٣٢- ﴿ قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ ... ٦٠ ﴾ (المائدة)

المثوبة مختصة بالإحسان لكنها وضعت هنا مكان العقوبة استهزاءً بهم على حد قوله تعالى {فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} مثوبة تمييز .

٣٣- ﴿ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ ... ١١٦ ﴾ (المائدة)

المعنى : إن صح أني قلته فيما مضى فقد علمته. لا بد من هذا التقدير، لأن الشرط لا يصح فيما مضى. ووقف قوم على قوله «ما ليس لي» وجعلوا «بحق» قسماً. وهذا لا يصح لأن جواب القسم

لا يكون شرطاً وجزاءً. لا يجوز: والله إن تأتني آتك. لكن يقال والله لئن تأتني لآتينك. فلو كان قوله «بحق» قسماً لكان: بحق لئن قلته لقد علمته .

٣٤- ﴿ إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾(البقرة)

الشرح : فمن حج البيت أي قصده الأفعال المشروعة، أو اعتمر أي أتى بالعمرة بالمناسك المشروعة.

فلا جناح عليه أي لا حرج عليه أو لا إثم عليه.

قال الصادق عليه السلام : كان المسلمون يرون أن الصفا والمروة مما ابتدع أهل الجاهلية فأنزل الله هذه الآية، وإنما قال فلا جناح عليه أن يطوف بهما، وهو واجب أو طاعة على الخلاف فيه لأنه كان على الصفا صنم يقال له إساف، وعلى المروة صنم يقال له نائلة، وكان المشركون، إذا طافوا بهما مسحوهما فتحرج المسلمون عن الطواف بهما لأجل الصنمين فأنزل الله تعالى هذه الآية (عن كثير من العلماء). فرجع رفع الجناح عن الطواف بهما إلى تحرُّجهم عن الطواف بهما لأجل الصنمين لا إلى عين الطواف، كما لو كان الإنسان محبوساً في موضع لا يمكنه الصلاة إلا بالتوجه إلى ما يكره التوجه إليه فيقال له لا جناح عليك بالتوجه في الصلاة إلى ذلك المكان، فلا يرجع رفع الجناح إلى عين الصلاة لأن عين الصلاة واجبة، وإنما يرجع إلى التوجه إلى ذلك المكان .

٣٥- ﴿ وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ ﴾(الحج) .

على كل ضامر في موضع نصب على الحال، أي يأتوك رجالاً وركباناً.

ويأتين في موضع جر لأن المعنى في قوله {وعلى كل ضامر} على إبل ضامرة آتية من كل فج عميق. الضامر : البعير المهزول .

٣٦- ﴿ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (الكهف)

اسـطاعوا (التسـلق يحتاج إلى خفة)، اسـتطاعوا (نقب الجدار يحتاج إلى جهد).

٣٧- ألف العزة (العباد) ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمۡشُونَ ... ﴿٦٣﴾ ﴾(الفرقان).
يقصد بها على الأغلب المسلمون العابدون له.

٣٨- ياء الذلة (العبيد) ﴿ ... وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾ ﴾ (آل عمران) عن كفر اليهود.

﴿ ...وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٥١﴾ ﴾ (الأنفال). عذاب الكفار عند الاحتضار.

﴿ ...وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٠﴾ ﴾ (الحج). عذاب الكافر .

﴿ ...وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ﴾ (فصلت) إيقاع العذاب بالكافر ومنح الثواب للمحسن.

﴿ ...وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ﴾ (ق) عدل الله في تعذيب الكافر .

٣٩- لام الإخلاص : ﴿ سَبَّحَ لِلَّهِ ...﴿١﴾ ﴾ (الحديد).
ما بعد الفعل اسم مجرور لفظاً منصوب محلاً لأنه مفعول به لفعل سبح .

٤٠- لام التبليغ :﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ ... ﴿١٧٣﴾ ﴾ (آل عمران) .
هي اللام الجارة الداخلة على مجرور والتي سبقت بإحدى اشتقاقات (القول).

٤١- هاء الرفعة : ﴿ ...عَلَيۡهُ ٱللَّهَ ...﴿١٠﴾ ﴾ (الفتح).

٤٢- هاء الخفض: ﴿ ... فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ ﴾(الفرقان) .

٤٣- تاء الخفة :﴿ ... تَسۡتَطِع ...﴿٧٨﴾ ﴾(الكهف) وجود ثقل نفسي يعيشه موسى.

﴿ ...تَسۡطِع ...﴿٨٢﴾ ﴾(الكهف) زوال الثقل النفسي بعد أن علل الخضر له حقيقة الأحداث.

٤٤- واو : علامة المذكرين في لغة طيء :

﴿ ...وَأَسَرُّواْ ٱلنَّجۡوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ...﴿٣﴾ ﴾(الأنبياء)

﴿ ...ثُمَّ عَمُواْ وَصَمُّواْ كَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ ...﴿٧١﴾ ﴾(المائدة)

﴿ ...مَّا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٞ مِّنۡهُمۡ ...﴿٦٦﴾ ﴾(النساء)

٤٥- آية العذر : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ ... ﴿٦١﴾ ﴾ (النور)

٤٦- آية الكف: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ ... ﴿٧٧﴾ ﴾ (النساء)

٤٧- آية المناجاة : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ... ﴿١٢﴾ ﴾ (المجادلة).

٤٨- آيات الشبكة : (الأنفال: ٧٢/٧٣/٧٤/٧٥) .

٤٩- السور المفتتحة بأحرف (ألم) :

مجموعة أولى : سورتان متواليتان : البقرة -آل عمران.

مجموعة ثانية : أربع سور متوالية: العنكبوت/الروم/لقمان/السجدة.

٥٠- السور المفتتحة بأحرف (ألر) : ست سور متوالية: يونس/هود/يوسف/الرعد/إبراهيم/الحجر.

٥١- السور المفتتحة بأحرف (طس وطسم) : ثلاث سور متتالية: الشعراء-النمل-القصص.

٥٢- السور المفتتحة بأحرف (حم): سبع سور متوالية: غافر-فصلت-الشورى-الزخرف-الدخان-الجاثية -الأحقاف .

٥٣- السور المفتتحة بالتسبيح :

الإسراء	سبحان
الحديد -الحشر-الصف	سبح
الجمعة -التغابن	يسبح
الأعلى	سَبِّح

٥٤- الجَهد - الجُهد

- الجَهد : المبالغة والمشقة .

- الجُهد : الطاقة والقدرة .

٥٥- ﴿ ...مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ ... ﴿٧٥﴾ ﴾(ص) .

﴿ ... مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ ﴿٩٢﴾ ﴾(طه) ألّا تتبعن ـــــ الّا زائدة.

﴿ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ ... ﴿٥٤﴾ ﴾(التوبة) .

﴿ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ... ﴿١٢﴾ ﴾(الأعراف).

معناه : ما دعاك إلى أن لا تسجد ؟

ما أحوجك إلى أن لا تسجد ؟

ما منعك أن تسجد. مثل قوله تعالى لئلا يعلم ـــــ معناه أن لا يعلم.

٥٦- ديناً قيماً : مخففة وصف مبالغة ، قَيِّماً (فيعل) من قام كـ سَيِّد من ساد.

٥٧- الجوب : قطع الجَوْبة -قطع كل أرض ﴿ وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ ﴾(الفجر)

٥٨- جائر : عادل عن المحجة (ومنها جائر).

٥٩- الحصور : الذي لا يأتي النساء إما من العنة وإما من العفة والاجتهاد في إزالة الشهوة.

٦٠- آيات متشابهة :

﴿ ...إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ... ﴿١٠٤﴾ ﴾ (النساء).

﴿ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ... ﴿١٤٠﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ ...وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾ ﴾ (الكهف).

﴿ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا ... ﴿٣٠﴾ ﴾ (آل عمران).

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ ... ﴿٢٨٤﴾ ﴾(البقرة)

﴿ قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ... ﴿٢٩﴾ ﴾(آل عمران)

﴿ إِن تُبْدُواْ خَيْرًا أَوْ تُخْفُوهُ أَوْ تَعْفُواْ عَن سُوٓءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ ﴾(النساء)

﴿ إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾(الأحزاب)

٦١- ﴿ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ ... ﴿١١٧﴾ ﴾(الأنعام)

إعراب(من) مفعولا به.

٦٢- ﴿ قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُواْ بِهِۦ شَيْـًٔا ... ﴿١٥١﴾ ﴾(الأنعام)

أن (مفسرة) وتعليق المفسَّر وهو (أتل) بما حرم لا يمنع عطف الأوامر عليه، لرجوع التحريم فيها إلى أضدادها. وإن جعلت ناصبة فهي منصوبة بـ (عليكم) على الإغراء، أو البدل من (ما) على زيادة (لا) أو مجرورة بلام مقدرة.

٦٣- مقارنة:

* ما أدراك : وردت (١٣) مرة في القرآن .

معناها : أنه لم يوجد أحد قد أدراك معناها قبل الآن، ولكن الله سيدريك الآن.

* ما يدريك :

معناهـا : إنـه لم يوجد أحد قـد أدراك معناها في الماضـي ولن يدريك في المستقبل. أي أن ذلك من مكنونات الغيب وأن الله لا يدريك بها.

٦٤- ألم تر : تأتي في القرآن بمعنى ألم تعلم (لأن وسـائل العلم عند البشـر الحواس أولاً وبعد الحواس تأتي المعقولات).

العلم يأتي بالسماع ويأتي بالرؤية، السماع يبقى من رؤية الآخر وقال لك، لكن الرؤية تجربتك الشخصية، إذن فأقوى وسائل العلم ما تراه، فالذي يقوله لك الحق يجب أن يكون قوياً كما تراه.

٦٥- مقارنة:

* إنّ كيدكن عظيم.

* إنّ كيد الشيطان كان ضعيفاً.

إن الذي يلجأ للكيد والاحتيال والمكر الضعيف عن المواجهة. ولـو كـان قـادراً علـى المواجهـة لما صنع هذا. فكيـد المرأة حين يكـون عظيماً عن كيد الشـيطان معنـى ذلك أن ضعفها فـي المواجهة كبير ولذلـك لا تنجح إلا بالكيد والاحتيال، وهذا دليل ضعف وليس دليل قوة.

٦٦- قراءات:

أأعجمي : ﴿ ...ءَاْعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ... ﴿٤٤﴾ ﴾(فصلت) .

١) بتحقيـق الأولى وتسـهيل الثانية مع إدخال ألف بينهمـا ـــ قالون، أبو عمرو، أبو جعفر.

من غير إدخال ألف بينهما ـــ حفص،ابن كثير ،ابن ذكوان، رويس.

٢) ورش : وجهان آ- مثل حفص

ب- إبدالها ألفاً مع المد المشبع

٣) هشام : إسقاط الأولى وتحقيق الثانية .

٤) الباقون : تحقيق الأولى والثانية من دون إدخال.

قـرأ حفص بتسـهيل الهمزة الثانيـة بين بين أي بين الهمـزة والألف وجهاً واحداً من جميع طرقه لاختلاف بين الشاطبية والطيبة في ذلك .

فائدة: الأعجمي من لا يفصح ولو كان عربياً .

العجمي من جنسه العجم (خلاف العرب) وإن أفصح.

والحمد لله رب العالمين

الوعي الوطني في مواجهة العدو

الخبير الإعلامي ميسر سهيل

الوعي الوطني أمر يتطلبه وجود الأمم والشعوب على مختلف أوضاعها السياسية والاجتماعية ، والوعي كلمة تعبر عن حالة عقلية يكون فيها العقل بحالة إدراك وتواصل مباشر مع محيطه الخارجي عن طريق منافذ الوعي التي تتمثل عادة بحواس الإنسان الخمس. كما يمثل الوعي عند العديد من علماء النفس الحالة العقلية التي يتميز بها الإنسان بملكات المحاكمة المنطقية لما يدور حوله من إيجابيات وسلبيات ، ولا يمكن أن يحقق شعب التقدم السياسي والاجتماعي من دون تحقيق الوعي الذاتي الذي يحدد هويته ويميزه من غيره، ويشمل ذلك وعي الذات الفردية والجماعية، ومن شأن تحقيق الوعي في الأمة أن يفضي إلى تحقيق أهدافها أو لقسم من أهدافها، وأن يفضي أيضاً إلى معرفة مصلحتها بالمعنى الجغرافي والنفسي والاقتصادي. ومن هذا المنطلق تستطيع الأمة أن تضع برنامج عملها وأن تحدد أولوياتها وسياسات التنفيذ ، وأن تقرر ما هو ضار بها وما هو نافع لها حسب تصورها ومنظورها، وأن تضع التصور لمستقبلها ولدورها السياسي والحضاري. وعند تحقيق الوعي لا بد من وجوب إدخال التغييرات اللازمة في حياة الأمة بما يتفق مع مقتضيات مصالحها التي تظهر معالمها عند تحقيق الوعي، وعندئذ لا بد من أن يتضح أن المصلحة الأهم هي المحافظة على بقاء الأرض التي نسميها الوطن ، والذودُ عنها بما أوتي

الإنسان من قوة، وعدمُ جعلها مرهونة لإرادات أخرى لها مطامعها ومصالحها التي تتناقض مع مصلحة الوطن، وذلك يستوجب أن نخوض معركة الوعي في أمتنا ومعركة الوعي عند عدونا وأن تكون الذاكرة عنصرا مهما في هذه المعركة التي نخوضها جميعاً.

إن الوعي ليس من أسس أو شروط المعركة فقط، وإنما هو الشرط الأساسي أو الشرط الأول، لأن الوعي هو شرط الوجود الذي يتطلب أن يستيقظ الإنسان ويعي من هو وأين موطئُ قدمه ومحط عينيه وإلى أين يجب أن يتجه وما هو الهدف، وإلاّ لا يمكن له أن يتحرك، وإذا تحرك فإن حركته ستكون حركة عشوائية لا هدف واضحاً لها ولا خط سير ولا مراحل واضحة لها، وبالتالي يخبط في الحياة خبط عشواء، فالوعي شرط وجودٍ، خاصة لتحديد الهدف، ووسيلة الوصول إليه، لأن الغفلة في أي مرحلة من مراحل معركة الأمة وجهادها قد تؤدي إلى الانحراف والانجراف.

والوعي شرط كمالٍ أيضاً لأنه بمقدار ما يقوى هذا الوعي ويتجذّر ويشتد نوعاً وكماً سيساعد ويُسرّع إنجاز الوصول إلى الغاية والهدف . والمحافظة على الوجود تقتضي تحديد العدو للعمل على خوض المعركة ضده وبناء حركة المقاومة المناسبة سواء الحكومية أو الشعبية للتغلب عليه وإحباط مخططاته.

إنني أعتقد أن كل القيادات وحركات المقاومة عملت على إيجاد الوعي بقوة لأن تأهيل الجنود أو استقطاب مجموعةٍ من المقاتلين والمناضلين والمجاهدين الذين بهم قوام المعركة لا يمكن أن يكون إلا على أساس الوعي والمعرفة من قبل هؤلاء لما يقومون به ولما يقدمون عليه . وهو وعي تحتاجه الأمة لقوام المقاومة بمقاتليها ومجاهديها، ووعي تحتاجه على المستوى الشعبي لاحتضان الشعب لحركة المقاومين لأن طبيعة الصراع القائم لا يمكن أن تحسمه فقط حركة المقاومين وإنما تحسمه الأمة من خلال تكامل تعاونها، وتضافر جهودها، ووحدتها تجاه عدوها المحدد بوضوح تام .

فالإسرائيلي مثلاً كان دائماً في موضع الهجوم فهو الذي يشن الحرب النفسية والحرب الإعلامية وهو الذي يفرض علينا أنماط تفكير معينة أو

تقويمات معينة أو استنتاجات معينة لما لها من تداعيات عاطفية وشعورية واتخاذ مواقف بناء عليها.

في معركة الوعي يجب أن ننتقل من مرحلة الدفاع إلى مرحلة الهجوم وهنا المعركة الإعلامية والنفسية والسياسية تواكب بدقة وبعقل ذكي وبإرادة ثابتة وبجهدٍ كبير المعركة الجهادية الميدانية، التي يصنع فيها المجاهدون ملاحم تاريخية .

نحن نملك في معركتنا مع العدو الصهيوني أولاً قوة الحق في القضية التي نقاتل من اجلها بمواجهة الاحتلال، فهي قضية عادلة لأنها قضية حق، وهي قضية مشروعة لا غبار عليها وهذه نقطة القوة، فهناك أحياناً قضية مصطنعة، مختلقة، مخترعة كالقضية الصهيونية، فهم كانوا يبحثون عن أي وطن ليكون كياناً صهيونياً، وكانت الأرجنتين مطروحة، وكانت أوغندا مطروحة، كان يوجد أماكن عديدة من العالم مطروحة، ولكن عندما اقتضت مصلحة القوى الكبرى في العالم وخصوصاً الاستعمار الإنكليزي، أن يزرع في قلب منطقتنا العربية كياناً معادياً يشكل ثكنة متقدمة لقوى الاستكبار الغربي، فالظروف السياسية وتقاطع المصالح جاء بالصهاينة إلى فلسطين، ومن أجل أن يقوم الكيان في فلسطين أخرجوا له نظرية، وتم فتح حكاية ال٣٠٠٠ سنة، وأرض الميعاد والحق التاريخي والإلهي لبني إسرائيل في هذه الأرض، إلى آخر المزاعم، ولكن لو أن التقاطعات السياسية أو المصالح السياسية الكبرى أخذت هؤلاء الصهاينة اليهود إلى الأرجنتين مثلاً، فمن المؤكد أنهم كانوا سيبحثون عن نظرية أخرى غير نظرية أرض الميعاد ووعد الله سبحانه وتعالى «بزعمهم» لإبراهيم وإسحاق ويعقوب وما شابه ذلك .

إذن النظرية والفكرة لقيام كيان إسرائيلي في فلسطين مبنية على باطل، وحين تقرر الأمة تحديد العدو وتقرر مقاومة هذا العدو الغاصب لا تبحث عن تقاطع مصالح سياسية كبرى أو عن موقف تَخترع له نظرية، فقضية المعركة مع العدو تستحضر حقاً واضحاً جلياً بكل المعايير، هناك أرض عربية وهناك شعب فلسطيني يعيش على أرض فلسطين منذ آلاف السنين، وهذا الشعب مالك

هـذه الأرض ويملك قرارها وصاحب الحـق الأول بتقرير مصيرها، وقد جاء من يريد أن يبتلع وطن هذا الشـعب، ورمى به في مخيمات اللاجئين وفي دول الشـتات، ومارس فيه القتل وارتكب بحقه المجازر، ومنعه من ممارسة حقوقه الطبيعية، وأقام على أجساده وأشلاء أطفاله دولة سماها دولة «إسرائيل» .

بكل المعايير الدينية والسماوية والشرعية، ومعايير القانون الدولي والمعايير الأخلاقية والإنسـانية، في أي معيار من معايير الدنيا المحقة والمنصفة، نحن أمام قضية واضحة المعالم لا غبار عليها . وهنا أود أن أقول إن من أهم عناصر قوة المقاومة سواء في وعيها أو صنعها للوعي، أو ممارستها الجهادية الميدانية أنها تنتمي إلى حق واضح، لا ريب ولا لبس ولا شك فيه، ولا غبار عليه .

إذا فتشـنا اليوم الكـرة الأرضية كلها، وكل ما يجـري من صراع في أي بلد من بلدان العالم بين شـعب وشـعب أو دولة ودولة، أو بين فئات في شـعب من شـعوب هذا العالم، أو بين محور ومحور لن نجد قضية أوضح وأنصع في حقها وشـرعيتها وعدالتها وإنسـانيتها وأخلاقيتها، من قضية مقاومة هذا العدو الصهيوني، والمشـروع الأمريكي في المنطقة ، فهناك وضوح مطلق في هذه النقطة وعندما يصل الإنسان إلى وضوح مطلق في مسالة الحق حينئذ لا يبالي أوقع على الموت أم وقع الموت عليه .

لذلـك عندمـا يتسـاءل العالم في هـذه الأيام عن سـر الثبات الأسـطوري لمجاهدي المقاومة في لبنان وفلسـطين ولشـعب المقاومة في لبنان وفلسـطين، وعـن تحملهم للمجازر وللتضحيات الجسـام دون أن تهتز لهـم إرادة، يجد أن السـبب الحقيقي هو خلفية الحق والعدل التي ينطلقون منها والتي أسست لإرادة جهادية استشـهادية، فصار شبابها وكهولها يواجهون الموت دون خشية ودون تردد .

النقطة الثانية من نقاط القوة في صنع الوعي وفي تطوير الوعي المصداقية، والقدرة الفعلية على إثبات سلامة الهدف الذي ندعو إليه في مقاومة العدو وهو قضيـة تحرير الأرض والمقدسـات والأوطان، والمقاومة العسـكرية الجهادية الميدانيـة تمثل رأس الحربة فـي هذه المقاومة الشـاملة، وينبغي أن يكون إلى

جانبهـا الفكر والمعرفة والعلم والسياسـة والتعبئة والإعلام . قد لا يكون صعباً علينا في المعركة أو المقاومة ، أن نقنع شعوب امتنا العربية والإسلامية بعدالة قضيتنا، باعتبار أن الذين يروجون لثقافة الاستسلام مع إسرائيل، والذين وقعوا معاهدات ما يسـمى بسـلام مع إسـرائيل، لا يجدون أي دليل شرعي أو قانوني لقيام كيان إسرائيلي على جزء من أرض فلسطين، نظراً لوضوح الأدلة بعدالة القضية .

إذن هـذه مرحلة مـن مراحل معركة الوعي، وباعتقـادي أن هذه المرحلة الأسـهل، أمـا المرحلة الأصعب فهـي مرحلة الإقناع بالخيار الـذي يخدم هذه القضية، أي الإقناع بالمسـار، وهذا ليس سـهلاً لأن هناك الكثير من الناس كان تشخيصهم للهدف صحيحاً واختيارهم للمسار خطأ، فتاهوا وضاعوا، لعشرات السـنين . وتجـاه العدو لا نتكلم عـن ضياع فرد أو مجموعـة صغيرة، بل عن ضياع أمة، لأنه عندما ينحرف شـخص عن مسـاره يمكن بسـهولة أن يصحح المسار، أما إذا انحرفت أمة عن مسارها فمن الصعوبة بمكان تصحيح المسار وتحتـاج إلـى جهود كبيرة وزمـن طويل قد يفوت فيه الكثيـر من المصالح في استعادة صحة الخيار وتصحيح الانحراف . فالمسألة الرئيسة في معركة الوعي تحديد العدو وانتخاب الخيار الصحيح الموصل إلى الهدف، وإذا لم نحدد العدو وننتخـب الخيار الصحيح سـنضيع فـي الطريق، ولن نصل إلـى الهدف على الإطلاق وسـيزداد عدونـا قوة وعلواً ومنعـةً واقتداراً وتجـذراً وتثبيتاً لقواعد مشروعه .

إن حال الأمة العربية والإسـلامية ينوس في ضبابية وعدم وضوح تحديد العـدو والهدف، وينطبـق عليها المثل الذي يقول: ما ضاقـت على فقيه حيلة ، وذلـك يعني أن الـذي يريد أن يقاتل العدو الصهيوني، يسـتطيع أن يجد فتوى، والـذي يريد أن يقعد عن قتاله يجد فتـوى أيضاً، والذي أراد أن يعقد صلحاً مع هذا العدو وجد لنفسـه فتوى بكل سهولة واسـتطاع أن يقول : فإن جنحوا للسلم فاجنح لها وانتهت الحكاية . هل هذا الاسـتدلال صحيح ؟ تذكروا قصة «العين لا تقـاوم المخرز، ومقولات نحن ضعـاف، إمكانياتنا وقدراتنا محدودة»، هكذا

كان المنطـق، وكانت المشـكلة في الوعي والذاكـرة واتخاذ الخيار الصحيح . إن الحـرب التي انتصرت فيها المقاومة في لبنان وفلسـطين ونالت من الوعي الصهيوني ليست حرباً قائمة على مثل هذه الافتراضات وإنما كانت حرباً قائمة على الوعي الناصع في تحديد العدو والهدف والوسـيلة، وربنا سـبحانه قال لنا وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة وأولها الوعي.

والنقطـة الثالثـة مـن نقاط القـوة التي يجـب التركيز عليهـا، القدرة على التعبئـة المتاحة ، باعتبار أننا أبناء هذه الأرض وهذه الأوطان وهذه المنطقة ، كانت لآبائنا وأجدادنا، ونحن ننتمي إلى حضارتها وديانـاتها السـماوية وثقافتها الغنية وكرم أخلاقها، ونعتز ببطولاتها وشـجاعتها وأنبيائها ورسـلها وأوليائها الصالحين ومجاهديها الكبار وشـهدائها العظام ، فإن لدينا من الإرث والتراث والغنى الفكري والثقافي والعقائدي والنفسـي، ومن الثروة على هذا الصعيد ما يُمكّننا من خوض معركة وعي حقيقية قائمة على تلك الأسس بكل ما للكلمة من معنى وهذه من أهم عناصر قوة المعركة.

لا شـك أن الخطاب القرآني الذي يدخل معركة التعبئة له تأثير بالغ وكبير جـداً في اندفاع المقاتل والمقاوم وفي احتضان الشـعب لجنوده ومقاتلي عدوه، كما له تأثير في تحمل الناس وصمودهم أمام الخسـائر والتضحيات، وفي رفع معنوياتهـم تجاه ما أصابهم تثبيتاً لهم في المعركة واسـتمرارِ المواجهة، كقوله سبحانه ﴿ وَلَا تَهِنُوا۟ فِى ٱبْتِغَآءِ ٱلْقَوْمِ ۖ إِن تَكُونُوا۟ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ ۗ ... ﴿١٠٤﴾ ﴾ (النساء)، وقوله سـبحانه ﴿ ...إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾ (محمد)، وقوله عز وجل ﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ ... ﴿٦٠﴾ ﴾ (الأنفال) ،حتى السـيد المسيح عليه السلام أمر أتباعه أن يُعدوا ما اسـتطاعوا من قوة وسـلاح حين شـعر بتآمر اليهود العنصريين فقال عليه السـلام: «أمّا الآن فمن عنده مال فليأخذه أو كيس فليحمله ومن لا سـيف عنده فليبع ثوبه ويشـتري سـيفاً[1]»، ورغم أنه قال عليه السلام «وفي الناس المحبة

١- إنجيل لوقا ٢٢:٣٦

وعلى الأرض السلام» إلا أنه رفض سلام الاستسلام وأعلن مشروعية الجهاد المسلح لمقاومة المعتدين والمتآمرين على الحق ، والتعدي على الآخرين محذراً من الخلود إلى السكينة والخنوع وإيثار الحياة الآمنة في إطار سلام مذل واستسلام مخزٍ، هذا ما قصده السيد المسيح عليه السلام لتحقيق العزة والكرامة للإنسان . وسيدنا موسى عليه السلام حين واجه المستكبرين والظالمين دعا أتباعه لمقاومتهم وقتالهم لكنهم خذلوه وقالوا له اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون . فجميع الأنبياء والرسل الكرام حملوا دعوة السلم والمحبة لكنهم في الوقت ذاته دعَوْا لمكافحة الفساد والعدوان حتى تنعُم البشرية بالسلام الحقيقي العادل والآمن .

مما لا شك فيه عندما نملك ثروة بهذا الحجم فهذه من عناصر القوة التي تساعدنا في المعركة التي نخوضها، إن التربية الدينية عموماً التي تدعو إلى الثبات والإفادة من كل عبر التاريخ . يروي لنا القرآن الكريم قصصاً بدءاً من آدم وحواء وإبليس وأولاد آدم ونوح وهود وصالح وكل الأقوام التي سبقت، لأن التاريخ عبرة واستنتاج ومدرسة، ومن يتعلم من ألف سنة في التاريخ كأنه عاش ألف سنة، ومن يتعلم من خمسة آلاف سنة كأنه عاش خمسة آلاف سنة .

ثم يأتي رابعاً دور شحذ الذاكرة ، ذاكرةِ بداية الصراع مع العدو والذاكرة التاريخية لهذا الصراع ، وما تحمله من مجازر وحشية واعتداءات مستمرة وقتل للأطفال والنساء والشيوخ، وقوةُ الأمة في استحضار مجريات الأحداث لتنشيط الذاكرة بشكل دائم، لأن العدو يراهن دائماً على النسيان، وبالتالي فإن ضعف ذاكرة الأمة والنسيانَ السريع جزء أساسي من المشروع الصهيوني الذي يساعد عليه عرب كثيرون، حيث يرتكب العدو المجزرة فيهب العرب لأيام فقط، ثم يأتي منه تصريح مخدر، بعضهم ينسى وبعضهم يتناسى وكأن جريمة لم تقع، وهذا ما يشجع المجرم على التمادي في ارتكاب أقصى حدود الجريمة، وبعدها يشن هجوماً على الذاكرة ضمن تحويل الصراع إلى حد كبير على الوعي والذاكرة معاً فلا يكتفي بتحريف الوقائع بل يحاول تحريف التاريخ المتعلق بسلب الوطن الفلسطيني، وإن إسكات التاريخ يشكل محواً

للمكان الفلسطيني والحقوق السياسية كاملة، وليس أفظعَ من اغتصاب الأرض إلا محاولات اغتصاب التاريخ، ولا أشد من التهجير القسري من الوطن إلا محاولات تهجير الوطن من الذاكرة، وليس أخطر من الصراع على الأرض إلا الصراع على وعي الأمة في تحديد عدوها الحقيقي .

فلا بد إذن من تنشيط الذاكرة لأنها الأساس في الوعي الذي نتكلم عنه، من هنا على الفضائيات العربية وكل وسائل الأعلام ومراكز الدراسات والتحقيقات، وفي المدرسة والجامعة وجميع النشاطات الثقافية أن تساهم في تنشيط الذاكرة فهذه معركة أساسية، حتى المفتاح الذي بدأنا نراه بقوة في السنوات الأخيرة في أيدي المهجرين الفلسطينيين يجب أن يتحول إلى رمز، يتربى عليه الأطفال ويشب عليه الصغار والكبار. نحن يجب أن نواجه الصهاينة من نقاط قوة المقاومة وعندما تكون هناك مقاومة تحفظ هذه الذاكرة ولا تتنكر لها، بل تحترمها وتعتز بها وتُنصفها، فهذه الذاكرة تساعدنا إيجابياً، كما ينبغي تنشيط الذاكرة حول كيفية إقامة هذا الكيان تاريخياً، والمؤامرات، والتواطؤ، والاعتداءات والمجازر الوحشية التي مارسها، وأن ندرس ما يهدد بممارسته خلال الأعوام المقبلة، هذه أمور يجب أن تبقى حاضرة في الذاكرة التي تصنع الوعي، وعلينا أن ندرك الأولويات عند التخطيط للمعركة، وهذا جزء أساسي من تكوين الوعي ومسألة رئيسة في صنع الوعي والدعوة إلى المسار الصحيح .

وبناء على نقاط القوة هذه، التي يجب أن نمتلكها، نواصل العمل لتحديد الهدف والوسيلة، فالتحدي الحقيقي اليوم في معركة الوعي مسألة تحديد العدو، وقد استطاعت المقاومة في لبنان وفلسطين خلال سنوات طويلة أن تكرس بوضوح أن إسرائيل هي العدو وأن المشروع الإسرائيلي المدعوم والمتبنى بالمطلق وبالكامل من أميركا هو العدو، وهو الخطر على الأمة وعلى الشعوب العربية وحتى على الحكومات العربية ، لكن منذ سنوات هناك جهد «أميركي -غربي - إسرائيلي» يتقاطع مع بعض الجهد العربي الاستسلامي، يحاول أن يختلق للأمة عدواً وهمياً ليحرفها عن العدو الحقيقي وعن المواجهة الحقيقة ،

وهذا العدو الوهمي تارة اسمه الإرهاب الذي تم على خلفيته احتلال أفغانستان، وتارة أخرى القاعدة أو طالبان، إلى امتلاك أسلحة الدمار الشامل المزعومة ونتج عن ذلك احتلال العراق، وتبذل جهود حثيثة لإقناع بعضهم بأن العدو الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ويتلقف اصحاب المصالح الشخصية لدى بعض القيادات هذا الوهم ليحرف المعركة عن مسارها الصحيح فيريح الصهاينة عن جهل مطبق تارة، وتارة عن علم وسابق إصرار، انسجاماً مع ارتباطات بعضهم هذا المشبوهة .

وفي الوقت الذي تتمسك بعض الأنظمة بالمعاهدات الوهمية مع الصهاينة يتنكر الكيان الصهيوني لجميع الاتفاقيات والحقوق حتى المبادرة العربية التي يتمسك بها المستسلمون، ويستمر في بناء المستوطنات وتهويد القدس وتهجير ما تبقى من الفلسطينيين، ويوهم العرب أن إيران تشكل تهديداً لهم، إذن على إسرائيل والعرب أن يتعاونا بمواجهة التهديد الإيراني المزعوم .

إيران الحليف الاستراتيجي لسورية، في مواجهة العدو الصهيوني والمخططات الأمريكية الغربية التي تدعمه، إيران التي أعلن إمامها يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان المبارك يوماً عالمياً للقدس، لتبقى القدس في الذاكرة،إيران التي غيرت التحالفات الاستراتيجية في المنطقة عندما أسقطت الشاه الداعم للصهاينة وأقامت أوّل سفارة لفلسطين في العالم على أرضها في طهران، وهي التي لم تتوان عن دعم الشعب الفلسطيني وحركات المقاومة الفلسطينية والعربية، وسورية لا تنفك توثق علاقات التعاون الإيراني في معركتنا المصيرية ضد الاحتلال الجاثم على أرض العرب، وتدعو جميع الدول العربية والإسلامية أن تمد يد الدعم والمساندة على كل صعيد لحركات المقاومة في لبنان وفلسطين كما تفعل إيران وسوريا. هناك فرق بين التحالف مع من يقف إلى جانب الحق العربي ويدعمه بكل ما لديه من قوة وبين التحالف مع الشيطان الأكبر وأذنابه في المنطقة للتفريط بحقوق الأمة العربية والإسلامية .

إن التحالفات النابعة من مصالح الأمة هي الوطنية، أما النابعة من مصالح الصهاينة فهي الشيطانية، وكل ما تفرح به أمريكا والكيان الصهيوني من مستجدات في المنطقة وتهلل له وتكيل له المديح يصب في خانة الشيطان، وأما ما تقوم قيامتهما ضده وتحشدان له المؤامرات وسموم الإعلام والعملاء، يعني أنه في مصلحة الأمة والوطن .

اليوم هذا هو التحدي، إن هؤلاء الصهاينة لا يهمهم من هذه المنطقة ومن شعوبها وسكانها وطوائفها وأقلياتها وأكثرياتها إلا حماية مشروعهم، ولا تربطهم أية علاقة إنسانية أو أخلاقية مع أي إنسان أو طائفة أو فريق في المنطقة .

والمعركة الأخيرة التي يخوضها المشروع الأمريكي – الصهيوني في المنطقة ، مشروع الشرق الأوسط الجديد ، معركة إحداث صراع عرقي أو مذهبي، وكل ما يؤدي إلى التفرقة، فإذا أفشلناه في هذه المعركة وهذا الصراع بإنعاش الوعي والذاكرة تنتهي أسلحة الشيطنة، وسوف نصبح جميعاً صفاً واحداً أمام معركة واضحة في مواجهة هذا المشروع.

معركة الوعي اليوم هي في مواجهة مخطط الفتنة، وإفشال مخطط اصطناع عدو وهمي وتجهيل الناس وتضليلهم عن العدو الحقيقي، وتغيير مسار الأمة إلى معركة ومواجهة لا يفيد منها إلا العدو الصهيوني .

إن الوعي الوطني بمتطلباته الأساسية من قوة الحق الذي نناضل لأجله، والمصداقية والتصميم على بلوغ الهدف، والقدرة على التعبئة المتاحة له، وشحذ الذاكرة باستمرار، هو الرافعة الأساسية في المعركة لمقاومة العدو، وعلينا أن نخوض معركة الوعي في تحديد الهدف والمسار والوسيلة بثقة، وأن نعتز ونمتن التحالفات التي تحقق ذلك كله، حتى النصر والتحرير إن شاء الله .

لغة الرحمة وأسماء الله الحسنى

الدكتورة ماجدة حمود
قسم اللغة العربية بجامعة دمشق

تشكل لغة الحب بكل مشتقاتها ومرادفاتها حقلاً دلالياً للرحمة، وجذراً أساسياً لأسماء الله الحسنى، إذ يلاحظ أن كثيرا منها مشتقا من الرحمة (الرحمن، الرحيم...) أو مما يكافئ الرحمة في الدلالة (الرؤوف، الودود، الغفور، العفوّ، التوّاب...)

وحين نتأمل اسم الجلالة المشتق من جذر الرحمة (الرحيم) نجده أكثر الأسماء وروداً في الخطاب القرآني بعد لفظ الجلالة (الله) وإذا أخذنا باهتمام صيغة (بسم الله الرحمن الرحيم) في افتتاحية كل سورة (ماعدا سورة التوبة) لهذا يمكن القول بأن اسماً آخر (الرحمن) يشاركه في كثرة الورود.

ونظراً لأهمية هذين الاسمين (الصفتين) فإنهما يردان في سياق صفة، لن نجد أحداً يشاركه بالذات الإلهية: الوحدانية والفردانية؛ وكي يرسّخ هذه الصفات الثلاث في وعي عامة المتلقين يخبرهم بصيغة الخطاب: ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾ ﴾ (البقرة).

وحتى حين يعرّف الخطاب القرآني الذات الإلهية عبر صفتين ملازمتين لها، نجد أحدهما الرحمة والأخرى العلم ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ﴾ (الحشر)

يلاحظ ورود الصفة المشبهة (الرحمن) مفردة دون (الرحيم) لتشير إلى بثبوت دلالة الرحمة في اسم الله تعالى وشمولها ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥ ﴾ (طه) ويبيّن ابن عربي في تفسير هذه الآية أن الرحمة الإلهية هي الأصل، وحين تستقر «في العرش الحاوي على جميع أجسام العالم، فكل ما يناقضها، أو يريد رفعها من الأسماء والصفات، فعوارض الأصل لها في البقاء، لأن الحكم للمستوي وهو الرحمن، فإليه يرجع الأمر كله.»[1]

وحين ترد عبارة الأسماء الحسنى في الخطاب، فإن المتلقي يلاحظ ذكر اسمين أساسيين (اللَّه/الرَّحْمَن) مما يشير إلى تكافئهما الدلالي ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ ... ۝١١٠ ﴾(الإسراء).

كما ورد هذا الاسم في سياق رحماني يعزّز في المخيلة في أثناء التلقي تحقق وعد الله وثوابه ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّهُۥ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَأۡتِيّٗا ۝٦١ ﴾(مريم) حيث تكافئ لغة الثواب (الجنات) في الآخرة وعد الرحمن في الدنيا، فتتجسد رحمته يوم القيامة، فيعيش المؤمنون طمأنينة الحياة، بفضل الإحساس بالأمل والثقة بصدق الوعد الإلهي؛ مما يسبغ عليهم قوة داخلية.

كما يعزّز الخطاب دلالة الرحمة في هذا الاسم في مشهد أخروي، حيث يقف المؤمنون بين يدي ﴿ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ۝٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ۝٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ۝٣٩ ﴾ (النبأ)

يعايش المتلقي في هذا المشهد لحظة مهيبة يوم القيامة، حيث يتجلى (رَبّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) فيصعق الناس حتى إنهم (لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَاباً) لشدة وطأة تلك اللحظة، وقد زاد من مهابتها مشهد جبريل والملائكة يقفون (صَفّاً لا يَتَكَلَّمُونَ) فهم يعيشون الهول نفسه، الذي يعيشه البشر، ثم يأتي الاستثناء بفضل رحمة الله، التي هي اسم له (إِلاَّ مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ) لكن الخطاب يبيّن عجزهم، لولا رحمة الله وما امتازوا به من صدق الإيمان والقول (وَقَالَ صَوَاباً) وقد خفّف تكرار (الرَّحْمَن) من وطأة هول ذلك المشهد، مما

١- ابن عربي «الفتوحات المكية» مجلد٢، ص٣٥٧

يضفي نوعاً من الأمل في النفوس، ويسبغ إحساس الأمن في القلوب، لينتقل بعد ذلك إلى لحظة دنيوية (فَمَن شَاء اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا) فحلّ اسم الجلالة الـ (رَبّ) محل الاسم الذي يحمل دلالة رحمانية (الرَّحْمَن) ليشير إلى امتلاك الإنسان حرية اختيار مصيره، فإذا اختار طريق الإيمان، فستنتظره يوم القيامة الجنة، التي تكافئ الرحمة من حيث الدلالة ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ (آل عمران) فيصبح اسم الجلالة (الرحمن) منسجماً مع تلك النتيجة، التي يصل إليها المؤمنون، بعد أن اختاروها بملء إرادتهم؛ وبذلك وجدوا الدلالة الرحمانية لهذا الاسم بانتظارهم.

ويلاحظ المتلقي تكرار هذا الاسم في سياق أخروي مع استثناء يمس البشر لا الملائكة، كما لوحظ في آية (٣٩/ النبأ) إذ إن قبول الشفاعة سواء من الملائكة أو من البشر يحتاج إلى الرحمة الإلهية، مثلما يحتاج إلى صفات الصدق في الإيمان، الذي يتجلى في العمل والقول ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾ ﴾(طه).

مثلما لوحظ تكرار هذا الاسم في سياق دنيوي، بعد أن سُبق بمضاف يدلّ على المؤمنين ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾ ﴾(الفرقان) .

وقد مُنح (عِبَادُ الرَّحْمَنِ) صفات إيجابية، امتازوا بها، فهم متواضعون، واسعو الأفق، يردّون بتسامح القول الجميل على أولئك الجاهلين، الذين يسيئون لهم؛ لهذا أُضيفوا في الخطاب القرآني إلى (الرَّحْمَنِ) وبدا المتضايفان مكافئين لهذه الصفات، وقد اكتسب قولهم (سَلاماً) دلالات رحمانية من اسمين للذات الإلهية: الرحمن والسلام ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ...﴿٢٣﴾ ﴾(الحشر).

وفي سياق آخر عرّفنا الخطاب القرآني على فئة أخرى من (عِبَاد الرَّحْمَنِ) ليست من البشر ﴿ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمْ ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ (الزخرف).

ما يدهش المتلقي سماع صوت الكافرين: (لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ) فيستخدم اسم (الرَّحْمَن) فكأنهم يقرّون في لا شعورهم بدلالاته الرحمانية، ليتبعها بكذبهم، حين يسندون عبادتهم للملائكة إلى مشيئته تعالى، ليتنصلوا من مسؤولية شركهم؛ فيتعمّد الخطاب إبراز جهلهم وكذبهم؛ لهذا لن يفوزوا بتلك الرحمة.

وفي سياق دنيوي آخر، يلاحظ المتلقي ادعاء (أَحَدهُمْ) بأن الملائكة بنات (الرَّحْمَنِ) لا يكتفي بذلك، بل يتصرف تصرفاً منكراً، لا يصدر إلا عن إنسان جاهل، أسير نظرة تقليدية جاهلية ﴿ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾ (الزخرف) .

يستخدم الخطاب فعلاً ذا دلالة رحمانية (بُشِّرَ) ليخبر عن ولادة الأنثى، ثم يبرز ردّ فعل الأب الجاهلي (ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدّاً) إذ يصيبه الهلع والغضب، الذي يصبغ ملامحه بالقتامة، ويطلعنا على أعماقه، فقد امتلأ قلبه هماً وغيظاً (وَهُوَ كَظِيمٌ) وبما أن الفعل (ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ) قد أُسند لأحد لكافر؛ لهذا غابت عنه الدلالة الرحمانية للاسم .

ومن أسماء الله الحسنى (رَءُوف) ويلاحظ تكراره في صحبة اسم يعزّز دلالة الرحمة في الوجدان (رَحِيم) عبر صيغة نكرة، تمنحها إيحاء مطلقا في عدة سور (البقرة/١٣٤، الحج/٦٥، الحشر/١٠، النحل/٤٧/٧، الحديد/٩...)

يأتي هذا الاسم مسبوقاً بأداة (لَوْلا) تحضّ المتلقي على تأمل سياق لغوي، يؤسس لجذر الرحمة وما يكافئها من دلالة الفضل، ويمهد لصيغة (رَءُوفٌ رَحِيمٌ) أي لاسمين من أسمائه تعالى ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ وَأَنَّ ٱللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾(النور) مما يرسّخ في وعي المتلقي الدلالة الرحمانية لاسم آخر من الأسماء الحسنى.

﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ ﴾(التوبة) فتتجلى الرأفة التي يحملها اسم (رَءُوف) في سياق يبرز ضعف فريق من المسلمين، فقد سُبق هذا الاسم بتكرار فعل يؤكد

رأفته تعالى بهم (تَابَ اللَّهُ...ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ) ثم يعزّز ذلك بجملة اسمية، يجد المتلقي تأكيداللدلالة الرحمانية في كل حرف وكل ضمير واسم فيها (إِنَّهُ بِهِمْ رَءُوفٌ رَحِيمٌ).

وقد يأتي هذا الاسم (رَءُوف) ملازماً للبشر ﴿رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٣٠﴾﴾ (آل عمران) بفضل باء الالتصاق، فحيث ثمة بشر ثمة رحمة إلهية؛ مما يخلق فضاء مطمئناً، يحس فيه المتلقي أن ثمة رأفة إلهية لا حدود لها، ترعاه، وتبث السكينة في نفسه.

كما يعدّ (الودود) من أسماء الله الحسنى ذات الدلالة الرحمانية، فهو مشتق من الود أي المحبة الثابتة، التي يغمر بها عباده؛ لتثبت في قلوبهم؛ وبذلك تصبح محبته تعالى سابقة لمعاصيهم، فحتى لو أخطؤوا، يفتح تعالى أمامهم أبواب الرحمة؛ لهذا تشيع هذه اللغة الرحمانية لدى الأنبياء، إذ يأمر النبي (شعيب) قومه ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ ۚ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ ﴿٩٠﴾﴾(هود) وقد انتقل من صيغة الخطاب (رَبّكُمْ) إلى المتكلم (رَبِّي) ليحفّز قومه على الإيمان برب يؤمن به، مؤكداً لهم بأنه (رَحِيم وَدُود) فيحس المتلقي باتساع دلالة هاتين الصفتين، حتى تحولتا إلى اسمين من أسماء الله الحسنى؛ مما يرسخ في وجدانه دلالة الرحمة والمحبة للذات الإلهية.

وقد تأتي إلى جانب (وَدُود) صفة مكافئة للرحمة هي (الْغَفُورُ) في سياق يشير إلى إعجاز صفات ينفرد بها تعالى ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾ (البروج) فأدى تكرار الضمير العائد عليه تعالى (وَهُوَ) إلى تأكيد انتساب هاتين الصفتين له، أما صيغة التعريف (الْغَفُورُ الْوَدُودُ) فقد أفادت، هنا، تخصّصهما بالذات الإلهية، التي تتفرد بهما.

لن تغمر الإنسان هذه الدلالة الرحمانية المستمدة من أسمائه الحسنى، إلا إذا جسّد إيمانه بالعمل الصالح ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾(مريم) فكانت المكافأة الرحمانية نتيجة لهذا التجسيد، وقد جاءت في صيغة مستقبلية (سَيَجْعَلُ) لتفسح المجال أمام المتلقي، ليغيّر نفسه، حتى ينال تلك المكافأة، التي أسندت إلى اسم من أسماء الله الحسنى (الرَّحْمَن)

الذي يتناسب دلالياً مع المكافأة (وُدّاً) التي جاءت مصدراً مطلقاً، مما يعزّز فاعلية حضورها وإطلاق دلالتها الرحمانية في ذهن المتلقي.

كما أن ثمة صفة (اللَّطِيفُ) قد تحولت إلى اسم من أسماء الله الحسنى ﴿وَأَسِرُّواْ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُواْ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾(الملك) لتدلّ على إعجاز إلهي، يجمع بين المعرفة (ما يخفي الإنسان في ضميره وما يظهره) وبين الرحمة، التي يسبغها تعالى على عباده بعد اطلاعه على أدق التفاصيل؛ لهذا جاءت (اللَّطِيفُ) لتشير إلى الرقة والرأفة معاً، وقد تكررت هذه الصفة مرة أخرى في سورة (الأنعام/ ١٠٣).

يوجه ابن عربي النظر إلى أن تعلق الإنسان بهذه الأسماء دليل افتقار المرء لدلالتها وحاجته إليها، فالرحمن، تشير إلى افتقاره الرحمة، التي هي السعادة الأبدية، والرؤوف توحي بافتقاره للرأفة والرحمة في النفس وفي غير ذلك، وكذلك الودود[٢].

٢- ابن عربي «المسائل لإيضاح المسائل» تحقيق قاسم محمد عباس، دار المدى، دمشق، ط١، ٢٠٠٤، ص١٦١-١٦٤، بتصرف

القيم ودور الأسرة في إغنائها

بقلم : سلوى روماني
باحثة تربوية

منذ زمن، وعندما كنا على مقاعد الدراسة، كان زادنا الذي نتلقاه من بيوتنا ومدرسينا و مجتمعنا غنيّ بالقيم و الفضيلة، مما جعلنا قادرين على متابعة مسيرتنا العلمية دون أي عوائق تذكر.

لكن للأسف أينما نتوجه الآن نجد أنفسنا أمام قيم مادية مضللة كالقوة والمال و الوسامة و الثروة و المنصب و هي أمور تحجب الإنسان عن حقيقته الإنسانية وعن رسالته الربانية، تحجبه عن سر وجوده. وغاية وجوده ، لقد قلّ الاهتمام بالصفات الإنسانية التي أوصى بها ديننا الإسلامي في برنامجه لبناء الإنسان وتنمية وجدانه الأخلاقي ، مما أوصل مجتمعاتنا نحو طريق الفساد و الانحراف و أصبحت قيمنا في وضع يرثى له من الاضطراب و الاختلال خاصة مع تصادم الخطأ بين الإسلامي والعلماني الذي أدى لجعل مجتمعاتنا تعيش حالة من تشويه الوعي و بالأحرى تغيب الوعي .

وطالما أن خيارنا الإسلام كمنهج للحياة يحتوي منظومة قيم كاملة لتنشئة الأجيال عليها، وأمام هذا الوضع المتأزم على المستوى الأخلاقي المتمثل في الانسلاخ الحاصل في الهوية الإسلامية ، تكمن الحاجة لإبراز ما تحتاجه مجتمعاتنا للتصدي لهذه الأزمة .

ونجد نفسنا أمام أسئلة مهمة كيف نستطيع أن نغرس هذه القيم في وجدان هذه الأجيال لتوفير مناعة قيمة ضرورية لمواكبة العصر بكل ندية وكفاءة و كيف نحول هذه القيم إلى سلوك في ظل هذه المتغيرات الكثيرة في المجتمع؟ وعلى عاتق من تقع هذه المسؤولية ؟

قبل الإجابة عن هذه الأسئلة لابد أن نبين ماذا يعني مفهوم القيم؟ وما أهمية القيم في حياة الفرد والمجتمع ؟

تمثل القيم الجانب المعنوي في السلوك الإنساني ، كما أنها تملي أحكاماً معيارية يتم بموجبها تقويم سلوك الفرد والجماعات سلباً أو إيجاباً حيال بعض الأشياء وتدفعنا إلى تفضيل سلوك على أخر وهي متغيرة بتغير الزمان والمكان، ومرجعيتها الإنسان، فالقيم الإنسانية هنا تمثل قناعات فكرية بمجتمع معين والتحلي بها من طرف الفرد تزيد من شأنه داخل مجتمعه. أما القيم بالمعنى الإسلامي : هي القيم المستمدة من القرآن الكريم والسنة ثابتة لا تتغير بتغير الظروف هدفها بناء شخصية الإنسان وفي إطار هذه القيم تتحدد معايير السلوك وآداب التعامل ، كما تنظم العلاقة بين الناس على أساس من الخلق والفضيلة . فالقيم الإسلامية بما تمثله من مرجعيات لها تعتبر دستور حياة للفرد المسلم.

ما ضرورة الحديث عن القيم وتعزيزها في الفرد والمجتمع ؟

١- إن الغزو الثقافي الذي يقتحم أبناءنا والذي يهدف إلى محو هويتنا الإسلامية، يحتم علينا الاهتمام بمنظومة القيم الإسلامية بعيداً عن كل تعصب وتطرف بفرض المحافظة على الهوية الحضارية الإسلامية ومبادئها بغرض المحافظة على الحضارة الإسلامية ومبادئها الثقافية و الأخلاقية لتكوين مواطن صالح مؤمن بهذه القيم .

٢- إن الممارسات العبثية التي باتت توجه حياة أبنائنا وتطغى على سلوكياتهم أدت إلى تفشي العديد من الظواهر السلبية في مجتمعاتنا و جعلتنا أحوج ما نكون لتعديل هذه الممارسات و الاهتمامات بترسيخ القيم و إحياء الرقابية الذاتية عند الأفراد .

٣- إن عمليــة التربيــة على القيم ينبغي ان تكون بشــكل دائم لتعمل على تكوين الفــرد و تنمية وعيه ومعرفتــه بما عليه من حقوق وواجبــات للانخراط في مجتمعه بشكل صحيح .

٤- إن التربية على القيم حصيلة مجموعة من الجهود التي تقوم بها مؤسســات المجتمع وهي مسؤولية يتحملها الجميع دون استثناء وتعتبر أكبر تحد لقدراتنا للحفــاظ علــى مجتمعاتنا من الذوبان و الانســلاخ عن حضارتنا بما يســمى العولمة.

أهمية القيم بالنسبة للفرد

تســاعد القيم في بناء شــخصية الإنســان و تحديد أهدافه ، ووسائل تحقيق هذه الأهداف في إطار معياري صحيح، و تعمل على ضبط ســلوكه من خلال تحكمها بتصرفاته في حياته العامة و الخاصة ، و تمثل أحكاما معيارية يعتمدها الفــرد في تقويم ســلوكه وســلوك الآخرين . كما أنها تلعــب دورا مهما في حل الخلافات و اتخاذ القرارات عن الأفراد، و تمكنه من التكيف مع ضغوط الحياة، فقيمة الإيمان بالقضاء والقدر تساعد الفرد على تحمل مصاعب الحياة والرضا بما يأتي من عند الله عز وجل ، و أيضا للقيم أهميتها في تحقيق الصحة النفسية للأفراد فهي عامل من عوامل الوقاية من الأمراض النفسية لأن القيم المرتبطة بذات الفرد تشكل وجهة نظره في الحياة و بالتالي تحدد طريقته في التعامل مع محيطه و من ثم تحقيق التكيف النفسي، فالصراع القيمي لدى الأفراد يؤدي إلى حدوث اضطرابات في الشــخصية وســوء في التوافق الاجتماعي . وللقيم دور مهم في اعتزاز الفرد بنفســه وحمايته من التناقض و الاضطراب لأنه يســتعين بهذه القيم على مواجهة ضعفه الإنساني .

أهميــة القيم في المجتمع : تحفظ تماســك المجتمع وتحدد له أهدافه ومثله العليا . وتحدد الفلســفة العامة للمجتمع . فالقيم الســائدة فــي المجتمعات الدينية تختلف عن تلك الســائدة فــي المجتمعات العلمانية ، كمــا تعمل في المجتمعات علــى توجيــه الفكر نحو غايات محددة حيث إن وحــدة الفكر المرتبط بمنظومة

القيم هو الذي يستطيع الارتقاء بالأمة لمواجهة التحديات الخارجية التي تهدف إلى تذويب قيمنا و إبدالها بسلوكيات فردية أوجماعية وفق النمط العربي، ونبذ العنف و التمييز العنصري .

القيم هي التي تبني الأمم والحضارات وهي مؤشر على نضج هذه المجتمعات ووعيها ولو رجعنا إلى الماضي وجدنا أننا كنا في قمة الحضارة عندما كانت القيم الإسلامية مطبقة بالشكل الصحيح .

دور الأسرة في إغناء قيم الطفل

إن عملية التنشئة الاجتماعية التي تبدأ مع الأسرة تعتبر من العمليات الأساسية في حياة الفرد فمن خلالها تتبلور شخصية الفرد ليصبح قادراً على التعامل مع محيطه الاجتماعي و الانضباط في ضوابطه، وتعتبر الأسرة المسؤول الأول عن غرس القيم الايجابية أو السلبية في نفوس الأبناء. كما تعتبر سنوات الطفولة الأولى محطة أساسية لبناء القيم النبيلة في شخصية الفرد و كلما تداركنا الطفل في طفولته المبكرة وغرسنا فيه القيم الفاضلة ساعدنا ذلك على تكوين شخصية صالحة مستقبلاً:

١- إن ملاحظة الطفل تكون دقيقة لاستجابات الأهل وردود أفعالهم على سلوكياته التي يمارسها ، و يتعامل معهم على هذا الأساس ، فإن كانت ردود أفعالهم غير مبالية لسوء تصرفه يصبح هذه السلوك الخطأ جزءاً من سلوكه فيما بعد .

٢- عدم وجود خبرات عميقة وأحداث مؤثرة في حياة الطفل ومعنى ذلك أن أي قيمة أخلاقية أو سلوك جيد يعززه الأهل يترك أثراً واضحاً في شخصيته. فالطفل هنا صفحة بيضاء يخطط لها الأهل ما يشاؤون سلباً أو إيجاباً .

٣- قلة مصادر التلقي : فالطفل هنا لديه قدرة وحيدة هي الوالدان. وعندما يكبر تتسع دائرة القدرات لديه ، ويقل تأثير الوالدين. إذن من هنا تبرز أهمية الأسرة في تعزيز القيم لدى الأبناء خاصة في السنين المبكرة الأولى من

عمره التي تعتبر السنوات الذهبية لغرس القيم، وللأسف فان معظم أولياء الأمور لا يفطنون لهذا الأمر ظناً منهم أن ابنهم مازال صغيراً.

ولابد أن ننتبه إلى القدوة الحسنة التي تتمثل في الوالدين بحيث إنّ تطابق أقوالهم مع أفعالهم يعتبر من أهم الوسائل التي يمكن من خلالها تنمية القيم وغرسها في نفوس الأبناء وأن التأكيد على مبدأ القدوة الصالحة يجعل من عملية التربية عملية فعالة ومحدثة للأثر المطلوب منها . فليس من المنطق مثلا أن نطلب من أبنائنا احترام الآخرين ونقوم على مسامعهم بالاستهزاء من الآخر وما يقوم به الوالدان من سلوك أكبر مشجع للأبناء ليقتدوا به .. و قد دلت الدراسات على أن تبني الطفل قيم ومعايير الوالدين الإيجابية معتمد على مقدار الدفء و الحنان الذي يحاط بهما الابن في علاقته بوالديه .

دور المؤسسات التربوية

المدرسة : القيم ليست سلعة تباع أو تشترى ، بل هي شيء غير ملموس، يكتسبه الطالب ، والمدرسة مدعوة بالعناية بالطفل ورعاية الناشئة ، ويشكل نظام القيم حلقة من حلقات هذه الرعاية ، فنظام القيم المرتبط بالمعايير الاجتماعية يشكل الإطار المرجعي للسلوك، و بقدر رعاية المدرسة لهذه الطفولة يرتفع مستوى تشكيل و بناء القيم . وتعتبر من أهم المؤسسات التربوية لتوجيه السلوك لما فيها من فعاليات تحتم أن يكون هذا الوسط بيئة صالحة تنمو فيها بذور الأخلاق الحميدة . فالمناهج بما فيها من دروس، والأنشطة الاجتماعية ، وإشاعة روح المحبة و الألفة بين الكادر التدريسي و الناشئة تجسد أهم الوسائط التي يمكن من خلالها تنمية القيم في نفوس المتعلمين لاسيما إذا كانت قائمة على أسس سليمة و مربين يعرفون كيف ينمون القيم في نفوس التلاميذ إضافة إلى أن التعاون بين الأسرة والمدرسة ضروري لتكوين اتجاهات يحولها الناس إلى سلوك حياتي يرتقي في سلوك الطفل ليصبح مواطناً صالحاً.

دور العبادة : يعتبر المسجد من المؤسسات التي لها دور كبير في المجتمع الإسلامي يتلقى الأفراد من خلاله العلم و المعرفة الدينية فضلاً عن أدواره

الاجتماعية التي نمّت من خلاله تحقيق روابط وأواصر الأخوة بين المسلمين، و الدين بشكل عام يهتم بطهارة القلب و الوجدان و تعميق قيم المحبة و الأخلاق الفاضلة التي تبنى على عقيدة الإيمان و العمل الصالح. و تحذر من الركون إلى القيم الفاسدة .

والمسجد و دور العبادة من خلال الخطيب على المنبر تقوم بدور بارز في تنمية القيم الإسلامية ، و تقوية الكيان الروحي للأمة ، و بيان ما للتعليم و الوحي السماوي من شأن في الحكم على قيم الأشياء التي تعتبر أساسية لاستقرار المجتمع و تماسكه .

الإعلام : يعتبر الإعلام المرئي أحد الركائز الأساسية التي تساهم في تكوين المعرفة الاجتماعية و السلوك الاجتماعي و من ثم ترتيب القيم و الاتجاهات المرتبطة بها من خلال ما تعرضه من مشاهد على التلفزة و مواقف و ندوات. لتقدم بذلك للأفراد القدوة الحسنة والإقناع العقلي والعاطفي والخبرات الكثيرة التي يتفاعل معها المتلقي ، ويبني القيم في داخله ، وعلى أساسها تتبلور الاتجاهات و تظهر بشكل مواقف ثابتة ، و لكن للأسف نشهد الآن غياب الصناعة الإعلامية التي تهتم في غرس القيم و المبادئ المثلى ، ليحل محلها برامج يشوهها التردي و الإسفاف ، و لا بد من التحذير في هذا المجال من خطورة و سائل التواصل الاجتماعي ومالها من تأثير كبير في نفوس الناشئة بما تزرعه من مفاهيم و أفكار قد تختلف عن المجتمع الذي ينتمون إليه بقيمه و تقاليده ، و بالتالي قد تكون هذه الأفكار المرجعية الثقافية و القيمية لهم مما ينعكس سلباً على ارتباطهم و انتمائهم لمجتمعاتهم . لذلك لا بد من التأسيس لبرامج جادة و مسؤولة تقوم بدور إيجابي في تنشئة جيل تسيره ذهنية التفاعل الإيجابي مع قيمه.

جماعة الرفاق : الإنسان بطبيعة الحال ميال إلى الاختلاط و لا شك أنه يواكب غيره ويتفاعل تفاعلاً إيجابياً مع من يعاش ، وجماعة الأقران جماعة اجتماعية يشبع فيها الفرد دوافعه الاجتماعية ، جماعة مؤثرة في سلوك الفرد و قيمه فهؤلاء الأقران يحدثم و يعيش معهم،

وهـؤلاء يثبتـون قيمـاً ويغيرون أخـرى في نفوس مـن يصحبهم . و باعتبار الأقران عاملاً مؤثراً يجب على الأسـرة تخير الأقران الذين يعاشرهم الابن .

النوادي : مؤسسـات اجتماعية كثر انتشارها في الآونة الأخيرة و هي في الغالب ثقافية رياضية اجتماعية ، يلتقي فيها مجموعة من الأفراد يجمعهم هدف مشـترك ، وتقدم هذه النوادي إمكانات جيدة لحياة اجتماعية يقبل عليها الناشـئة باختيارهـم . و في أجواء هذه الأندية هنـاك فرص متعددة لتكوين علاقات بين هؤلاء الأفرادوالاقتداء بهم و بسلوكياتهم .

تحويل القيم إلى سـلوك : كثيراً ما نلاحظ أن هناك تفاوتاً كبيراً بين القيم التي نؤمن بها و السـلوك الذي يترجمها على المسـتوى العلمي و مرد ذلك أننا نهتـم بتعليم القيم أكثر من غرسـها، و يمكن بيان الفرق فـي ذلك أن تعليم القيم يكـون أشـبه بعملية التلقين أما غرس القيم فإنها تتجـاوز مرحلة تعليم القيم إلى مخاطبة الجانب الوجداني و من ثم نقلها إلى الجانب السلوكي لتصبح جزءاً من شـخصية المتلقي . لذلـك أصبحت قضية التفريق بين تعليم القيم وغرسـها من القضايـا الملحـة في عالم التربية ، وكان لا بد من وضع برامج تنفيذية تسـاعد علـى تبني خطوات عملية تقوي من أداء الناشـئ و ممارسـاته بما يتطابق مع قيمه قولاً وفعلاً .

آ ليـات تحويل القيم إلى سـلوك : دلت الدراسـات أن أكثـر الانحرافات السـلوكية تنمـو في بيئة تجافـي الدين ، وأن التربية الدينية سـواء في البيت أو المدرسـة تترك أثرا في تعديل السـلوك و بناء منظومة قيـم عند الأفراد، لذلك لابد من :

- التأكيـد في المراحل العمرية المختلفـة على امتلاك الثقافة المعرفية التي تشير إلى أن الشريعة الإلهية مصدر القيم ، والمشرع هو الله . وأن الشريعة هي التي تنظم رغبات الإنسان و قيمه و ترشده إلى السلوك الأفضل .

-إظهـار القيمـة للعمل و السـلوك أفضل مـن ابحاث مطولـة تعتمد على المحاضـرات والتلقيـن، والتركيز على الأنشـطة التطبيقيـة فرصة كي يحول

المتلقي مكنوناته الذاتية الى سلوك عملي ، لأن الأشياء التطبيقية تعلق بالذهن أكثر من المعارف الكمية.

- إكساب الطفل القدرة على التمييز بين قيم الفضيلة و الرذيلة . وتعليمه المعايير التي يتم بموجبها اعتماد هذه القيم، وإفهامه بأن مصلحته الشخصية المباشرة تكمن في اعتماد هذه القيم.

- إكساب الطفل القدرة على اعتماد السلوك الصحيح المرتبط بالقيم وليس السلوك السهل بالعمل على تقوية إرادته و تعزيز ثقته بنفسه .

- إقامة الشعائر الجماعية و إحياء المناسبات الإسلامية التي غالباً ما تترك بصماتها على الأفراد بترسيخ قيم ومعتقدات تتفاعل في وجدانهم .

- تعريف الطفل على نماذج طيبة وناجحة من الأشخاص، و التركيز على قيمهم و معتقداتهم التي كانت سبباً في نجاحهم ، ومن ثم نقل الطفل من مرحلة التعرف على هؤلاء الناجحين إلى مرحلة الإعجاب الذي هو بداية الحب لصفاتهم و قيمهم و العمل على الاقتداء بهم .

- تعريف الطفل بأن القيم تشكل منظومة شاملة في آثارها الاجتماعية مما يتوجب التعامل معها كوحدة متكاملة وعدم التصرف بانتقائية ومزاجية. وأخيراً المدخل الرئيس لتطبيق هذه المفاهيم الحب والحزم الذي نحيط بهما الفرد منذ أن يكون طفلاً وهما يعتبران المفتاح الحقيقي لمجموعة القيم التي توفر النمو الخلقي السليم لدى الأفراد.

من رسائل أئمة البيت (عليهم السلام)

الدكتور معتز المُوَقِّع الحسيني
كلية الدراسات العربية والإسلامية - معهد الشام العالي

دراسة أدبية فنية

الرسالة نص من الأدب النثري، يوجّه إلى شخصية مفردة أو جماعة، تتضمن خواطر وأفكاراً إسلامية في قضية من القضايا الحياتية[١]، ولها تاريخها في الأدب الإسلامي، حتى صار لها ديوانها الخاص في الدولة، وأدباؤها المختصون، ومؤلفاتها الهادفة للارتقاء بالفن والمهنة.

وتتنوع المراسلة (أو ما يمكن دَرْجُه بمسمى: المكاتبة)؛ فإما أن تكون ((كتاباً إدارياً))[٢] يوجَّه إلى شخص معيّن من كبار موظفي الدولة والمسؤولين الإداريين (والٍ، عامل، قاضٍ، قائد، إلخ)، أو إلى شخصيات متميزة (جماعة، مجتمع، دولة، إلخ)، يطلب إليهم العمل بموجب وظائفهم الرسمية أو الأهلية، وبحسب مراكزهم الاجتماعية؛ وإما كتاباً سياسياً أو عسكرياً (أو حربياً، أو أدب المعارك)، إلى داخل المؤسسة الإسلامية أو إلى خارجها مع الأعداء وسواهم، ومنها: الرسائل في أدب المشاورة العسكرية[٣]؛ وإما كتاباً علمياً (رسالة ثقافية)، يأتي في معرض الحديث العلمي والتعليم والردّ على الأسئلة العلمية[٤]، في ميادين الفقه والعقائد والأخلاق والسياسة والاجتماع والأدب

(١) الكاتب الأديب محمود البستاني: تاريخ الأدب العربي في ضوء المنهج الإسلامي، مجمع البحوث الإسلامية، بيروت، ١٤١٠هـ.
(٢) المصدر السابق: ص ٣٠٠.
(٣) رسالة من أحد قادة الإمام (أو اجتماع مسؤوليه العسكريين [المصدر السابق: ص٣٢٦ و٣٧٩].
(٤) المصدر السابق: ص ٣٠٠.

والبلاغة والنحو. وهناك الرسالة الاجتماعية، التي تطالب شخصاً أو جماعة من المواطنين بسلوك اجتماعي ما، أو تسجّل ظاهرة اجتماعية؛ والرسالة التربوية، وسماها البستاني: العبادية، حين المطالبة بسلوك إيماني أو أخلاقي أو عبادي ما؛ والرسائل الإخوانية، بين الخلاّن، والرسائل الشخصية، التي تجسّد خواطر الإمام عليه السلام في رسالة[١].

وقد تأخذ الرسائل طابع المساجلة (أو الترادّ[٢]، كما سماه البستاني)، مثل الرسائل المتبادلة بين عليّ- عليه السلام- ومعاوية. والمساجلات كالرسائل، تتنوع مسمياتها بتنوع أهدافها، وقد تتضمن شيئاً من الشعر[٣]؛ فـ ((أدب المساجلات)) على خلاف الرسائل الإدارية، التي يطغى عليها العنصر التقريري (أو الجانب السردي، أو اللغة الإخبارية)[٤].

والرسالة تستهلّ- في الإسلام، منذ رسائل النبي عليه الصلاة والسلام وعلى آله- بصياغات خاصة، من نحو: بسم الله الرحمن الرحيم... من عبد الله... إلى... أما بعد...؛ ثم تسرد الموضوع، الذي صيغ الكتاب (أو الرسالة) من أجله.

وعند أئمة البيت عليهم السلام، يبقى هيكل الرسالة- كما هو طابع جميع الأشكال الأدبية عندهم- خاضعاً لإحكام هندسي، تراعى فيه صياغة الموضوعات، وبث العواطف، في سيروراتِ: التدرُّج والتنامي، والسببية، والتجانس، ونحوها من متطلبات البناء الفني للنص، سواء أكانت الرسالة صغيرة الحجم لا تتجاوز الأسطر أم ذات حجم يبلغ صفحات عدة.

ولغة رسائلهم- في الأعم- لغة مترسلة، على خلاف لغتهم في الخطابة، لأنّها في صدد تعيين وظائف تتطلب لغة واضحة خالية من التركيب الصوري[٥]. وإن وُجدت السمات الفنية، فتأتي متسمة بالترسّل وبالوضوح على نحو يتناسب

(١) تجسد النثر الإبداعي [المصدر السابق: ص٦٨٥ و٦٨٧].
(٢) أي ردود (رسائل) بين طرفين أو أكثر [المصدر السابق: ص ١٧٤، ٢٧٣- ٢٧٥].
(٣) أو تكون شعراً خالصاً (مساجلة شعرية) [المصدر السابق: ص ١٦٦].
(٤) المصدر السابق: ص١٧٨.
(٥) يكتب البستاني [ص ١٤٩]: «وتتفاوت الرسائل في لغتها الأدبية تبعاً لمتطلّبات السياق». وما يميز الصور- الموجودة في رسائل الأئمة عليهم السلام- أنها تناغمت في تركيبها مع اللغة المترسلة.

مع اللغة المترسلة؛ فالملاحَظ أنّ سمة ((الاسترسال)) تطغى على نحو بكشف عن ((فنّ خفي)) يتحسسه القارئ من دون أن يجد نفسه في حاجة إلى أن يلتمس جمال الصور والإيقاعات، بل إنّ ((الصورة المباشرة)) [1] هي التي تحتل مهمة ((الصورة المجازية))[2]. إذن، تبقى الحقيقة الفكرية المستهدفة أساساً في أي نصّ شرعي، ويوظّف الفنّ من أجل توضيحها فحسب.

وقد اخترنا- لتقييد العدد في كلمات المقال في المجلة- رسالات متنوعة الغاية، لعدد من الأئمة عليهم السلام، وليس كل الرسالات، وليس كل الأئمة. وللسبب نفسه، نحينا جانباً الدراسة التاريخية والإرث المعاصر لأدب الرسالة في أزمنة أئمة البيت عليهم السلام، لتكون مبحثاً مستقلاً في زمن آت.

أدب الرسالة الإدارية عند أمير المؤمنين عليه السلام

في النصوص المأثورة عن الإمام علي عليه السلام، تحتلّ الرسائل موقعاً ضخماً، حتى تكاد تضارع حجم الخطب مثلاً، ما دامت طبيعة المسؤولية الرسمية- التي تسلّمها عليه السلام أواخر حياته- تفرض خطّ الكتب الإدارية والسياسية.

ولنقف عند رسالته عليه السلام إلى الأشتر، التي تُعَدّ وثيقة سياسية اجتماعية، لها أهميتها العظيمة في تنظيم شؤون الدولة في مختلف مؤسساتها (السياسية والاقتصادية والتربوية، إلخ)، وهي لا تُعدّ رسالة إلى شخص مسؤول فحسب، بل إنّها ((وثيقة)) أنموذجية، وقوانين عامة يتم الاسترشاد بها كل حين.

وقد تسابق إلى درس هذه الوثيقة عدد كبير من الباحثين، الذين يُعنون بشؤون المجتمع البشري، وعدّوها من أفضل الصياغات، التي عرفها الإنسان في تأريخ المجتمعات قديماً وحديثاً. وما يعنينا منها الطابع الفنّي في صياغتها، من جهة عناصرها وبنائها.

بدأت الرسالة بمطالبة الوالي باتّباع أوامر الله تعالى، وبمخالفة هوى النفس؛

(١) الجملة غير الصورية، التي تعنى بنقل ما هو مرئيّ حسّي، أو صيغ مع ما هو فنّي قائم على العلاقة بين الظواهر [المصدر السابق: ص١٤٣].

(٢) مثل: الاستعارات والتشبيهات [المصدر السابق: ص ٧٠٧].

ثـم طالبتـه بأن يعمل بمثـل ما يأمله هو من الوالي لـو كان غيره.. قال عليه السلام: «فليكن أحب الذخائر إليك ذخيرة العمل الصالح. فامْلُكْ هواك، وشحْ بنفسك عمّا لا يحـل لك»[١].. وهنا، ربطت الرسـالة اتّباع أوامـر الله ومخالفة النفس باتباع أوامر ولي الأمر ومراقبة النفس.

ثم قال عليه السلام: «وأشعر قلبك بالرحمة للرعية، والمحبة لهم، واللطف بهم، ولا تكوننّ عليهم سـبعاً ضارياً، تغتنم أكلهـم».. وهنا ربط العمل بمثل ما يأمله من الولاة بتلطُّفه بالرعية.

ونتابع الصفحات الطوال لهذه الرسالة، فنجدها على هذا النسق من الطرح الموسوم بدقة وسببية تنظم هيكلها العام.

وفـي المجمـل، إذا وقفنا عند لغة الرسـائل- التي يكتبهـا الإمام علي عليه السلام- وجدناها تمضي مترسّـلة لمتطلبات الموقف، وهي ليست على نسق خطبه عليه السلام، التي لم تكد تخلو جملة واحدة من عناصر الصوت والصورة[٢]. ولكننا نجد رسائله عليه السلام موشّـحة بلغة فنية لافتة. وكل ما في الأمر أنّه عليه السلام يعوّض عن عناصر الإيقاع والصورة- إن قلّت- بـ ((عناصر أُسـلوبية)) أو ((عناصر لفظية))، تحقق الإثارة الوجدانية نفسها المطلوبة في الفنّ[٣].

وفي لغة الرسـالة إلى الأشـتر، تمضي فقراتها مترسّلة، من نحو: «واعلم أنّ الرعيـة طبقات لا يصلح بعضهـا إلاّ ببعض، ولا غنى لبعضها عن بعض؛ فمنهـا جنـود الله، ومنها كتّـاب العامة والخاصـة، ومنها قضاة العـدل، ومنها عمّـال الإنصاف والرِّفق، ومنها أهل الجزية والخراج من أهل الذمة ومسـلمة الناس، ومنها التجار وأهل الصناعات، ومنها الطبقة السـفلى من ذوي الحاجة والمسكنة».

وفـي أثناء الرحلة الطويلة- التي تقطعها هذه الرسـالة- تسـتوقفنا محطات

(١) نهـج البلاغـة (الجامـع لخطب الإمام أميـر المؤمنين علي بـن أبي طالب عليه السلام ورسـائله وحكمه): ص٥١٧ و٥٤٠. الشريف الرضي، شرح ابن أبي الحديد، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٧٨هـ.

(٢) البستاني: ص ٢٣٢. وأعتقد لو قلنا: لغة مترسلة موشَّحة، لكفانا!

(٣) البستاني: ص ٢٣٢.

صوريــة وصوتية، منها: «ولا تكوننَّ عليهم ســبعاً ضاريــاً تغتنم أكلهم»، فهو عليه السلام- عندمــا يطالب الوالي بــأن يلطُف بالرعية- يرســل طلبه في ((صورة تمثيلية))[1]: صورة الســبع الــذي ينتظر أكل الناس، وهــي صورة معبرة عن أدقّ ســمات التســلط في أكل حقوق الناس وأكل ما يملكون؛ فيحذره عليه السلام مما يصنعه معظم الولاة. وكذلك عندما تتحدث الرســالة عن الجنود، ترســم صورة تمثيلية: «فالجنود- بإذن الله- حصون الرعية، وزين الولاة، وعزّ الدين، وسبيل الأمن»، ونلاحظ أنّ هذه الصورة تتســم بالأُلفة والوضوح، حتى إنّها لتتجانس مع لغة الرسالة المتّسمة بالوضوح والأُلفة حيث استدعى الموقف، وهي صور مألوفة، ما دام الحديث عن الجنود، الذين يشــكلون القوة التي تحمي الدولة من العــدوان، ومفهوم ((الحمايــة)) لا يتبلور إلاّ في صور تركيبية، مثل: الحصن، الســبيل.. فهاتان الكلمتان تجسِّــدان مفهوم الحماية والمنعة أكثر ممّا تفعله اللغة التقريرية المباشرة.

الرسالة العلمية الثقافية والإمام الحسن عليه السلام

إنّ ((الاقتصاد[2] اللغوي)) ســمة ملحوظة في معظم رسائل الإمام عليه السلام، على اختلاف أنواعها. ونلمح هذا القصد اللغوي حين وجّه إليه الحسن البصري سؤالاً عن ((القَدَر))، فأجابه عليه السلام مكاتبة، في ما يسمى ((الرسائل العلمية))؛ إذ علــى الرغم مــن أن قضية فلســفية (أو كلامية)- مثل القــدر- تتطلب جواباً مفصلاً، فإنّ جوابه عليه السلام اتّسم بالقصد في جُمله: «أمّا بعد: فمن لم يؤمن بالقَدَر خيره وشرّه أنّ الله يعلمه، فقد كفر. ومن أحال المعاصي على الله، فقد فجر. إنّ الله لــم يُطَــع مُكرَهاً، ولم يُعصَ مغلوباً، ولم يُهمل العباد ســدى من المملكة، بل هــو المالك لما ملّكهم، والقادر على ما عليه أقدرهم؛ بل أَمَرهم تخييراً، ونَهاهم تحذيــراً. فإن ائتمروا بالطاعة، لم يجدوا عنها صــادّاً. وإن انتهوا إلى معصية،

(١) الصورة التمثيلية (المركّبة) إما أن تكون استعارة تمثيلية، وإما تشبيهاً تمثيلياً.
(٢) اصطلح مصطفى صادق الرافعي- في كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية [مطبعة المقتطف والمقطم، مصر، ١٩٢٨]- تسميتها ((القصد)).

فشـــاء أن يمنّ عليهم بأن يحول بينهم وبينها، فعل. وإن لم يفعل، فليس هو الذي حملهـم جبراً، بل منّ عليهم بأن بصّرهم وعرّفهم وحذّرهم وأَمَرهم ونَهاهم، لا جبراً لهم على ما أمرهم به فيكونوا كالملائكة، ولا جبراً على ما نهاهم عنه»[1].

وتُعَدّ هذه الرسالة وثيقة عظيمة الأهمية؛ إذ إنّ كاتبها- في نظر المؤرّخين- من أبرز الشخصيات، التي عرفها الزمن الذي نؤرخ له؛ إذ على الرغم من علم الحسن البصري، فهو يعبّر عن حيرته في ((القَدَر))، ويطلب من الإمام عليه السلام المعونة في المعرفة، وهذا يعني أنّ تفرّد الإمام عليه السلام بالعلم لم يخفَ حتى على الاتجاهات الفكرية، التي لم تنخرط في الخط السياسي للإمام عليه السلام.

السجاد عليه السلام والكتابة السياسية

واكب الأدب معظم الأحداث السياسـية التي شـهدها ذاك العصر، بدءاً من بيعة الإمام علي عليه السلام، والصراعات السياسـية، التي واكبت سلطة معاوية في الشام وعمرو بن العاص في مصر، إذ كان التوتّر بينه عليه السلام وكبار الشخصيات الاجتماعية على أشـدّه، على نحو عزز ميلاد ((أدب الرسائل السياسية))، ذات الطابـع الصراعي الفكري، الذي واكبته وقائع عسـكرية، مثل: معركة صفين بين جماعة الإمام عليه السلام وجماعة معاوية، ومعركة الجمل.. مروراً بصراعات سياسية عسكرية في زمن الإمام الحسن عليه السلام، وانتهاء بمعركة الطفّ في زمن يزيد، واستشهاد الحسين عليه السلام.

ومـا دام الانحراف أخذ بفرز خيوطه بوضوح في العصر، الذي نؤرخ له؛ فالمتوقّع من الإمام السـجاد (زين العابديـن) عليه السلام أن يمارس وظيفة التوعية الإسلامية تجاه السلطة الزمنية المنحرفة، وتحذير المسلمين من التعاون مع تلك السـلطة، مثل مـا يحذّرهم من الانحدار في الفتـن والاضطرابات التي واجهها ذاك العصر.

ففـي إحدى توصياته عليه السلام يقول: «كفانا الله وإيّاكـم كيد الظالمين، وبغي

(١) تحف العقول: عن آل الرسول: ص٢٣٢، ٢٣٣، الحسن بن علي بن شعبة الحراني، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٢، ط٧.

الحاسدين، وبطش الجبّارين. أيّها المؤمنون: لا يفتننّكم الطواغيت وأتباعهم من أهل الرغبة في الدنيا، المائلون إليها، المفتونون بها، المقبلون عليها، وعلى حطامها الهامد، وهشيمها البائد غداً.. وإنّ الأمور الواردة عليكم في كل يوم وليلة من مظلمات الفتن، وحوادث البدع، وسنن الجور، وبوائق الزمان، وهيبة السلطان، ووسوسة الشيطان، لتثبّط القلوب عن نيّتها، وتذهلها عن موجود الهدى، ومعرفة أهل الحق، إلاّ قليلاً ممن عصم الله (عز وجلّ)؛ فليس يعرف تصرّف أيامها، وتقلّب حالاتها، وعاقبة ضرر فتنتها، إلاّ مَن عصم الله، ونهج سبيل الرشد، وسلك طريق القصد؛ ثم استعان على ذلك بالزهد، فكرّر الفكر، واتّعظ بالعبر وازدجر.. وإيّاكم وصحبة العاصين، ومعونة الظالمين، ومجاورة الفاسقين.. احذروا فتنتهم، وتباعدوا من ساحتهم»[1].

لنُنْعِم النظر في الفقرات- التي وردت في النصّ السابق- من نحو: كيد الظالمين، بطش الجبّارين، لا يفتننّكم الطواغيت، سنن الجور، هيبة السلطان، صحبة العاصين، معونة الظالمين، مجاورة الفاسقين، احذروا فتنتهم، تباعدوا من ساحتهم.. إنّها جميعاً تكشف عن أنّ الإمام عليه السلام كان حريصاً- كل الحرص- على توعية المسلمين، وتحذيرهم من الانقياد وراء متاع الحياة الدنيا، وبهارج السلطة والجاه؛ إذ إنّ السلطة تخلّت تماماً عن الالتزام- ولو شكلياً- بمبادئ الرسالة الإسلامية، التي حملها الجمهور في الأزمنة السابقة وكانت تستأثر باهتمامه.

السيرة الذاتية والحوار في رسالة الإمام عليه السلام

هنا سنتدبر هذا النص الذي قدّمه أمير المؤمنين عليه السلام، حينما بلغه أنّ أحد القضاة اشترى داراً، فذكّره بمسؤولية الشراء وما يترتّب عليها من الجزاءات الأُخروية: «هذا ما اشترى عبد ذليل من ميّت قد أزعج للرحيل، اشترى منه داراً من دار الغرور، من جانب الفانين وخطة الهالكين. وتجمع هذه الدارَ حدودٌ

(١) بحار الأنوار الجامعة لدُرَر أخبار الأئمة الأطهار: ج٥٠/ ص١٠٣؛ محمد باقر المجلسي، تعليق: علي الشهرودي، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، ٢٠٠٨.

أربعــة: الحد الأول ينتهي إلى دواعي الآفــات، والحد الثاني ينتهي إلى دواعي المصيبــات، والحــد الثالث ينتهي إلى الهوى المــردي، والحد الرابع ينتهي إلى الشيطان المغوي، وفيه يُشرَع باب هذه الدار. اشترى هذا المغترّ بالأمل من هذا المزعــج بالأجل هذه الدار، بالخــروج من عز القناعة، والدخول في ذل الطلب والضراعة..»[١].

في هذا ((النصّ الحواري)) مجموعة من الخصائص الفنّية، منها:

«انتســابه إلى ((قَصص السيرة الذاتية))، التي تلجأ إلى ((كتابة الرسائل)) بدلاً من ((العرض الوصفي))..

وجعل الرســالة لســاناً عن حال كاتبها، في كونها ((حواراً داخلياً)) موجّهاً إلــى النفــس، لكن بالكتابة وليس بالنطق أو التفكــر؛ بمعنى أنّ هناك نمطين من الحوار الداخلي: أحدهما النطق أو التفكر بالشــيء، والآخر كتابة ذلك الشيء. ولكل منهما مسـوِّغاته الفنية، والمسـوّغ الفنّي لكتابة الحوار الداخلي- بدلاً من النطــق بــه أو التفكر بــه- أنّ طبيعة الفكــرة (أو الموضوع) التــي يهدف إليها النصّ تتطلب حوار الكتابة لا غير؛ فالدار- مثلاً- حينما تُشترى، يقترن شراؤها بتســجيل الدار حتى تصبح وثيقة غير قابلة للتلاعب بها، وهذا ما جعل الحوار الداخلي لهذا النص يقترن بالكتابة لا بالنطق أو الفكر»[٢]!

الرسالة التربوية بقلم الجواد عليه السلام

هناك أكثر من رســالة- أو مكاتبة- فرضتها سياقات متنوعة تعرّض الإمام عليه السلام لها..

منها- مثلاً- كتابته إلى أحد الأشخاص، الذي حمل له متاعاً، ففقد، فعلّق على ذلك كاتباً: «إنّ أنفســنا وأموالنا من مواهب الله الهنيئة، وعواريه المســتودعة، يمتّع بما مُتِّع منها في سرور وغبطة، ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة. فمن غلب جزَعه على صبره، حبَط أجره»[٣].

(١) للرسالة تتمة [نهج البلاغة: ص٤٤٤].
(٢) البستاني: ص٢٤٣.
(٣) المصدر السابق: ص٤٩٧.

إنّ هذه الرسالة القصيرة تتضمن بُعداً فنّياً فكرياً، لا بدّ من ملاحظته؛ فهي- أولاً- تقتبس من أحاديث النبيّ ﷺ أكثر من جملة أو مفهوم (مثل: المواهب، والعواري)؛ وهذا التضمين[1] أمر نلحظه بكثرة عند الأئمة عليهم السلام؛ إذ يستشهد الإمام اللاحِق بالإمام السابق، تأكيداً للحقيقة الذاهبة إلى أنّ الأئمة- عليهم السلام- جميعاً يصدرون عن نبع مُلهم واحد.

و((اللغة الفنّية)) تطبع هذه الرسالةَ المركّزة في ((عنصر الصورة)) وهو ((الاستعارة الاقتباسية)) لكلام النبيّ ﷺ، ونعني بها ((صورة المواهب)) و((صورة العواري)). وعلى الرغم من أنّ النبي ﷺ صاغ هذه الصورة في فقد بشر عزيز، فإنّ الإمام عليه السلام صاغها في فقد المتاع، ما دام الحديث مرتبطاً بفقد ما له أهمية (الأنفس والأموال). وهو أمر يكشف أنّ الاقتباس جاء فنّياً يأخذ ((السياق)) بالحسبان (المتاع) وليس بالمناسبة السابقة (النفس). وكذلك تضمّن الحقيقة الفكرية- التي صيغت الاستعارة من أجلها- وهي قوله عليه السلام: «يمتّع بما مُتّع منها في سرور وَغِبطة، ويأخذ ما أخذ منها في أجر وحسبة»؛ إذ إنّ جمال الاستعارة وأهميتها يكمنان في ارتكانها إلى هذه الحقيقة، التي ذكرها عليه السلام، من أنّ الشخصية ينبغي أن تستجيب ((للمواهب والعواري)) بالعاطفة (الانفعال) ((المُسرّة))، بصفتها من معطيات الله تعالى، وأن يستجيب لفقدانها بالعاطفة ((الصابرة، المحتسبة)) بصفتها من المعطيات التي سلبها تعالى...

إذن، حتى صياغة الصورة تتمّ- في نتاج الأئمة عليهم السلام- في الحرص على ((واقعيتها)) حرفياً، على نحو يبقى ((الهدف الفكري)) الأساس في اللغة الفنّية...

فن الرسالة التربوية للإمام العسكري عليه السلام

يمكننا أن نظفر بنصوص أدبية- للإمام عليه السلام- تُعدّ امتداداً لنصوص سائر الأئمة، في ميدان الرسالة.

وتوشيح لغة الرسالة بـ ((أدوات فنّية))- لفظية وأسلوبية وإيقاعية

(١) أدباً مع كلام الله (القرآن الكريم) وكلام النبوة (الحديث الشريف) سمّاه بلاغيون ((الاقتباس)). واللافت أن البستاني استعمل مصطلح ((الاقتباس)) عوض التضمين حيناً.

وصورية- أمر يمكن ملاحظته في الرسالة، التي وجّهها العسكري عليه السلام إلى أحد أصحابه- إسحاق النيسابوري- جواباً لرسالة بعثها هذا إلى الإمام عليه السلام.

جاء في الرسالة: «نحن- بحمد الله ونعمته- أهل بيت، نرقّ على أوليائنا، ونسرّ بتتابع إحسان الله إليهم، وفضله لديهم، ونعتدّ بكل نعمة ينعمها الله تبارك وتعالى عليهم؛ فأتمّ الله عليك- يا إسحاق، وعلى من كان مثلك، ممن قد رحمه الله، وبصّره بصيرتك- نعمته. وأنا أقول: الحمد لله أفضل ما حمده حامد إلى أبد الأبد، بما منّ الله عليك من رحمته، ونجاك من الهلكة، وسّهل سبيلك على العقبة. وأيم الله، إنّها لعقبة كؤود، شديد أمرها، صعب مسلكها، عظيم بلاؤها، قديم في الزبر الأولى ذكرها. فاعلم يقيناً- يا إسحاق- أنّه من خرج من هذه الدنيا أعمى، فهو في الآخرة أعمى وأضلّ سبيلاً. يا إسحاق: ليس تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور؛ فأين يُتاه بكم؟ وأين تذهبون كالأنعام على وجوهكم؟ عن الحق تصدفون وبالباطل تؤمنون، وبنعمة الله تكفرون؟! لولا محمد صلى الله عليه وآله- والأوصياء من ولده- لكنتم حيارى كالبهائم، لا تعرفون فرضاً من الفرائض. وهل تدخل مدينة إلاّ من بابها؟ رحم الله ضعفكم وغفلتكم، وصبركم على أمركم. فما أغرّ الإنسان بربّه الكريم. ولو فهمت الصمّ الصلاب بعض ما هو في هذا الكتاب، لتصدّعت قلقاً وخوفاً من خشية الله، ورجوعاً إلى طاعة الله»[1].

إنّ هذه الرسالة- على الرغم من لغتها المترسّلة- تحفل بعناصر فنّية متنوعة: إيقاعية وصورية ولفظية.

وأمّا العناصر والأدوات الإيقاعية فيمكن ملاحظتها في الجمل المقفّاة[2]، من نحو: إليهم، لديهم، عليهم؛ ومن نحو: لو فهمت الصمّ الصلاب بعض ما هو في هذا الكتاب. وهذا الإيقاع في النص ((إيقاع خارجي))، تولّد من الفواصل السجعية، بصفة أن الفاصلة هي قافية النثر، إذا صح هذا التعبير؛ وتناغم مع العاطفة في الرسالة أكثر من أشكال ((الإيقاع الداخلي))، من تجانس الفواصل وتوازنها.

وأمّا اللفظية، فإنّ تكرار التساؤل وحوار المناقشة من العناصر الملحوظة في هذه الرسالة، مثل: فأين يتاه بكم؟، وأين تذهبون؟، فما أغرّ الإنسان؟

(١) تحف العقول: ص٥١٣- ٥١٥.
(٢) ما يسمى بلاغياً ((السجع)).

وأمّا صورياً: فإنّ الرسالة تحفل بتنوع عنصر الصورة؛ إذ نلحظ ((الصورة الاقتباسية))[1] على نحو لافت، وبخاصة الاقتباس من القرآن الكريم، من نحو: ﴿ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ ﴾ [البلد]، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ [الإسراء]، ﴿ يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [الروم]. وكذلك الاقتباس من الحديث النبوي، مثل: «أنا مدينة العلم، وعلي بابها»[2]، ومن النص العلوي: «كلامكم يوهي الصّمّ الصّلاب»[3].

وكذلك نلحظ- في هذه الاقتباسات وسواها- تنوّعاً في الصورة، من: تشبيه، نحو: أين تذهبون كالأنعام، لكنتم حيارى كالبهائم؛ وتمثيل[4]، نحو: إنّها لعقبة كؤود؛ واستعارة، من نحو: صعب مسلكها؛ ورمز[5]؛ واستدلال[6]، نحو: وهل تدخل مدينة إلا من بابها؛ وفرضية[7]، نحو: لو فهمت الصمّ الصلاب. وهذا التنوع في الصياغة الصورية- فرضية واستدلالية وتمثيلية واستعارية وتشبيهية- يكسب الرسالة مزيداً من الجمال الفنّي. والأهم من ذلك أنّ هذه الصور صيغت صياغة تلقائية فرضها السياق الفكري، وليست محض تنميق وتزويق. فعندما يصوغ نصّ الإمام صورة فرضية أو استدلالية، إنّما يهدف بها توضيح حقيقة تشكل جوهر الرسالة، التي تتحدّث عن مبادئ الإسلام، والتمسّك بأهل البيت، ما يتطلب صوراً توصل للعقول والقلوب هذه المفاهيم. وكذلك عندما يسوق الإمام صلى الله عليه وآله وسلم صورة اقتباسية، إنّما يهدف إلى إبراز مبادئ

(١) أعتقد هو مصطلح بلاغي تفرد به البستاني، نحته من كونه اقتباساً وأن في هذا الاقتباس صورة. ومثلُه نحتُه- رحمه الله- مصطلح: الاستعارة الاقتباسية.

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، ٥/ ٦٣٧، كتاب المناقب، باب مناقب علي عليه السلام.

(٣) نهج البلاغة، الخطبة ٢٩: ج١/ ص٤٢ [مؤسسة العروة الوثقى، قم، إيران، ١٤١٤هـ، ط٢]. والصم الصلاب: الحجارة الصلدة.

(٤) التمثيل: إحداث علاقة بين شيئين بجعل أحدهما تمثيلاً أو تجسيماً للشيء الآخر [البستاني، ص١٢٠، ٧٤٦].

(٥) الصورة الرمزية: يحذف فيها أحد طرفي الصورة ويرمز لها بالطرف الآخر؛ والرمز يقترن بشيء من التأمل الذهني لاستخلاص دلالته [المصدر السابق، ص١٤٨].

(٦) الصورة الاستدلالية: يذكر فيها الطرف الأول، ويستدلّ على الآخر بالرمز بدلاً من الحذف. وتتكفّل هذه الصورة بتوضيح الدلالة بتقديمها ظاهرة حسّية للتدليل على الشيء. إذن، هذا هو الفارق بين الصور الرمزية والصورة الاستدلالية [المصدر السابق، ص١٤٨].

(٧) الفرضية : إحداث علاقة بين طرفين من خلال جعل أحدهما بمثابة افتراض [المصدر السابق، ص١٢٧].

السلوك الإيماني، التي خلق الله الإنسان من أجلها، لمعرفة هذه المبادئ والعمل بموجبها؛ والصم الصلاب غير مكلّفة بتحمُّل مسؤولية الخلافة، لكنها تتصدّع إن أنيط بها حمل هذه المسؤولية، فكيف بالإنسان؟ إذن، يجيء استعمال الصورة- عند الإمام ﷺ- توظيفاً فرضته ضرورة فكرية كما لحظنا.

ويُلاحَظ أنّ الشخصية- التي تُوجَّه الرسالة إليها، كما نلحظ ذلك في مجموعة من أصحاب الأئمة عليهم السلام، مثل: الباقر والصادق والكاظم عليهم السلام- تماثل ((البطل في القصة))، ولكن في صعيد المخاطبة؛ إذ يشكّل ذلك أُسلوباً يتكرر فيه اسم الشخصية المخاطَبة، كما هو طابع الرسائل بعامة، مع الأخذ بالحسبان أنّ تكرّر الاسم والمخاطبة ينطويان على سرّ فنّي، هو شدّ الانتباه من جانب، وطرد الملل من جانب آخر[1].

تميز وفرادة

كما نكرّر دائماً، فإن طبيعة النصوص- التي يسوقها أهل البيت عليهم السلام- تَميز من سائر نصوص البشر، لأنهم لا يعنون بالفن لكونه تزويقاً للكلام، بل لتوظيفه فكراً يوضح الدلالات. ولذلك نجد نصوص الأئمة- بحسب سياقها وتداعياتها- مترسّلة حيناً، وموشّحة بالفن حيناً آخر، ومكثّفة بالفن إلى درجة ملحوظة حيناً ثالثاً.

إن الرسائل- التي سقناها آنفاً- تكشف عن نمط من الحقائق الفكرية التي يستهدفها الأئمة عليهم السلام؛ إذ لم يوشّحوها بالجمل التقليدية (من جهة الفنّ)، بل كتبوها واضحة، مألوفة، واقعية، على نحو ناسب بين ((الواقع)) و((الجملة))، فجاءت الجمل مسترسلة كاسترسال الواقع الذي هدف إليه الأئمة عليهم السلام.

وسائر الأئمة يبقون امتداداً لشخصية النبي ﷺ، من جهة كونهم عترته، وصل إليهم ميراث النبوة من العلم والأدب. وقد أتيحت لكل منهم ظروفه في نشر الفكر الإسلامي، ومنها اللغة الفنية لهذا الفكر، من جهة النتاج الصادر عنهم عليهم السلام.

وقد خبَر رجال الثقافة، وأولهم خصومهم- الذين عاصروهم - المستوى المتفرّد الذي يطبع شخصياتهم (عليهم السلام) الفكرية والفنية..

(١) المصدر السابق، ص٥٥٨.

(أوصيكم بتقوى الله
ونظم أمركم)

الإمام علي عليه السلام

بقلم :عماد كامل زلزلة
كاتب وباحث

التخطيط
الركن الأول من أركان الإدارة

مقدمة ومدخل

مررنا في العدد الماضي بجولة سريعة .. تعرفنا من خلالها على حلقة من حلقات علم قد يكون من أهم العلوم في عصرنا الراهن .. (الإدارة ومواصفات المديـر الناجـح) .. وسـنتابع في هذا العـدد حلقة أخرى من حلقاتـه .. ألا هو التخطيط ، لنتابع في أعداد قادمة ما بقي من أركان الإدارة (التنظيم .. الرقابة.. والتوجيه).

مفاهيم وتعاريف

- **وظائف المدير:** التخطيط ، التنظيم ، الرقابة ، التوجيه.
- **دور المـديـــــــر :** اتخـاذ القرار ، والقرار هـو الاختيار ، ولا يتحقق الاختيار إلاّ إذا كان هناك عدة خيارات وبدائل ، (الخيار = البديل).
- **البدائـــل :** الخيارات التي من خلالها يمكن تحقيـق الهدف ، فقد تكون .. أسـلوب ، وسـيلة ، مكان ، شخص ، ..... ، لكنه يحقق الهدف ، ولا يكون بديلاً عنه .

• **التخطيط :** عملية تفكير ، نتوقع من خلالها للمستقبل ، ونتحكم من خلالها بالمستقبل ، لتحقيق الأهداف المطلوبة.

• **الخطــة :** مجموعة الأفكار التي توقعناها خــلال عملية التخطيط (مخرجات عملية التخطيط، الأجوبة عن كل الأسئلة المطروحة: ماذا أريد ؟ «أهداف» .. ماذا أحقق من الهدف؟ « سياسات».. متى أبدأ ؟ «توقيت».. ، والإجابة عن هذه الأسئلة جزء من الخطة ، وقد تكون الخطة عشرات بل ومئات وملايين القرارات).

التخطيط عمود الإدارة

١- إن قُبِلَ قُبِلَ ما بعده .. وإلاّ فلا ، لأن مخرجاته مدخلات غيره.

٢- هو أمرٌ ضروريٌ للمدير وواجبٌ عيني.

٣- يجنب الارتجال والعشــوائية ، ويجعل ردود الفعل رشــيدة ، ويجنب المدير اعتماد سياسة الخطأ.

٤- يجعله صانعاً للأحداث (ليس عملية رد فعل .. بل هو فعل).

٥- مفهوم (الإنســان لا يتعلم إلا من كيســه) مفهوم خطأ ، والصواب أن نتعلم من أخطاء غيرنا (لا يلدغ المؤمن من جحرٍ مرتين).

٦- توقــع المشــاكل ووضع الحلول لهــا (درهم وقاية خير مــن قنطار علاج) نجبرها قبل أن تكسر.

٧- من يخطط .. يرسم الصراط المستقيم باتجاه الهدف الذي يصبو إليه (الْعَامِلُ عَلَى غَيْرِ بَصِيرَةٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ الطَّرِيقِ لَا تَزِيدُهُ سُرْعَةُ السَّيْرِ إِلَّا بُعْدا) الإمــام الصادق عليه السلام تحــف العقول، يقول أحد الظرفاء : (من لا يســتخدم عقله قليلاً .. يستخدم قدميه كثيراً) فالتفكر يغني عن التعب (ساعة تفكر خير من عبادة سبعين سنة).

فوائد التخطيط وأهدافه

١- الإفــادة القصــوى من الموارد المتاحة (أقل كلفة وقتية .. مالية .. بشــرية.. للوصول إلى الهدف).

٢- نركز جهودنا في تحقيق الهدف (لما ينتج من خطط مترابطة ومنسجمة).
٣- يسهل وظائف الإدارة الأخرى وبالخصوص (الرقابة).
٤- مواجهة حالة عدم التأكد.

نتيجة

- **مـــن يخطط:** يعرف مكانه ؟ ، ويعرف كيف يتصرف ؟ ، وكيف يحُســن التصرف ؟.
- **من لا يخطط:** لا يعرف أين مكانه ، ويتصرف بعشوائية ، وردة فعل.

مبادئ التخطيط

١- المســـاهمة في تحقيق الأهداف : لا ضمانة لتحقيق الأهداف بالتخطيط وحده بل يجب المتابعة بالتنظيم والرقابة والتوجيه.

٢- أولويـــة التخطيط : الأســاس لبقيــة أركان الإدارة «التنظيــم والرقابة والتوجيه» والمتقدم عنها.

٣- شمولية التخطيط : وظيفة لكل مدير مهما كان مستواه.

٤- الاســـتمرارية : يجب أن لا نخطط وننام ، يجب أن نكون مستعدين في كل لحظة لتغيير التخطيط .. لأننا نعيش في بيئة ديناميكية متسارعة.

٥- الكفـــاءة والفعالية : التوازن بين الكلفــة والنتيجة ، فتحقيق أكبر نتيجة بأقل كلفة أمر مهم ، لكن الأهم تحقيق الهدف .

٦- المرونة : الخطة ليســت مقدســة ، هي وســيلة ، وليست حجراً أصم ، يجب تعديلها عند الضرورة لكن دون تكاليف باهظة.

كلما كان عندي قدرة أكثر على التوقع أكون ذا مرونة أكثر.

٧- الســـرية : يجب عدم إطلاع غير المعنيين عن خططنا ، لأننا نعيش في بيئة حامية الوطيس.

السر .. ما يمكن تحقيقه للمنظمة من التفوق على منافسيها به.

٨- المشاركة : أن يشــرك الرئيس مرؤوسيه المباشرين بالتخطيط واتخاذ القرار.

السـرية لا تتعارض مع المشـاركة .. لأن المشاركة تكون مع المعنيين في الأمر لا مع غيرهم.

﴿ ... وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ (١٥٩) ﴾(آل عمران)

(من شـاور الرجال .. شـاركها في عقولها .. ومن استبد برأيه هلك) نهج البلاغة ـ الحكمة ١٥٨

وكما يقال في الأمثال : عندما أشارك .. فأنا أم الصبي ، وعندما لا أشارك.. هرب الصبي.

فوائد المشاركة في التخطيط

١ـ التأييد والحماس المتبادل بين الرئيس والمرؤوس.
٢ـ زرع روح الفريق (كالجسد الواحد) في النجاح والفشل.
٣ـ مدخل مهم للإبداع.
٤ـ أقرب الخطط للواقع .. وأسهل لفهم المسؤول لأنه شارك.
٥ـ تأمين قدر أكبر للإبداع.
٦ـ تخفيض حاجة المدير للمستشارين.

من يقوم بالتخطيط ؟

١ـ المدير : وظيفته التخطيط ، مهما كان حجمه ومستواه.
٢ـ لجان التخطيط : فاللجنة تغني المشاركة.
٣ـ أجهزة التخطيط المسـاعدة : لجنة تقترح الخطط كمشاريع ، ومن ثم تقرها الإدارة.

أنواع أجهزة التخطيط

١ـ أجهزة غير متخصصة:
- إضافة إلى عملها الأساسي فإنها تقوم بالتخطيط.

٢ـ أجهزة متفرغة (عملها التخطيط) :
- مركزية : تتبع لأعلى سلطة في المؤسسة.

- لا مركزية : موزعة في المؤسسة.
- مشتركة : تدمج فيها اللجان المركزية مع اللجان اللامركزية.
- ملاحظات :

o يستحسن وجود جهاز مساعد للتقويم في كل مؤسسة ، مع الالتفات لأن لا تكـون هـذه الأجهزة مكاناً لمن ليس له عمل ، فهو عقبة في المؤسسـة إن لم يكن يمتلك المهارة اللازمة واللياقة المطلوبة.

o وضـوح الأخطاء والملاحظـات لدى من هم خارج دائـرة العمل أكثر بكثير ممن هم في الدائرة نفسها .

مستويات التخطيط

١- الهدف (أهمية التخطيط) :

- هدف استراتيجي : في لغة الحرب .. معناه خوض الحرب ، استراتيجي .. هـو مصيري ، حسـاس ومهم ، وتأثيره مصيـري ، إذا ضُربنا به .. يصعب القيام مرة أخرى.
- هـدف تكتيكـي : في لغة الحرب .. معناه خـوض معركة في الحرب ، وهو تطبيق للاستراتيجية في زمان ما ، ومكان ما ، وظرف ما.
- هدف لوجستي :يعني التشغيل ، أي تأمين المستلزمات والتكميلات.

٢- الزمن :

- طويل : أكثر من خمس سنوات.
- متوسط : من سنة إلى خمس سنوات.
- قصير : دون السنة.
- مـع ملاحظـة .. أنـه لا يُغني أحدهم عـن الآخر، فالقصيـر في خدمة المتوسط والطويل ، والمتوسط في خدمة الطويل ، وهكذا.

٣- الموضوع :

- تخطيـط تربوي ، تخطيـط ثقافي ، تخطيط مدنـي ، تخطيط زراعي ، وهكذا ...
- ذلك حسب مجالات التخطيط.

٤ـ تبعاً لمكان انطلاق التخطيط:

- من الأعلى إلى الأسفل.
- من الأسفل إلى الأعلى.

٥ـ تبعاً لدرجة المركزية:

- مركزية : قد تعقد العمل.
- لامركزية : قد تضيع العمل.
- فالمسائل التي تؤثر على مصير المؤسسة استراتيجية مركزية ، والمسائل التي لا تؤثر إلا بشكل محدود (تكتيكي) فهي أقل مركزية.
- يجب أن يوجد هناك تكامل خططي ، وتنسيق أفقي حتى لا يوجد هناك تكرار وتضارب في الجهود ، وأن يكون هناك تنسيق عمودي تحت التخطيط الأعلى وفي خدمته.

مشاكل وعقبات التخطيط

١ـ نقص المعلومات :

- يؤدي إلى حالة عدم التأكد ، وبالتالي إلى صعوبة التوقع.

٢ـ الخلل في أنظمة المعلومات:

- لتقصير منا في الأدوات مثلاً ، فالورقة عوض عن الحاسوب ، والذهن عوض عن الورقة.
- لا بد أن يكون لدينا نظام معلومات مناسب ، يخزن في مكان مناسب، لأمور مناسبة ، (معلومات صحيحة وسليمة وحديثة).

٣ـ ضعف اهتمام الإدارة في التخطيط:

- إذا كان رئيس دائرتي لا يهتم بالتخطيط ، ولا يعمل به ، فما فائدة عملي به؟!

٤ـ الاهتمام بخطط دون أخرى:

- الاهتمام بالخطط ذوات المدى القريب والاستغناء عن غيرها ذوات المدى المتوسط أو البعيد.

٥- عدم وجود أنظمة تحكم عملية التخطيط:

- ممـا يجعل مرجعية الأمر للمديـر ، فإن كان راغباً ومحباً للتخطيط قام بذلك، وإن لم يكن كذلك لم يخطط.

٦- عدم الموضوعية:

- كاتهام الآخرين في حال فشل الخطة.

٧- ضعف القدرات والمهارات:

- فمن لا يتقن التخطيط ويتذوقه كمن يطبخ طبخاً مراً.

٨- الدوافع الشخصية للمدراء وخوفهم من التغيير:

- عندمـا تتعـارض نتائج التخطيـط مع بعض المـدراء ، فإنهم يحاولون التأثير عليها ليبقوا في مناصبهم ومراكزهم.

٩- نظام الحوافز القصير الأمد:

- كالتركيـز في نظـام الحوافز على الخطط والانجـازات القريبة الأمد ، وتجاهل البعيدة منها.

١٠- البيئة التنظيمية البيروقراطية:

- التي من مقولاتها المشهورة : نفذ ثم اعترض ، هذا ليس من عملك.
- يعتبرون استشارة الرئيس لمرؤوسيه عيباً وذنباً لا يغتفر.

مدخلات عملية التخطيط :

١- رسالة المؤسسة :

- من الواجب على كل من يعمل في مؤسسـة ، التعرف على رسـالتها ، للعمل وفق تلك الرسـالة ، وإلا فإن عدم معرفته برسـالتها قد يسـبب أضراراً بالمؤسسة.

- يسـتدل على رسالة المؤسسة (من اسمها ، وشعاراتها ، والأهداف التي تسعى لتحقيقها).

- رسالة المؤسسة تتربع على هرم الأهداف، ولها بعدان .. الأول غرضي (هدفي) : تشتق أهدافاً ، والثاني قيمي (فلسفي) يحكم مسألة الحلال والحرام.

٢ـ وظيفة الوحدات :

- من الواجب على كل من يعمل في مؤسسة ، معرفة مكانه فيها ، مهامه، سلطته ، واجباته وحقوقه.

٣ـ التطلعات العليا :

- من الواجب على كل من يعمل في مؤسسة ، الالتزام بما وضع له ، فلا يكون فوق أو دون تلك التطلعات.

٤ـ المعلومات التاريخية:

- لا يمكن أن نتوقع للمستقبل إن لم ننظر للماضي ، يمكن الإفادة من تجارب غيرنا.
- إني ما عُمرت ما عُمِر غيري.. لكنني نظرت إلى الماضين حتى صرت منهم.

٥ـ المعلومات الميدانية :

- عن البيئة التي أعيش فيها:
  - o داخلية : إمكانيات بشرية .. ثقافية .. اجتماعية .... .
  - o وسطى : كيفية جمع الجماهير ، وما إمكانياتهم ، من المنافسون ؟ ، ومن الداعمون؟.
  - o خارجية : معرفة السياسة أو التكنولوجيا أو الظروف الأخرى التي تعيق وتعرقل العمل أو تنهض بالعمل به.

٦ـ العلم بالزمان :

- أمر ضروري .. فكيف لمؤسسة أن تقوم بمعزل عن علمها بظروف الزمان والمكان.

عناصر عملية التخطيط

١ـ الأهداف :

النتائج التي أسعى إلى تحقيقها ، ومن الضروري تحديدها بشكل واضح ودقيق دون الوقوع بأي خطأ ، فهي الإجابة عن السؤال : ماذا أريد ؟

٢. تحديد الأولويات :

الالتفـات إلى الأهداف المهمـة ، وتحييد الأهداف غيـر المهمة ولو كانت ملحة ، فعلى المدير تقديم الأهداف الأكثر أولوية على غيرها.

عن الإمام علي عليه السلام : (من اشتغل بالفضول فاته مهمّه المأمول) الغرر ـ ٢/٣٣٦

٣ـ التنبؤ والتوقع :

جوهر التخطيط ونكهته الخاصة ، والإنسان بفطرته محب للتنبؤ وللمجهول، وهـو وضع توقعات للمسـتقبل وفق معلومـات قد تقع وقد لا تقـع ، وقد يكون التوقع سلبياً وقد يكون إيجابياً.

٤ـ تحديد البدائل :

مثال : هدفي إحياء ليلة المولد النبوي الشريف .. يوجد بدائل كثيرة لتحقيق هذا الهدف .. (مولد ، احتفال ، ندوة ، بطولة رياضية ، مسرحية هادفة ، ...).

عـن أمير المؤمنين عليه السلام في عهده لمالك الأشـتر : (وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ ، وأَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ ، وأَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ)

٥ـ تقويم البدائل :

- تصفيـة أوليـة .. المشـروعية (القيميـة ، القانونيـة) .. الموضوعية (إمكانية التنفيذ).
- دراسة جدول التكاليف والنتائج .

٦ـ اختيار البديل الأنسب:

البديل الأكثر كفاءة وفعالية ، الذي يملك أكبر قدر من نقاط القوة ، وأصغر قدر من نقاط الضعف.

عملية الخطط المشتقة (التخطيط التكميلي)

١ـ إعداد الموازنة التكميلية :

ترجمة مالية للخطط (نفقات وايرادات) ، والموازنة أساس الرقابة المالية لأنهـا تظهر أرقام وتوقعات مالية شـبه حقيقية ، ويمكن تعديل الموازنة خلال إعدادها في حال ظهور العجز.

٢ـ البرمجة الزمنية :

الإجابة عن السؤال (متى ؟) ، ففي كل حركة تقوم بها المؤسسة من الواجب عليها معرفة : متى تبدأ؟ ، ومتى تنتهي ؟ ، وما الوقت المناسب لها؟

٣ـ التخطيط للطوارئ:

التخطيط لمواجهة الأحداث المتوقعة (الفروض التخطيطية) التي قد تطرأ في أثناء تنفيذ الخطة الأصلية.

وبما أن التخطيط يحتاج إلى وقت وجهد ، فينبغي الجدية في الموضوعات، والاقتصار على الأحداث المتوقعة ذوات التأثير المصيري والخطير.

٤ـ صياغة مشروع الخطة:

١ـ الغلاف والفهرس	٦ـ أساليب العمل ـ سياسة وبرامج
٢ـ الاسم والعنوان	٧ـ الموارد المادية والبشرية
٣ـ مواقع معدي الخطة	٨ـ الموازنة التقديرية
٤ـ مسوغات وضع الخطة	٩ـ الجداول الزمنية
٥ـ الهدف الرئيس	١٠ـ خطط الطوارئ ـ علاج أحداث متوقعة

عناصر الخطة

١ـ الهدف :

- توجد خطة من دون هدف ، فهو النتيجة التي نسعى إلى تحقيقها.
- نحدد جودة الهدف .. بالسؤال عنه بـ: كيف ؟ (الزمن، والكم، والمواصفات).

٢ـ السياسة :

- منهجية تصرف تبين لنا كيف نتصرف لتحقيق الهدف.
- إحدى وسائل تحقيق الهدف.
- قد يكون لهدف واحد عدة سياسات ، أو سياسة واحدة تخدم عدة أهداف.
- مثال : ﴿ ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ ﴾(طه) السبب الموجب ، ﴿ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا ... ﴿٤٤﴾ ﴾(طه) منهجية تصرف ـ سياسة ـ ، ﴿ ... لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ﴿٤٤﴾ ﴾(طه) لتحقيق الهدف .

- مثـال : ﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ ... ﴾ - هـدف - ﴿ ... بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ ... ﴾ - سياسة - (النحل١٢٥)

٣- الإجراءات:

- المراحل والأنشطة التي تقوم بها للوصول إلى الهدف (ترجمة تنفيذية للسياسات).

٤- القواعد :

- الأوامر والقوانين التي تحدد الواجبات والمحرمات (يجب كذا .. ويمنع كذا ..).

- وهـي التـي تحافظ على أجواء جديـة انضباطية عالية تخـدم الهدف ، ووجودها يمنع حصول المشاكل.

٥- البرامج:

- مرادفـات للخطـط ، أي خطط فرعية فـي داخل الخطـط .. لها هدف وسياسات وموارد وموازنة وجدول زمني خاص بها .

٦- الموارد:

- تتمثل في الموارد التي تحقق الهدف مالياً وبشـرياً ، وتتحدد في جدول يبين النوع والكم.

- والموارد البشـرية تذكر بشـكل عام فـي أثناء التخطيـط ، أما التحديد التفصيلي فهو من عملية التنظيم.

٧- الجداول الزمنية:

- الخرائط والرسوم البيانية التي تبين تسلسل الإجراءات وتوقيت كل منها.

خاتمة

هكـذا .. ومـن خلال ما تم عرضه آنفاً .. نكون قد مررنا بجولة سـريعة .. تعرفنا من خلالها على حلقة أخرى من حلقات علم الإدارة .. على أن نتابع بقية حلقاتـه فـي التنظيم والرقابة والتوجيه .. نكون حينها قد اسـتكملنا جولتنا على الإدارة وأركانها الأربعة.

محمد رسول الله
Designed By Mohamed Eissa - March 2007

رسول الله
صلى الله عليه وآله
وإنك لعلى خلق عظيم

ذكر الصدق في الهدي النبوي الشريف

بقلم: صفاء الصباغ
حافظة لكتاب الله

جاء الصدق في أحاديث الرسول الكريم ﷺ على أنه سبيل الوصول إلى البر وهو جماع الخير كله وسبيل الفلاح في الدارين، فقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: (قال رسول الله ﷺ: إن الصدق يهدي إلى البر وإن البر يهدي إلى الجنة وإن الرجل ليصدق حتى يكتب عند الله صديقاً، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار وإن الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذاباً)[١] والحديث يبين منهجين متغايرين تماماً، منهج الصدق الذي هو سبيل المؤمنين ومنهج الكذب الذي يتجنبه المؤمنون، كما يتضح ذلك من حديث صفوان بن سليم رضي الله عنه قال: (قلنا يا رسول الله أيكون المؤمن جباناً ؟ قال: نعم، فقيل له: أيكون المؤمن بخيلاً ؟ قال: نعم، فقيل أيكون المؤمن كذاباً؟ قال: لا [٢].

ولم يكتف النبي صلى الله عليه وسلّم بإبراز هذه الصورة الواضحة، بل علم أصحابه ضرورة الالتزام بالصدق والبعد عن أدنى درجات الكذب لما في ذلك من الانحراف عن منهج الإسلام الذي لا يبني أحكامه إلا على الحقائق

١ - البخاري ومسلم وقال السيوطي: حديث صحيح ، الجامع الصغير ١، ٢٧٥، رقم٢٠٤٤

٢- أحمد في مسنده ١، ٢٠٠،والترمذي وابن حبان عن الحسن بن علي رضي الله عنه ، حديث صحيح: الجامع الصغير ١، ٥٦٩رقم ٤٢١٣.

المطلقــة الراســخة، وقال النبي صلى الله عليه وسـلّم (دع مــا يريبك إلى ما لا يريبك، فإن الصدق طمأنينة وإن الكذب ريبة)[١] (وحيرة البشر وشقوتهم ترجع إلى ذهولهم عن هذا الأصل الواضح وإلى تسـلط أكاذيب وأوهام على أفكارهم شــردت بهم عن الحقائق التي لا بد من التزامها)[٢]، وهذا ما جرى للمسلمين إذ فرقهم التضليل إلى شـيع متخاصمة في أباطيل لم يتم التثبت منها، فالصحافي الذي ينشــر على الناس خبراً باطلاً والسياســي الذي يعطي صوراً مقلوبة عن المســائل الكبرى والعالم الذي يكتم حقائق من التشــريع، هؤلاء يقودون الناس في غير الطريق الصحيح، ولهذا كان اعتبار الإسلام هذا التصرف خيانة للأمة سواء من فرد أو جماعة أو هيئة، وقد روى سفيان بن أسد الحضرمي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلّم يقول (كبرت خيانة أن تحدث أخاك حديثاً هو لك به مصدق وأنت له به كاذب)[٣]

ولقد كان من دقة الرســول صلى الله عليه وسـلّم في غرس فضيلة الصدق أنه حرص على ذلك حتى بالنســبة للأطفال حتى يشبوا على الصدق، وقد ألفوه في أقوالهم وأفعالهم، ونهى أن يعامل الطفل بالكذب مهما كانت الأسباب الداعية إلى ذلك، فعن عبد الله بن عامر قال: (أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلّم في بيتنــا وأنا صبــي، قال فذهبت أخرج لألعب فقالت أمي: يا عبد الله تعال أعطك، فقال رســول الله ﷺ: وما أردت أن تعطيه؟ قالت: أعطيه تمراً، فقال رســول الله صلى الله عليه وسـلّم: أما إنك لو لم تفعلي كتبت عليك كذبة)[٤]، ولا شك أن هذا التوجيه الكريم والنهي عن الكذب يشمل كل تصرف مع الأطفال وكل عمل إعلامي موجه إليهم كي ينشؤوا على الصدق ويتنزهوا عن الكذب.

ثــم إن الصدق فــي الأقوال يؤدي إلــى الصدق في الأفعــال والصلاح في الأصول، فإن حرص الإنســان على التزام الصدق فيما تنبس به شـفتاه ولسانه

١- أحمد والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم وصححه الترمذي والسيوطي.
٢- خلق المسلم محمد الغزالي ص٣٤
٣- البخاري في الأدب وأحمد في مسنده ٤: ١٨٣، والطبراني في الأوسط وأبو داوود.
٤- أحمد في مسنده، ٣: ٤٤٧

يجعل ضياء الحق يسطع على قلبه وفكره فيتجسد الصدق في أعماله، والعمل الصادق هو الذي لا ريبة فيه لأنه وليد اليقين ولا هوى معه لأنه قرين الإخلاص ولا عوج فيه لأنه ينبع من الحق، وإن نجاح الأمم في أداء رسالتها يعود إلى جملة ما يقدمه بنوها من أعمال صادقة، فإن كانت حصيلتها من صدق العمل كبيرة سبقت سبقاً بعيداً وإلا سقطت وخسرت.

ولم يغفل النبي صلى الله عليه وسلّم بعد هذه التوجيهات جانباً مهماً في هذا المجال هو أن الالتزام بالصدق لا يعني أن يتحدث الإنسان بكل ما يعلم من الحقائق إذا كانت الظروف العامة أو الخاصة تتطلب ذلك، فالمسلم ليس آلة صماء وإنما هو ذكاء متقد، فهو يعلم أن التزامه بالصدق لا يتنافى مع عدم إذاعة الحقيقة إلا في إبانها، كما لا يتعارض مع عدم إذاعتها إذا تعلقت بذلك مصلحة الجماعة، بل إن الحديث في هذه الحقائق يعتبر أشنع من الكذب، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلّم (كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع)[1]، وهذه لفتة إعلامية مهمة جداً تجعل المسلم مع التزامه بالصدق واعياً لما ينبغي أن يتحدث به وما ينبغي أن يكتمه، ومتى يتحدث بما لديه ومتى يمسك عن الحديث ولمن يفضي بالخبر ولمن لا يفضي به، مراعياً بذلك ظروف الكلمة وأبعادها المختلفة واعياً لما للحديث من نتائج قد تتعدى أثارها الأفراد والجماعات حتى تشمل الأمة بأسرها، ولاسيما ما يسمعه المرء من أنباء الخوف والخطر سواء مع عدو متربص أو نازلة كونية أو انتشار وباء، قال تعالى: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٨٣﴾ (النساء) فإن الكلمة حينئذ توزن بموازين دقيقة يعرفها الرسول صلى الله عليه وسلّم حين كان فيهم ويعرفها أولو الأمر من المسلمين من بعده، فيضعونها في مواضعها حتى تؤتي ثمارها الإيجابية دون ما قد ينشأ عنها من سلبيات، وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلّم من إلقاء الكلام دون تبين نتائجه السلبية،

١- مسلم والسيوطي في الجامع الصغير،٢: ٢٢٨ رقم٦٢٤٢ وقال حديث صحيح،

فقال صلى الله عليه وسلّم (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يتبين فيها يزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب)[١] وقد أرشد النبي صلى الله عليه وسلّم إلى أن ظروف الأمن العام وخصوصاً في الحرب يجوز فيها الكذب مع العدو المحارب فيما يخدم مصلحة الأمة ويعين على النصر، لأن الكلام وسيلة إلى المقاصد فكل مقصود محمود يمكن تحصيله بغير الكذب يحرم الكذب فيه، وإن لم يمكن تحصيله إلا بالكذب جاز الكذب لتحقيق مصلحة لا ضرر فيها، فيجوز في الحرب وفي كل ما يحقق مصلحة بين الأفراد حين يكون الغرض منه إصلاح ذات البين أو إرضاء الزوجة، قال صلى الله عليه وسلّم (لا يصلح الكذب إلا في ثلاث، كذب الرجل على امرأته لترضى عنه، أو كذب في الحرب فإن الحرب خدعة، أو كذب في إصلاح بين الناس)[٢]، وهنا لا بد من التأكيد على قصد الإصلاح وأن يكون خالياً من الضرر وألا يطمس حقاً أو يخفي معصية، فقد قال صلى الله عليه وسلّم (ليس الكذاب بالذي يصلح بين اثنين، أو قال: بين الناس، فيقول خيراً أو ينمي خيرا)[٣] ففي هذه المواطن تتضح المصلحة العامة ولا يترتب أثر سلبي على الأمة، وما عداها فقد بلغ حرص النبي صلى الله عليه وسلّم أن يلتزم الإنسان بالصدق في جده وهزله وحذر من استخدام الكذب حتى في إضحاك الناس قال صلى الله عليه وسلّم (ويل للذي يكذب بالحديث ليضحك به القوم ويل له ويل له)[٤] وقال صلى الله عليه وسلّم (إن الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساءه يهوي بها من ابعد من الثريا)[٥] وبلغ من حرصه صلى الله عليه وسلّم تأكيده أن الكذب في الرؤيا من أعظم الفرى، فقال صلى الله عليه وسلّم (من أفرى الفرى أن يري عينيه ما لم تريا[٦]

١- متفق عليه ، وأحمد،٢، ٢٧٩ والسيوطي في الجامع الصغير ١: ٢٧٧ رقم٢٠٦١،
٢- أحمد في مسنده ج٦ص٤٥٩ و٤٦١
٣- متفق عليه وأبو داوود والترمذي وأحمد في مسنده، ٦: ٤٠٣و٤٠٤والطبراني في الكبير وصححه السيوطي في الجامع الصغير ٢: ٣٨٩رقم٧٥٨١
٤- أحمد في مسنده،٥: ٣ ٥و٧ وأبو داوود والترمذي والحاكم وقال السيوطي حديث صحيح،٢: ٦٢٠رقم٩٦٤٨
٥- مسند أحمد ج٢،ص٤٠٢
٦- البخاري وأحمد في مسنده،٢: ٩٦و١١٩

والرؤيا نوع من الخبر الذي لا سبيل للتثبت منه إلا عن طريق الراوي فيحمل صاحبه تبعاته وإثمه، وهذا التنبيه النبوي يحقق للكلمة التي تقال في المجتمع نقاءها فلا تشوبها شائبة تخرم الثقة بين الأفراد، ولا يتسرب الشك إلى ما يتناقله الأفراد من أخبار.

وكما أمر النبي صلى الله عليه وسلّم بالتثبت مما يسمع المرء، فقد أمر بالتبيّن فيما يقول مشيراً إلى خطورة الكلمة وما يترتب عليها من نتائج في الدنيا والآخرة، فقال صلى الله عليه وسلّم (إن العبد ليتكلم بالكلمة ما يرى أن تبلغ حيث بلغت يهوي بها في النار سبعين خريفاً)، وفي رواية أخرى (إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأساً يهوي بها سبعين خريفاً في النار)[1] ولكي تبقى الكلمة الطيبة سارية في الأمة الإسلامية بين النبي صلى الله عليه وسلّم أن الكلمة الطيبة سبب رفعة الإنسان عند الله فقال صلى الله عليه وسلّم (إن الرجل ليتكلم بالكلمة من رضوان الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها رضوانه إلى يوم يلقاه، وإن الرجل ليتكلم بالكلمة من سخط الله تعالى ما كان يظن أن تبلغ ما بلغت يكتب الله له بها سخطه إلى يوم يلقاه)[2] ولنا أن نتصور بعد هذا التوجيه النبوي كيف تنقل الحقائق مقروءة ومسموعة ومرئية في مجتمع ملتزم بالصدق هذا الالتزام وما الصورة التي يراه العالم فيها؟.

وحتى يتجلى هذا التصور بشكل أوضح نستنير بنبذة من حياة رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلّم الذي دعا إلى هذه المُثُل وأنه قدوة عملية بالتزام الصدق قبل البعثة وبعدها، وما أعطاه التزامه صلى الله عليه وسلّم من مكانة في قلوب الناس، فكان لها أكبر الأثر في تصديقه وقبول دعوته، لأنه كان معروفاً بالصدق ولم يجرب عليه الكذب أبداً، تروي السيرة (عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لما نزل قوله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾(الشعراء) أتى النبي صلى الله عليه وسلّم الصفا فصعد عليه ثم نادى: يا صباحاه، فاجتمع الناس إليه بين رجل يجئ إليه ورجل يبعث رسوله، فقال رسول الله ﷺ: يا

١- أحمد في مسنده،٢: ٣٥٥ و٦٣٦ والترمذي وابن ماجه والحاكم في الجامع الصغير،١: ٢٦٧رقم١٩٨٣
٢- مسند أحمد، ٣: ٤٦٩ وموطأ مالك صلى الله عليه وسلّم ٨٣٨ رقم١٩٠

بني عبد المطلب يا بني فهر يا بني كعب أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بسفح هذا الجبل تريد أن تغير عليكم صدقتموني ؟ قالوا نعم، قال: فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)[١]، وقولهم نعم يعني أن تلك الآذان والعقول قد اعتادت ألا تسمع من رسول الله صلى الله عليه وسلّم إلا الحق والصدق.

وعي المسلمين لالتزام الصدق: أدرك المسلمون أهمية التزام الصدق خصوصاً في نقل الأخبار وتلقيها امتثالاً لأمر الله تعالى وأمر رسوله صلى الله عليه وسلّم، وعبروا عن هذا الالتزام قولاً وعملاً، (عن عمرو بن مرة قال: سمعت أبا عبيدة بن عبد الله بن مسعود يقول: قال ابن مسعود: إن الكذب لا يحل منه جد ولا هزل اقرؤوا إن شئتم: يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا من الصادقين قال: كذلك هي قراءة ابن مسعود(من الصادقين) فهل ترون في الكذب رخصة؟. قال أبو جعفر: والصحيح من التأويل الذي ذكرناه عن نافع والضحاك وذلك أن رسوم المصاحف كلها مجمعة على ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾ ﴾(التوبة) وهي القراءة التي لا أستجيز لأحد القراءة بخلافها)[٢]، فالصحيح «مع الصادقين». وأما التعبير العملي عن هذا الالتزام فيتجلى من خلال حياة الفرد المسلم وفي حياة الجماعة، ومثاله في حياة الفرد ما رواه الصحابي الجليل كعب بن مالك حين تخلف عن الخروج إلى تبوك، وكيف وفقه الله وصاحبيه[٣] للصدق، وأنزل الله فيهم آية تتلى إلى يوم القيامة تحمل شهادة توبة الله عليهم لالتزامهم مبدأ الصدق، ولم يعتذروا كما اعتذر المنافقون قال تعالى:﴿ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُواْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾ (التوبة) وقد ذكر كعب بن مالك أنه تخلف عن تلك المعركة وهو قادر على التجهز لها، ثم أدرك أن تخلفه من دون عذر سيسخط رسول الله عليه، وازداد شعوره بالمسؤولية عندما علم أن رسول الله قفل راجعاً من تبوك

١- السيرة النبوية ، ابن كثير ج١ ص٤٥٦
٢- تفسير الطبري ج١ ص٥٦٠.
٣- (مرارة بن ربيع العامري وهلال بن أمية الواقفي)

وصـور ما كان يصطرع في نفسـه بيـن الصدق والكذب فقـال: (فلما بلغني أن رسول الله قفل راجعاً من تبوك حضرني بثي وطفقت أتذكر الكذب وأقول: بماذا أخرج من سـخطه غداً ؟ وأسـتعين على ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل إن رسـول الله قد أظل قادماً انزاح عني الباطل، وعرفت أني لم أنجُ منه بشـيء أبداً فأجمعت صدقه)[1] هذا هو شأن المسلم ينتصر الخير في نفسه على الشر وتنجلي معركة الحق والباطل في نفسه عن استعلاء الحق فالحق أحق أن يتبع، والصدق هـو الحق دائمـاً مهما كانت الظروف المحدقة فلا بد من التزامه حتى لو كان في ظاهـره عدم النجاة، وكعب كان يرى المنافقين وقد جاؤوا يعتذرون إلى رسـول الله صلى الله عليه وسـلّم بشـتى الأعذار الكاذبة، فيقبل منهم علانيتهم ويسـتغفر لهم ويكل سـرائرهم إلى الله تعالى، فيدرك كعب بحسه الإيماني أن هذا القبول لا يغني عنهم عند الله شيئاً، ويصور مشهداً نابضاً بالحركة تبرز خلاله الحقيقة التي أدركها في لقائه برسول الله صلى الله عليه وسلّم وما دار فيه من حوار.

(يقول كعب: حتى جئت، فلما سـلمت عليه تبَسَّم تبَسّمَ المغضب ثم قال لي: تعال، فجئت أمشي حتى جلست بين يديه فقال لي: ألم تكن قد اشتريت ظهرك؟ فقلت: يا رسـول الله إني لو جلسـت عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن أخرج من سـخطه بعـذر لقد أعطيت جـدلاً، ولكني والله لقد علمت لئـن حدثتك اليوم بحديث كذب ترضى به عني ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك بصدق تجـد علـي فيه إني لأرجو عقبى ذلك عند الله عـز وجل، والله ما كان لي عذر، ما كنت قط أفرغ ولا أيسـر مني حيث تخلفت عنك، قال فقال رسـول الله صلى الله عليـه وسـلّم أمّا هذا فقد صـدق فقم حتى يقضي الله فيـك)[2]. وينتظر كعب قضـاء الله فيه وفي أثناء هـذا الانتظار يمر كعب وصاحباه بامتحان رهيب من مقاطعة رسول الله لهم ومقاطعة إخوانهم المسلمين ثم اعتزالهم لنسائهم، فكابدوا من الهم والغم الشـيء الكثير، وهم مستمسـكون بما يأمر به المنهج الرباني من التـزام الصدق حتى قضـى الله فيهم بقضائه وأنزل توبته العامة الشـاملة على

١- ابن كثير ج٢،ص ٣٩٧
٢- ابن كثير، ج٢، ص٣٩٧- فتح الباري، ج٨،ص٧٩

النبي صلى الله عليه وسلّم والمؤمنين الذين اتبعوه في ساعة العسرة مكافأة لهم على استجابتهم لأمر رسوله الكريم، وتوبته الخاصة على الثلاثة الصادقين من الذين تخلفوا عن الغزوة، قال تعالى:﴿ لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ ﴾(التوبة)

بهذه الدقة تفصل الآيات من تشملهم التوبة وهم النبي ﷺ والمهاجرون والأنصار الذين استجابوا لغزوة العسرة ، والثلاثة الصادقون الذين خُلفوا عن الغزوة فقط، مستثنية أولئك المنافقين المعتذرين بأعذار كاذبة من شمولهم بالتوبة فقد حاق بهم سوء عملهم وحرموا توبة الله عليهم لأنهم لجؤوا إلى الكذب وخالفوا اتباع المنهج الرباني في التزام الصدق، بينما تنزلت التوبة على الصادقين مؤكدة للفرد المسلم والجماعة المؤمنة أن التزام الصدق هو الذي ينسجم مع عقيدة المسلم وإيمانه، وكان هذا الدرس العملي مفيداً للمسلمين عموماً، ولكعب بن مالك خصوصاً فتوجه إلى[1] رسول الله قائلاً: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت، قال فما أعلم أحداً من المسلمين أبلاه الله من الصدق في الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم أحسن مما أبلاني الله تعالى، والله ما تعمدت كذبة منذ قلت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلّم، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت).

يظهر من هذا كله ما كان عليه المسلم الصادق الإيمان من التزام الصدق في كل شؤونه، فهذا كعب بن مالك رضي الله عنه يتذكر الكذب لكنه لا يجد فيه النجاة وقد تربت نفسه على رفضه، فيعتزم الصدق راجياً عقبى ذلك عند الله عز وجل، ثم إنه يتقبل حكم رسول الله صلى الله عليه وسلّم، ويتحمل نتيجة خطئه حتى يتنزل القرآن بتوبة الله عليه فيدرك أن نجاته إنما كانت بالتزامه الصدق، فيرسخ هذا المعنى عملياً في مسلكه الحياتي ويحدث به المسلمين ليكون أسوة

١- «ابن كثير،ج٢،ص٣٩٨ والبخاري ج٨،ص٩٣».

حسـنة لهم، فيقول: يا رسول الله إن الله إنما أنجاني بالصدق وإن من توبتي ألا أحدث إلا صدقاً ما بقيت.

ويتجلـى التعبيـر العملي لالتـزام الصدق فـي حياة الجماعـة في حرص المسـلمين على التثبت في نقل الأخبار قبل قبولها، ولاسيما إذا شكوا في صدق الناقل لها، وظهر بناء على ذلك علوم مختلفة منها موضوع الإسناد، وهو ذكر رواة الخبـر ودراسـة أحوالهم وأهمية ذلك في قبول الخبـر ورده، فقد جاء في مقدمة صحيح مسـلم (عن ابن سـيرين قال: لم يكونوا يسألون عن الإسناد فلما وقعت الفتنة قالوا سـموا لنا رجالكم فينظر إلى أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم)[1].

(وبنـاء علـى أن الخبر لا يقبل إلا بعد معرفة سـنده فقـد ظهر علم الجرح والتعديل والكلام على الرواة ومعرفة المتصل أو المنقطع من الأسانيد ومعرفة العلل الخفية وظهر الكلام في بعض الرواة ثم توسع العلماء في ذلك حتى ظهر البحـث في علوم كثيرة تتعلق بالحديث من ناحية ضبطـه وكيفية تحمله وأدائه ومعرفة ناسـخه ومنسـوخه)[2]، وهكذا نشـأ علم الحديث الذي يضع الضوابط الدقيقـة للتثبـت من صدق النقل عن رسـول الله ﷺ، ولم يطلـق على الحديث صفـة الصحيح إلا بعد التأكد من صفات كثيرة تتعلق بالرواة وأحوالهم، وقسـم العلماء الحديث إلى ثلاثة أقسام، صحيح وحسن وضعيف ووضعوا تعريفاً دقيقاً للحديث الصحيح هو: (الصحيح هو ما اتصل سنده بالعدول الضابطين من غير شـذوذ ولا علة). فالعدالة أن يكون الراوي مسـلماً بالغاً عاقلاً سليماً من أسباب الفسق سليماً من خوارم المروءة. والضبط أن يكون الراوي غير مخالف للثقات ولا سيء الحفظ ولا فاحش الغلط ولا مغفلاً ولا كثير الأوهام. وبناء على أسس هـذا العلم صنف العلماء كتب الصحاح وبذلوا فيهـا جهداً وعناية في التثبت لم تـرق إليه أي أمة في أرقـى مراحل التصنيف العلمي الحديـث، وكان الحديث الشريف أصح أثر تناقلته الأجيال بعد القرآن الكريم في جميع العصور.

١- صحيح مسلم ج١، ص٨٤ المطبعة المصرية
٢- تيسير مصطلح الحديث – د. محمود طحان

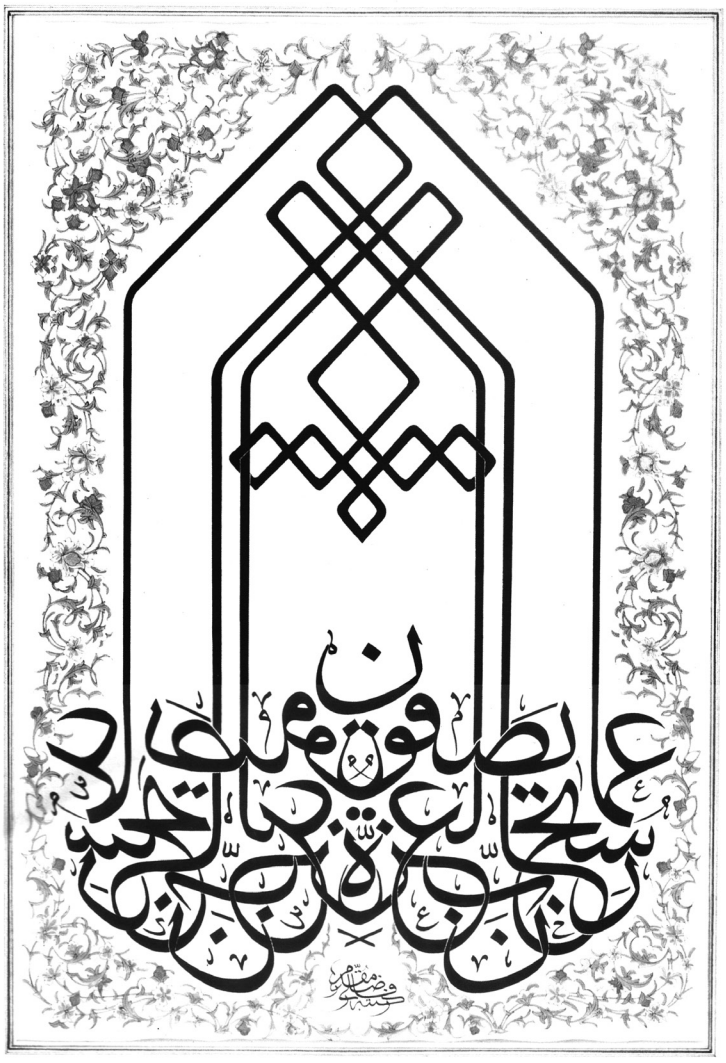
سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

مفهوم الحرية

الدكتور حسن البحري
أستاذ في كلية الحقوق – جامعة دمشق

شـغلت الحريــة La Liberté الكثير من الفقهــاء، باعتبارها إحدى الكلمات العصية على التعريف، لأنها تملك من القيمة أكثر مما تملك من معنى.

كمــا أن مفهــوم الحرية ليس مفهوماً ثابتاً، فما يعتبــر حرية في مكان ما لا يعد كذلك في مكان آخر، فالنسـبية صفة أساسية للحريات[1] تجعل أمر تحديدها أمــراً صعــب المنال، وقد عبَّر الفقيه الفرنســي مونتســكيو عــن ذلك منذ زمن طويل، حيث يقول: «ليســت هناك كلمة اكتســبت معاني مختلفة عديدة، وأثَّرت على الأذهان بأكثر من طريقة، مثل كلمة «الحرية». فبعضهم فَهِمَها باعتبارها سهولة عزل مَنْ تمَّ تمكينه من سلطة استبدادية، وبعضهم الآخر اعتقد أنها مَلَكة انتخــاب مَــن يجب عليهم الخضوع له، وآخرون فسَّــروها علــى أنها الحق في التســلح والقدرة على ممارســة العنف، وآخرون اعتبروها الحظوة المتمثلة في خضوعهم لحكم حاكم من أمتهم أو لقوانينهم الخاصة، وفهمت بعض الشــعوب الحريــة ولمدةٍ طويلةٍ على أنهــا عادة إطلاق اللحى الطويلــة. وآخرون أطلقوا اســم الحرية على شــكلٍ معينٍ من الحكم، واســتثنوا أشــكالاً أخرى. أما الذين

(١) عبر عن ذلك الرئيس الأمريكي لنكولن بقوله : « نعلن جميعاً أننا من أجل الحرية، لكن عند استخدامنا لــذات الكلمــة فإننا لا نرغب أن نعني ذات الشــيء .... ذلك أن الصياد عندما يســتخلص الحمل من حلق الذئب فإن ذلك سبب لأن يشكره الحمل، باعتباره محرِّرَه، بينما يستنكر ذلك الذئب لذلك الإجراء باعتباره هادماً لحريته، فمن الواضح أن الحمل والذئب لا يتفقان على كلمة الحرية » .

خبـروا الحكومـة الجمهوريـة، فقد أطلقوا اسـم الحرية عليهـا، والذين تمتعوا بالمَلَكيَّة أطلقوه عليها. ونسـتنتج أنَّ كلَّ طرفٍ أطلق اسم الحرية على الحكومة التي انسـجمت مـع عاداته وميولـه. وبما أنه في الجمهورية لا نسـتحضر كل وسـائل الشرور التي نشـتكي منها، وبما أنَّ القوانين نفسها تتحدث عنها بشكل يخالف كثيراً حديث منفذي القوانين عنها والذين يتحدثون عنها بشكلٍ أقل، فإن الحريـة تُقرَن بالجمهوريات وتَبْعُد عن المَلَكيَّات. وأخيراً، وبما أن الشـعب في الديمقراطيات يفعل تقريباً على ما يبدو ما يريد، تمَّ وضع الحرية في هذا النوع من الحكومات، وتمَّ الخلط بين سلطة الشعب وحرية الشعب. صحيح أن الشعب في الديمقراطيات يفعل على الأرجح ما يريد، ولكن الحرية السياسـية لا تكمن في أن يفعل الناس ما يريدون.

فـي الدولة، أي في المجتمـع الذي تحكمه قوانين، تكمن الحرية فقط في أن يريدَ الناسُ فعلَ ما تجبُ إرادةُ فعله، وأن لا يجبرون على فعلِ ما لا تجبُ إرادةُ فعلـه. يجب توضيح ما تعنيه كل من الاسـتقلالية والحريـة. فالحرية هي الحق في فعل كل ما تسـمح به القوانين، وإذا كان بإمكان مواطن أن يفعل ما تمنعه القوانين فسـيحرم من الحرية، لأن الآخرين سـيملكون أيضـاً هذه القدرة على خرق القوانين »[1].

ومن أجل الوقوف على مفهوم الحرية، يجب علينا أولاً أن نلقي الضوء في المطلب الأول على حقيقة اختلاف هذا المفهوم باختلاف الزمان والمكان، وهو ما يطلق عليه نسبية مفهوم الحرية، واستناداً إلى هذه الحقيقة نحاول أن نقف في المطلب الثاني، على التعاريف المختلفة للحرية .

نسبية مفهوم الحرية

لا شـك أن مفهوم الحرية مفهوم نسـبي، يختلف باختلاف الزمان والمكان، فمفهـوم الحرية فـي النظام اليونانـي القديم يختلف عن مفهومهـا لدى مفكري

(١) كتاب الحرية؛ سلسلة دفاتر فلسفية، العدد ١٦، إعداد وترجمة : عزيز لزرق ومحمد الهلالي (المغرب، الدار البيضاء، دار توبقال للنشر، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠٩)، ص٧٧، ٧٨.

الثورة الفرنسية، وهذا الأخير يختلف بدوره عن مفهومها في القرن العشرين.

وفي هذا الصدد، فقد كانت الولايات الشمالية في أمريكا تحارب الولايات الجنوبية إبان الحرب الأهلية الأمريكية، وكل منهما يحارب من أجل مفهوم معين للحرية، يختلف عن مفهوم الطرف الآخر(١).

ونظراً لأهمية هذا الموضوع سوف نلقي الضوء عليه في الفقرات الأربع الآتية:

أولاً ـ مفهوم الحرية في العصور القديمة

في العصور القديمة، كان يقصد بالحرية «الحماية من طغيان الحكَّام»، وهذا ما تحدث عنه «جون ستيوارت ميل» في كتابه «في الحرية» الصادر سنة ١٨٥٩م بقوله : « إن الصراع بين الحرية والسلطة The struggle between Liberty and Authority أحد الصفات الأكثر وضوحاً في أجزاء التاريخ المألوفة لدينا منذ القدم، ولا سيما في اليونان وروما وانجلترا. ولكن في العصور القديمة، كان هذا الصراع بين المواطنين ـ أو بعض طبقات المواطنين ـ والحكومة. كان يقصد بالحرية الحماية من طغيان القادة السياسيين Protection against the tyranny of the political rulers. كان ينظر إليهم (ما عدا في بعض الحكومات الشعبية Popular Governments في اليونان) على أنهم في وضع عدائي بالضرورة، أو في موضع الخصم من الناس الذين يحكمونهم. كانوا يتكونون من الحاكم الواحد، أو القبيلة أو الطائفة الحاكمة، مهما كانت التدابير الاحترازية المتخذة ضد ممارستهم القمعية. كانت قوتهم تعتبر ضرورية، لكن خطيرة جداً أيضاً، بوصفها سلاحاً يحاولون استخدامه ضد أبناء شعبهم، كما يستخدمونه ضد الأعداء الخارجين. ولأجل حماية الضعفاء من بين أعضاء المجتمع من أن يكونوا فريسة لعدد لا حصر له من الكواسر، كان لا بد من وجود حيوان مفترس أقوى من الآخرين، مهمته أن يسيطر عليهم. ولكن بما أن ملك الكواسر ليس بأقل نزعة لافتراس القطيع من أي مفترس صغير آخر، لا

(١): د. عبد الحميد متولي؛ الحريات العامة، نظرات في تطورها وضماناتها ومستقبلها (الاسكندرية؛ منشأة المعارف، طبعة سنة ١٩٧٤)، ص٩، ١٠.

مناص من اللجوء إلى موقف دفاعي دائمي ضد منقاره Beak ومخالبه Claws. لذلك، كان هدف الوطنيين هو وضع حدود للسلطة التي سيعاني المجتمع من ممارسة الحاكم لها، وهذا التحديد هو ما قصدوه بكلمة الحرية»[١].

ثانياً ـ مفهوم الحرية في النظام اليوناني القديم

لم يكن مفهوم الحرية في الديمقراطيات اليونانية القديمة يعني وضع قيود على سلطة الحكام لضمان احترام الحريات، فقد كان الفرد ـ كما يقرر الأستاذ «كوليار» ـ خاضعاً للدولة في كل شيء دونما شروط أو قيود[٢]. وكانت سلطة الدولة إزاء حقوق الأفراد، سلطة استبدادية مطلقة لا يحدها حد أو قيد. ومع ذلك كان اليوناني يعد نفسه حراً في ذلك الوقت، لا لشيء إلا لأن مفهوم الحرية كان يعني في ذلك الوقت أن الفرد يتمتع بالحرية إذا كان تصرف الدولة لا يميز بين الأفراد بصدد تطبيق أو تنفيذ قاعدة عامة وضعت لجميع الأفراد على السواء. فقد كان هذا التعريف للحرية ـ كما يقرِّر العميد «ديجي» ـ مشتقاً من المساواة [٣].

ثالثاً ـ مفهوم الحرية إبان الثورة الفرنسية

عرفت المادة الرابعة من «إعلان حقوق الإنسان والمواطن»[٤] La Déclaration des droits de l›Homme et du citoyen الذي أصدرته

(١) في التفاصيل : John Stuart Mill; On liberty (First edition، London: John W. Parker and Son، 1859)، the Pennsylvania State University، Electronic Classics Series، Copyright © 1998)، pp.3، 4.

(2) Claude Albert Colliard; Liberates pupliques، 5eme- edition، Precis-Dollaoz،1975، pp.26، 27.
د. سعاد الشرقاوي؛ نسبية الحريات العامة وانعكاساتها على التنظيم القانوني (موسوعة القضاء والفقه، الجزء ٧٦)، ص١٥، ١٦ .

(٣) د. عبد الحميد متولي؛ الحريات العامة، مرجع سابق، ص١٥.

(٤) لا بد أن نقف بعض الشيء عند تسمية هذا الإعلان، حيث اعتبر بعض الباحثين أن الازدواجية الظاهرة في التسمية (حقوق الإنسان والمواطن) يقصد بها أن حقوق الإنسان هي حقوق سابقة على نشأة المجتمع، أما حقوق المواطن فهي تلك الحقوق التي لا يمكن تصور وجودها إلا بعد قيام المجتمعات السياسية.إن ذلك يعني أن الإعلان إنما انطلق من التزام نظرية الحق الطبيعي التي ترى أن حقوق الإنسان كامنة في الأفراد وراجعة لصفتهم الإنسانية، والتي كان من أبرز دعاتها جان جاك روسو الذي سعى في كل كتاباته إلى تحرير الإنسان من مظالم المجتمع المتمدن، لقد لاحظ أن الإنسان يولد حراً في الطبيعة ولكن أنظمة المجتمع والدول هي التي تفسده .

الجمعية التأسيسـية الوطنية إبان الثورة الفرنسية الكبرى في ٢٦ أغسطس/آب عـام ١٧٨٩م الحريـة بأنها : « قدرة المرء علـى القيام بكل ما لا يلحق ضرراً بالآخرين. وهكذا، فإنه لا حدود لممارسـة الحقوق الطبيعية لكل إنسـان إلا تلك التي تكفل للأعضاء الآخرين في المجتمع أن يتمتعوا بهذه الحقوق ذاتها. وهذه الحدود (أو القيود) لا يجوز فرضها إلا بموجب قانون»[١].

ومنذ الثورة الفرنسـية وطيلة القرن التاسـع عشـر كان ينظـر إلى الحرية على أنها تورد قيوداً وحدوداً على سـلطة الدولة، وأنها وسـيلة لمقاومة سلطان الحـكام، وانطلاقـاً من هذا المفهوم للحرية تقـررت للأفراد حريات مختلفة في الديمقراطيـات الغربيـة، وفي مقدمتها الحرية الشـخصية وأهم عناصرها حق الأمـن وحرية المُلْكيـة وحرية الرأي وحريـة العقيدة ...[٢] التي تسـمى أيضاً الحريات المدنية، التي تختلف بدورها عن الحريات السياسـية التي تخول الفرد

- انظر في التفاصيل: د. محمد سـعيد مجذوب، الحريات العامة وحقوق الإنسـان (لبنان، جروس بروس) ص٤٧.

وتجـدر الإشـارة إلى أن مواد هذا الإعلان صاغها الماركيـز دي لافايت Marquis de Lafayette وتبنته الجمعية الوطنية، وقد وُضِع كي يشـكل أساسـاً للانتقال من حكم ملكي مطلق إلى حكم ملكي دسـتوري. هدفـت العديد من مواد الإعلان إلى إلغاء بعض مؤسسـات النظام القديم لفرنسـا ما قبـل الثورة. عمليّاً، تحوّلت فرنسا إلى جمهورية وأصبح الإعلان من وثائقها الأساسية.

وتعتمـد مبـادئ الإعلان على عدة مبادئ فلسـفية وسياسـية من عصـر التنوير، مثـل : الفردية، العقد الاجتماعي كما عرّفه جان جاك روسـو، الفصل بين السـلطات بحسب مونتسكيو. وربما افاد الفرنسيون مـن إعلان اسـتقلال الولايات الأمريكيـة الصادر في ٤ تموز سـنة ١٧٧٦، وإعـلان فرجينيا للحقوق Virginia Declaration of Rights الـذي صاغـه رجـل الدولة الأمريكي جورج مِيْسِـن George Mason وتبناه المؤتمر الدستوري المنعقد في ولاية فرجينيا في ١٢حزيران عام ١٧٧٦.

(١) وفيما ياتي النص الحرفي للمادة الرابعة من إعلان حقوق الإنسان والمواطن الفرنسي :

Article 4 : «La liberté consiste à pouvoir faire tout ce qui ne nuit pas à autrui : ainsi، l'exercice des droits naturels de chaque homme n'a de bornes que celles qui assurent aux autres membres de la société la jouissance de ces mêmes droits. Ces bornes ne peuvent être déterminées que par la Loi ».

(٢) نصـت المـادة الثانية من إعلان حقوق الإنسـان والمواطن الفرنسـي الصادر سـنة ١٧٨٩ على أن : «الغاية من كل مجتمع سياسي هي حفظ حقوق الإنسان الطبيعية التي لا تزول ولا تسقط بمرور الزمن، وهذه الحقوق تتمثل في الحرية والملكية والأمان ومقاومة الظلم والاستبداد ».

Article 2 : «Le but de toute association politique est la conservation des droits naturels et imprescriptibles de l'homme. Ces droits sont la liberté، la propriété، la sûreté، et la résistance à l'oppression».

أن يشترك في شؤون الحكم ـ سواء أكان بطريق مباشر أم غير مباشر ـ والتي تشمل حق الانتخاب والتصويت في الاستفتاء والترشيح لعضوية الهيئات النيابية، كالبرلمان والمجالس المحلية[١].

رابعاً ـ مفهوم الحرية في الحرب الأهلية الأمريكية

عندما اندلعت الحرب الأهلية الأمريكية American Civil War[٢]، كان السبب الأساس لها مشكلة العبيد أو الرقيق، حيث كانت الولايات الشمالية تحارب من أجل إلغاء نظام الرق، بينما كانت الولايات الجنوبية تحارب من أجل الحفاظ عليه، وكل فريق منهما يدَّعي أنه يحارب من أجل الحرية[٣].

---

(١) د.سعاد الشرقاوي؛ نسبية الحريات العامة ....، مرجع سابق، ص١٧، ١٨.

(٢) الحرب الأهلية الأمريكية (١٨٦١ ـ ١٨٦٥) : حرب أهلية نشبت في الولايات المتحدة الأمريكية بين الحكومة الفيدرالية التي عرفت بـ «الاتحاديون» مقابل إحدى عشرة ولاية جنوبية متمسكة بالعبودية. أسست هذه الولايات ما سمي الولايات الكونفدرالية الأمريكية Confederate States of America وأعلنت انفصالها عن باقي الولايات الشمالية. تسلم قيادة الولايات الجنوبية الرئيس جيفرسون ديفيس، أما قوات الاتحاد فكانت تحت قيادة الرئيس المنتخب أبراهام لينكولن والحزب الجمهوري الذي كان يعارض توسيع العبودية ويرفض أي إعلان بالانفصال للولايات الجنوبية. وبالرغم من اسم الحرب الأهلية، فإن القوات الكونفدرالية الجنوبية انحصرت رغبتها في الانفصال وليس السيطرة على الحكومة المركزية (الفدرالية).
تركي ضاهر؛ أشهر القادة السياسيين من يوليوس قيصر إلى جمال عبد الناصر (بيروت؛ دار الحسام للطباعة والنشر، الطبعة الثانية سنة ١٩٩٢)، ص٢٩.

(٣) في عهد أبراهام لينكولن Abraham Lincoln ـ الرئيس السادس عشر للولايات المتحدة الأمريكية ـ المنتخب سنة ١٨٦١م، نشبت الحرب الأهلية الأمريكية بين ولايات الشمال (الصناعية) وولايات الجنوب (الزراعية) حول إلغاء نظام الرق، حيث كان الشماليون لا يستخدمون العبيد في مصانعهم الآلية، بينما الجنوبيون يعتمدون عليهم في الزراعة وخاصة زراعة القطن. ومع إلغاء نظام الرق في أوروبا كان لابد لهذه الدعوة من أن تصل للقارة الجديدة، حيث انقسم الأمريكيون إلى شطرين: القسم الشمالي حيث رفع شعار إلغاء هذا النظام، والقسم الجنوبي الذي تمسك بالاستمرارية فيه حيث مصلحته الاقتصادية.
تركي ضاهر؛ أشهر القادة السياسيين، المرجع السابق، ص٢٩.
وشكل وجود واستمرار نظام الرق في الجنوب أحد العوامل التي أسهمت في اندلاع الحرب الأهلية، فلقد حكم القرار الشائن الصادر سنة ١٨٥٧ في قضية دريد سكوت ضد ساندفورد Dred Scott v. Sandford بأن كل السود، عبيداً كانوا أم أحراراً، ليسوا مواطنين؛ ومن ثم فليس لهم حق في رفع الدعوى أمام محكمة فيدرالية. كما زعم القرار أيضاً بأن الكونجرس ليست له أية سلطة للسيطرة على انتشار نظام الرق في الأقاليم الجديدة. وبذلك استقطب «دريد سكوت» الأمة على نحو أكبر، وأضعف على ما يبدو سلسلة التسويات السياسية بين الولايات التي تأخذ بنظام الرق وتلك التي ترفضه، الأمر الذي

وهـذا ناتجٌ من اختلاف مفهـوم الحرية لدى الفريقين، فقـد كانت الولايات الشمالية ترى أن الحرية تعني تحرير زنوج الولايات الأمريكية الجنوبية أسوة بالولايات الشـمالية، وبينما كانت الحرية تعني في الولايات الجنوبية اسـتقلال حكومتها وحريتها في التصرف في شـؤونها الداخلية ومنها مسألة الرق، وذلك دون تدخل من جانب حكومات الولايات الشمالية(١).

وقـد عبَّر الرئيس «أبراهام لينكولن» عن هذه المفارقة والتضاد في مفهوم الحرية حينما قال: « لم يكن لدى العالم على الإطلاق تعريف جيد لكلمة الحرية، وإن الشعب الأمريكي الآن في حاجة ماسة إلى هذا التعريف، فنحن نعلن جميعاً تأييدنـا للحرية، ولكن عند اسـتخدامنا للكلمة ذاتها فإننا لا نعني جميعاً الشـيء ذاته، إن الشـمال كان يحارب من أجل حرية كل إنسـان في أن يصنع بشخصه وبثمـرة أعماله مـا يريد، أما الحرية فـي نظر حكومات ولايـات الجنوب فقد كانـت تعني حرية بعض الرجال في أن يصنعوا ما يحلو لهم بالآخرين وبثمرة أعمالهم»(٢).

خامساً ـ مفهوم الحرية في العصر الحديث

لحـق مفهوم الحرية في العصـر الحديث تطور كبير، فلـم يعد ينظر إليها على أنها مجرد وسـيلة لمقاومة سـلطان الدولة ووضع القيود عليها استناداً إلى

أحـدث في النهاية صدعاً سياسـياً. ومع اندلاع الحرب الأهلية، أدى إعـلان التحرير Emancipation Proclamation الـذي وضعه لنكولـن (١٨٦٣) إلى تحرير الرقيق في الولايـات المتمردة. وفي عام ١٨٦٥، ألغى التعديل الثالث عشـر للدستور الاتحادي للولايات المتحدة الأمريكية نظام الرق إلغاءً تاماً. وأكد التعديل الرابع عشـر (١٨٦٨) على تمتع كل الأشـخاص المولودين أو الذين حصلوا على جنسـية البلاد بحقوق المواطنة. ونصت فقرته الرئيسـة بصدد الحقوق المدنية على أنه لا يجوز لأي ولاية « أن تنكر على أي شـخص في إطار اختصاصها الحماية المتسـاوية أمام القانون».كما أكد التعديل الخامس عشـر (١٨٧٠) علـى أنه لا يجـوز لأي ولاية أن تنكر علـى أي مواطن حق التصويت «على أسـاس العنصر أو اللون أو وضع الرق السابق».

لاري إلويتز؛ نظام الحكم في الولايات المتحدة الأمريكية، ترجمة جابر سعيد عوض (القاهرة؛ الجمعية المصرية لنشر المعرفة والثقافة العالمية، الطبعة العربية الأولى سنة ١٩٩٦)، ص٢٤٨.

(١) د.سعاد الشرقاوي؛ نسبية الحريات العامة ....، مرجع سابق، ص١٩.

(٢) جيمس م.ماكفيرسون؛ أبراهام لينكولين والثورة الأميركية الثانية، ترجمة فايزة الحكيم & أحمد منيب (الدار الدولية للاستثمارات الثقافية، الطبعة الأولى سنة ٢٠٠١)، ص٦٣، ٦٤.

الاعتقاد الذي كان سائداً فيما سبق، في أن مصدر الظلم والاضطهاد هم الحكَّام، وأن سلطة الدولة شرٌّ لا بدّ منه، وإنما أصبح تدخل الدولة في مختلف الميادين وخاصة ميادين النشاط الاقتصادي والاجتماعي، أمراً مقبولاً وضرورياً حتى في أكثر الدول الليبرالية، لمعالجة ومواجهة الأزمات كالتضخم والبطالة والقيام بالأعمال التي يتطلبها الصالح العام، بل أصبح التقدم الاقتصادي في العصر الحديث مستحيل التحقيق عن طريق الأفراد وحدهم دون تدخل الدولة(١).

ونخلص إلى القول بأن مفهوم الحرية أصبح التزاماً على الدولة يجب الوفاء به وتحقيقه بكافة الضمانات والوسائل، بل أصبحت كفالة الحرية أساساً لشرعية السلطة ذاتها. ولهذا قيل ـ بحق ـ أن الحرية لا تزدهر إلا إذا قامت السلطة برعايتها والدفاع عنها .

تعريف الحرية

أولاً ـ المعاني المختلفة للحرية :

ورد في المعاجم المتخصصة بشأن المعاني المختلفة للحرية الآتي(٢): الحُرّ ضد العَبد، والحُرَ: الكريم، والخالص من الشوائب، والحُرّ من الأشياء أفضلها، ومن القول أو الفعل أحسنه. تقول حرَّ العبدُ حَرَاراً خَلُصَ من الرِّق، وحرَّ فلان حُريةً كان حر الأصل شريفه. فالحرية هي الخلوص من الشوائب، أو الرِّق، أو اللؤم، فإذا أطلقت على الخلوص من الشوائب، دلَّت على صفة مادية، يقال: ذهبٌ حرٌّ لا نُحاس فيه، وإذا أطلقت على الخلوص من الرِّق، دلت على صفة اجتماعية، يقال: رجلٌ حرٌّ أي طليق من كل قيد سياسي أو اجتماعي، وإذا أطلقت على الخلوص من اللؤم، دلت على صفة نفسية، تقول: رجلٌ حرٌّ، أي كريم لا نَقيصةَ فيه.

---

(١) د. عبد الحميد متولي؛ الحريات العامة، مرجع سابق، ص١٣، ١٤.

(٢) في ذلك : د. جميل صَليبَا؛ المعجم الفلسفي، الجزء الأوّل، مرجع سابق، ص٤٦١ـ ٤٦٥؛ أندريه لالاند؛ موسوعة لالاند الفلسفية، المجلد الأول، مرجع سابق، ص٧٢٧ وما بعدها؛ د. عبد الوهاب الكيالي وآخرون، موسوعة السياسة «الجزء الثاني»؛ (بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، الطبعة الأولى ١٩٨١)، ص٢٤٢ وما بعدها؛ المعجم الوسيط (القاهرة؛ مكتبة الشروق، الطبعة الرابعة ٢٠٠٤)، ص١٦٥.

وعلى ذلك، فالحرية تجيء على ثلاثة معانٍ:

١) المعنـــى العام : الحرية خاصة الموجود، الخالص مـن القيود، العامل بإرادته أو طبيعته. من قبيل ذلك قولهم: تظهر حرية الجسـم الساقط في هبوطه إلى مركز الأرض، وفقاً لطبيعته بسـرعة متناسـبة مع الزمان، إلا إذا صادف في طريقه عائقاً يمنع سـقوطه. وإذا أطلق هذا المعنى على أفعال الإنسـان، دل على الحرية المادية، يقال ليس للمريض والسـجين حرية، لأنهما لا يستطيعان أن يفعلا ما يريدان.

٢) المعنى السياســي والاجتماعي : الحرية بهذا المعنى قسـمان: نسـبية ومطلقة.

أ ـ أما الحرية النسبية، فهي الخلوص من القسر، والإكراه الاجتماعي، والحر هـو الـذي يأتمر بما أمر به القانون، ويمتنع عما نهى عنه. من قبيل ذلك ما جاء في المادة /١١/ من إعلان حقوق الإنسان (في فرنسة) لسنة ١٧٨٩ : إن حرية الإعراب عن الفكر والرأي أثمن حقوق الإنسان، ولكل مواطن الحق في حرية الكلام، والكتابة، والنشـر، على أن يكون مسـؤولاً عن عملـه في الحدود التي يعينها القانون. ومن قبيل ذلك أيضاً ما جاء في المادة /٢٩/ من الإعلان العالمي لحقوق الإنسـان: يخضع الفرد في ممارسـة حقوقه وحرياته للقيود التي يعينها القانون. والغرض من التقييد بالقانون ضمان الاعتراف بحقوق غيره، واحترام حرياته، وتحقيق ما يقتضيه النظام العام من شروط عادلة. والحريات السياسية هي الحقوق المعترف بها في الدولة: كحرية الفكر، والرأي، والضمير، والدِّين، والتعبير، وحرية الاشـتراك في الجمعيات، وحرية الاسـهام في إدارة شـؤون الدولة مباشرة، أو بوساطة ممثلين يختارهم المواطن اختياراً حراً.

ب ـ وأمـا الحريـة المطلقـة، فهي حق الفرد في الاسـتقلال عـن الجماعة التي انخرط في سلكها. وليس المقصود بهذه الحرية حصول الاستقلال بالفعل، بل المراد منها الإقرار بهذا الاسـتقلال، واستحسـانه، وتقديره، واعتباره قيمة خلقيـة مطلقة. وفرقوا بيـن الحرية المدنية Liberté civile والحرية السياسـية Liberté politique، فقالـوا: الحرية المدنية اسـتمتاع الأفـراد بحقوقهم المدنية

في ظل القانون، أما الحرية السياسـية فهي استمتاع الأفراد بحقوقهم السياسية، واشـتراكهم في إدارة شؤون بلادهم مباشـرة، أو بوساطة ممثليهم. وإذا أطلقت الحرية السياسية على الدولة نفسها، دلت على سيادتها واستقلالها.

٣) المعنى النفسي والخلقي :

أ ـ إذا كانت الحرية مضادة للاندفاع اللاشـعوري أو الجنون واللامسؤولية القانونية والخُلقية، دلَّت على حالة شخص لا يُقْدم على الفعل إلا بعد التفكير فيه سواء كان ذلك الفعل خيراً أو شراً. فهو يعرف ما يريد ولِمَ يريد، ولا يفعل أمراً إلا وهـو عالِمٌ بأسـبابه. لذلك قيل: إن الحرية الحد الأقصى لاسـتقلال الإرادة، العالمة بذاتها، المدركة لغايتها.

ومعنـى ذلك أن الفاعل الحر الذي يقيد نفسـه بعقله وإرادته، ويعرف كيف يسـتعمل مـا لديه من طاقة، وكيف يتنبأ بالنتائـج، وكيف يقرنها بعضها ببعض أو يحكـم عليها، فحريته ليسـت مجردة من كل قيد، ولا هـي غير متناهية، بل تابعة لشروط متغيرة توجب تحديدها وتخصيصها، وتسمى هذه الحرية الحرية الأدبية أو الخلقية.

ب ـ وإذا كانـت الحريـة مضادة للهـوى والغريزة، والجهـد، والبواعث العرضية دلت على حالة إنسان يحقق بفعله ذاته من جهة ما هي عاقلة وفاضلة. فالحرية بهذا المعنى حالة مثالية، لا يتصف بها إلا من جعل أفعاله صادرة عما في طبيعته من معانٍ سـامية. لذلك قال (ليبنيـز) إن الله وحده هو الحر الكامل، أما المخلوقات العاقلة فلا توصف بالحرية إلا على قدر خلوصها من الهوى.

ج ـ وإذا كانـت الحرية مضـادة للحتمية دلت على حريـة الاختيار Libre arbitre، وهي القول إن فعل الإنسان متولد من إرادته.

د ـ وحريـة الضميـر Liberté de Consciene الشـعور بالحرية في إبداء الرأي واعتناق المعتقدات.

ثانياً ـ المحاولات الفقهية لتعريف الحرية :

لمـا كنا قد انتهينا، فيما سـبق، إلى أن مفهوم الحرية مفهوم نسـبي يختلف باختلاف الزمان والمكان والحرية، لذا لم يكن لها تعريف ثابت ومحدد، فقد نحا

الكتــاب والفقهاء إلى اتجاهات مختلفــة في تحديده، على الرغم من اتفاقهم على عناصر معينة فيها، ويمكن التمييز بين اتجاهين مختلفين في هذا الصدد[١]:

الأول : يذهــب إلــى أن الحرية التي يتمتع بها الفرد في ظل نظام معين تلك الحريات التي يعترف بها ويحددها هذا النظام.

ومن أنصار هذا الاتجاه الفيلسوف الانجليزي «جون لوك»، الذي يرى أنه « حيث لا وجود للقانون، لا وجود كذلك للحرية»، و«حيث ينتهي القانون يبدأ الاســتبداد، أي بمجرد ما يخرق القانون على حســاب الاخرين. كل شــخص له مســؤولية تتجاوز سلطة ما يســمح به القانون، ويستعمل القوة التي تحت إمرته لكي يفرض على الرعايا ما لا يسمح به القانون، يجرِّد فعله هذا من كل شرعية، ويتصرف آنذاك خارج المسؤولية، وبذلك تمكن مقاومته مثلما يتم ذلك تجاه أي شــخص يعتدي على حق غيره »، ولهذا فإنه ينتهي إلى تعريف الحرية بأنها : « الحق في فعل أي شيء تسمح به القوانين»[٢].

وكذلك الفيلسوف «جان جاك روسو»، حيث يرى في الحرية أنها : «عبارة عــن طاعــة لإرادة عامة»، ويضيف إلى ذلك : «إن أحــد المهام التي تقع على عاتق النظرية السياســية أن تحســم الأمــر بين مطالب الحرية والســلطة، وأن تعيِّن الحدود المناســبة. ومن ثم فإن الإكــراه القانوني ثمن يدفع مقابل الحريات الإيجابية التي من هذا النوع لأننا نتنازل عن القليل فقط لنستعيد المزيد».

وكذلك تعريف الفقيه «مونتســكيو» للحرية، بأنها : « الحق في فعل كل ما تســمح به القوانين، وإذا كان بإمكان مواطن أن يفعل ما تمنعه القوانين فسيحرم من الحرية، لأن الآخرين ســيملكون أيضاً هذه القدرة على خرق القوانين »[٣]. لــذا تبــدو الحرية وفقاً لوجهة نظــر أصحاب هذا الاتجاه وكأنهــا منحة من قبل السلطة، لهذا يختلف ويتغير مفهومها باختلاف الأنظمة السياسية السائدة[٤].

(١) د. طعيمة الجرف؛ نظرية الدولة والأســس العامة للتنظيم السياســي (القاهرة؛ مكتبة القاهرة الحديثة، طبعة سنة ١٩٦٤)، ص٤٧٠، ٤٧١.

(٢) كتاب الحرية؛ سلسلة دفاتر فلسفية، العدد ١٦، مرجع سابق، ص٧١، ٧٢.

(٣) كتاب الحرية؛ سلسلة دفاتر فلسفية، العدد ١٦، مرجع سابق، ص٧٨.

(٤) د.كريم يوســف كشــاكش؛ الحريات العامة في الأنظمة السياســية المعاصرة (الاســكندرية؛ منشــأة المعارف، طبعة سنة ١٩٨٧)، ص٢٤، ٢٥.

الاتجاه الثاني : يرى أنصاره أن الحرية تستمد من الطبيعة الإنسانية، سواء اعترفت بها الأنظمة الوضعية أو لم تعترف.

ومن هذا القبيل تعريف الفقيه الفرنسي «أندريه هوريو» الحرية « بأنها سلطة، ولكن قبل أن تكون سلطة على الآخرين، إنها سلطة على الذات. وإن الإنسان حر لأنه بفضل عقله سيد نفسه »[١].

ومن هذا الاتجاه أيضاً تعريف د. ماجد راغب الحلو الحرية بأنها: «إمكانيات يتمتع بها الفرد بسبب طبيعته البشرية أو نظراً لعضويته في المجتمع»[٢].

وكذلك تعريف د. زكريا إبراهيم الحرية بأنها: « الملكة الخاصة التي تميز الإنسان من حيث هو موجود عاقل يصدر في أفعاله عن إرادته هو، لا عن أية إرادة أخرى. فالحرية تعني انعدام القيد الخارجي »[٣].

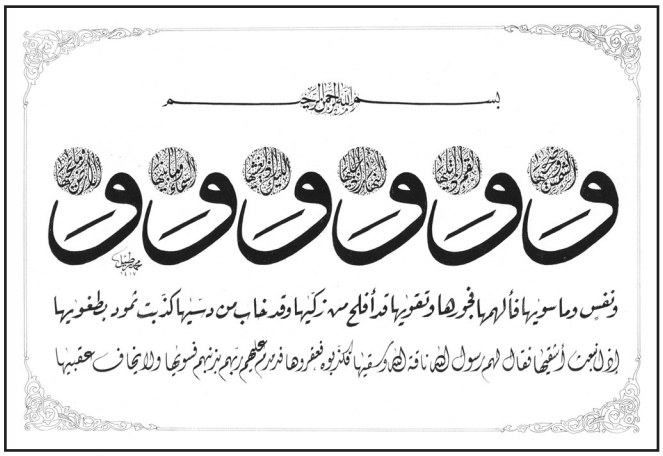

(١) أندريه هوريو؛ القانون الدستوري والمؤسسات السياسية «الجزء الأول»، ترجمة علي مقلد وشفيق حداد وعبد الحسن سعد (بيروت؛ الأهلية للنشر والتوزيع، طبعة سنة ١٩٧٤)، ص١٧٣ .

(٢) د. ماجد راغب الحلو؛ القانون الدستوري (الاسكندرية؛ دار المطبعات الجامعية، طبعة سنة ١٩٨٦)، ص٣٨٥.

(٣) د. زكريا إبراهيم؛ مشكلة الحرية (القاهرة؛ مكتبة مصر، طبعة سنة ١٩٧١)، ص١٨؛ د. كريم يوسف كشاكش؛ الحريات العامة، مرجع سابق، ص٢٨، ٢٩.

الإدارة الإلكترونية
وإعادة ابتكار الحكومة الإلكترونية

إعداد : الدكتور سامر حسين المصطفى
كلية الاقتصاد – جامعة دمشق

تقف الإدارة الحكومية اليوم على مفترق طرق بسبب دخولنا عصر ما بعد الصناعة أي عصر المعلوماتية والمعرفة وبشكل أدق عصر الرقميات والاتصالات لإيجاد المعلومة واستثمارها بالشكل الأفضل .

ونحن في سورية نسعى للتخلص من تعقد الاجراءات وطول مدتها للمواطنين في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية والتعليمية وغيرها وذلك قبل الازمة و اليوم في ظل الازمة التي تمر بها سورية أصبحنا بحاجة ماسة للاعتماد على مفهوم إعادة ابتكار الحكومة الالكترونية بما يساهم في ايجاد حلول سريعة لتجاوز التحديات والصعوبات التي تواجهها مختلف أجهزة الحكومة ومؤسساتها في مختلف المواقع .

ولابد هنا من الاشارة إلى أهمية فكرة إعادة ابتكارحكومة الكترونية جديدة رغم الازمة لتساهم في تحسين الاداء في المؤسسات المختلفة .

الواقع تنطلق فكرة إعادة ابتكار حكومة جديدة من المبادئ الآتية :

١- إن الحكومة ليست شراً لابد منه كما يتصور الكثيرون فهي ضرورية ومهمة لكل المجتمعات المتحضرة.

٢- إن حكومات عصر الصناعة بمركزيتهاوبيروقراطيتها وطرقها الروتينية المتشابهة لا ترقى إلى مستوى التحديات والمتغيرات السريعة التي تواكب عصر المعلومات .

٣- إن العاملين في الحكومة ليسوا أهم أساس المشكلة في تراجع الإنتاج والخدمات ولكن النظام الإداري هو السبب .لأن كثيرين ممن يفشلون في الإدارة الحكومية ينجحون في القطاع الخاص .

٤- إن المشكلات التي يواجهها القطاع العام في العصر الحالي ليست بسبب الإدارة الليبرالية ولا الإدارة المحافظة بل بسبب افتقاد تلك الإدارة للفعالية .

٥- إن نجاح أي حكومة في مسعاها للتطور لا يتأتى إلا من خلال هدفها الأسمى وهو العدالة وتكافؤ الفرص.

لكن هل انتهى دور الإدارة الحكومية التقليدية ؟

يعتقد أغلب الناس في بعض الدول أنه نعم انتهى ، والسبب أن الطرق التي تعمل بها الحكومة التقليدية من تخطيط وتنفيذ تتم من دون فعالية . فمثلاً الحكومة تعيد تنظيم التعليم وتصرف مليارات الدولارات والتعليم يزداد سوءاً والصحة والبيئة والغذاء .

والحل كيف يكون في المستقبل ؟

الواقع أن ما نراه من قادة العمل الحكومي للحل بطريقتين لا ثالثة لهما :

- إما بفرض الضرائب ورسوم جديدة .
- أو خفض الإنفاق الحكومي .
- ويتجاهلون الخيار الثالث الذي يركز على إمكانية الحصول على خدمات أفضل بمخصصات الإنفاق الحالي أنفُسها .

فمثلاً لو شبهنا الحكومة برجل ذي وزن زائد فلابد من خفض وزنه بممارسة الرياضة، والاقتصاد في الطعام، ولا داعي لشفط الدهون بطرق صناعية أو إلى قطع أصابعه وخلع حذائه. فالحكومة عليها رفع لياقتها البدنية وزيادة فعاليتها، وهذا لا يتم إلا بالافادة من ثورة المعلومات والاتصالات في التوجه لابتكار الحكومة الالكترونية.

لكن هناك عدة أسئلة تطرح قبل البدء بالتعريف بالحكومة الالكترونية أو إعادة ابتكار الحكومة الالكترونية :

١- هل إعادة ابتكار الحكومة الالكترونية أمر ممكن ؟

٢- هل يمكن أن نغير قطاعاً حكومياً بيروقراطياً مترهلاً ومتجذراً في تربة الروتين ونجعله صديقاً للسوق والاستثمار ؟

٣- هل نستطيع تحويل الحكومة في جهاز إداري فضفاض إلى آلية مرنة وفعالة ومبتكرة تحسن في جودة قراراتها وخدماتها للمواطنين؟

وقبل الإجابة لابد أن نوضح أهم الاستراتيجيات الناجحة لإعادة ابتكار الحكومة الالكترونية وهي الانحرافات (الاتجاهات) الخمسة عن إعادة اختراع الحكومة:

ويعتبر هذا رأي ليبرالي.	• الاتجاه الأول : يرى أن تطوير الحكومة يتم بزيادة الأموال الموجة لها وتوسيع دائرة نشاطها. • الحقيقة أن إغداق الأموال على نظام قطاع عام متحجر مع مطالبته بأداء المزيد من المهام لن يتحقق سوى المزيد من الخسائر والنتائج السلبية .
وهذا رأي المحافظين .	• الاتجاه الثاني : يرى أن الحل بالاتجاه للتقشف فيما يتعلق بالإنفاق الحكومي مع تقليص دائرة نشاطه . • الحقيقة أن منع التحويل اللازم عن نظام قطاع عام وحكومي تخصصي في الهدر سنوات طويلة قد يكون في مصلحة دافعي الضرائب، لكن لن يؤدي إلى تطوير أداء القطاع الحكومي .
وهو رأي المستثمرين .	• الاتجاه الثالث : يرى أصحابه أنة يمكن تطوير القطاع الحكومي بإدارته بنفس الطريقة التي يدار بها القطاع الخاص . • الحقيقة: أن الأساليب والأفكار الإدارية تتشابه مهما اختلفت البيئة التي تطبق داخلها ،إلا أن القطاع الحكومي يتميز بخصوصية تجعل من الصعب علينا الاحتكام إلى الاعتبارات الربحية فقط
هو رأي الموظفين .	• الاتجاه الرابع : يرى أنه يمكن للموظفين الحكوميين تطوير أداء القطاع الحكومي إذا ما زادت رواتبهم وحوافزهم • الحقيقة : أن المسألة تستدعي تغيير الثقافة وتوجيه الجهود نحو غاية محورية وتحقيق بعض النتائج أكثر مما تستدعي كشوف المرتبات .
وهو رأي المواطنين ..	• الاتجاه الخامس : يرى عامة الناس أنه يمكن إعادة ابتكار الحكومة بتغيير الأفراد العاملين بها وتعيين أصحاب الكفاءة فقط . • * الحقيقة أن المشكلة الحقيقية ليست في الأفراد بل في القطاع البيروقراطي الذي يكبلهم .

نستطيع أن نقول الآن أن الفهم العميق للمرتكزات والأسس التي يقوم عليها القطاع البيروقراطي الضخم خمسة مرتكزات : الغاية والحوافز وتحديد المسؤولية وهياكل السلطة والثقافة .

ولتغيير هذه المرتكزات البيروقراطية في إعادة ابتكار الحكومة لابد من الاستعانة بخمس استراتيجيات لإزالة شبح البيروقراطية وهي باختصار هدفها التوجيه والقيادة ووضع السياسات التي تخلق رؤية مستقبلية بعيدة المدى .

الاستراتيجيات الخمس لإزالة البيروقراطية:

١- الاستراتيجية المحورية التي توضح الغاية الحقيقية في وجود الحكومة

تهدف هذه الاستراتيجية إلى القيام بالتوجيه والقيادة ووضع السياسات التي تخلق رؤية مستقبلية بعيدة المدى .

مثال : التخلص من بعض الوظائف التي لا تخدم مشروعاً أو هدفاً محدداً للحكومة، ويمكن تفويض القطاع الخاص بها . مثل بيع المؤسسات الخدمية (النقل – الاتصالات..).

٢- استراتيجيات (التبعات)التي تطور نظاماً للحوافز والأداء لموظفي الحكومة.

مثل تحديد معايير الأداء والمكافأة على الإبداع والمعاقبة على التقصير, وبمعنى أخر الإدارة بأسلوب القطاع الخاص والمنافسة في السوق لتحسين الأداء .

٣- استراتيجية المواطن (العميل)التي تؤدي إلى تحمل المسؤولية تجاه المجتمع .

بمعنى ترك المواطنين يوجهون الدفة للسفينة (الحكومة) لإجبار الهيئات الحكومية على التغيير لتحقيق الرضا للمواطنين والجودة في الخدمة لهم .

٤- استراتيجية التحكم التي تعيد هيكلة النظام الإداري وتلغي المركزية .

وتتم من خلال وضع مزيد من السلطة أسفل الهرم الإداري، فالمعتاد أن الموظفين الحكوميين يكتفون بإطاعة الأوامر ويخضعون لاستجواب النواب وتشريعاتهم وهذا يؤدي إلى خصومات أكثر مما يؤدي لمميزات . وبالتالي يجب إعطاء الموظف قوة تمكين لتحسين الخدمة التي يقدمها بنفسه للمواطنين، أي تمكين الموظفين وتمكين المجتمع (المؤسسات الاجتماعية) .

٥- استراتيجية الثقافة التي تستهدف عادات وسلوكيات موظفي الحكومة.

أي تغيير ثقافة الجمود (التحجر) ثقافة تحث على الابتكار وروح المبادرة وقيم على غرار القطاع الخاص هدفها التنفيذ والمتابعة .

إذن النتيجة النهائية أن الاستراتيجية الأولى هدفها القيادة والتوجيه للسياسات والاستراتيجيات الأربع هدفها التنفيذ والمتابعة .

والحقيقة أنه عند التطبيق في سورية نحتاج للمزاوجة بين الاستراتيجيات الخمس وخاصة في ظل الازمة الحالية . بحيث تساهم الحكومة الإلكترونية في وضع أرضية لنجاح هذه الاستراتيجيات الخمس في سرعة الوصول للنتائج وتخفيض التكاليف والوقت بما يحقق أهداف الحكومة والمجتمع بنوع من التوازن.

ويمكن الآن توضيح مفهوم الحكومة الالكترونية :

أولاً :مفهوم الحكومة الإلكترونية

• تعني تقديم الخدمات الحكومية وإدارتها عبر شبكات المعلومات الدولية (الإنترنت) وغيرها من الوسائط الإلكترونية الأخرى .

• تعد الحكومة الإلكترونية النسخة الافتراضية عن الحكومة الحقيقية مع بيان أن الحكومة الالكترونية تعيش محفوظة في الخوادم (السيرفر) الخاصة بمراكز حفظ البيانات (Data Center) للشبكة العالمية للإنترنيت، وتحاكي أعمال الحكومة التقليدية والتي توجد بشكل حقيقي ومادي في أجهزة الدولة.

نشأة فكرة الحكومة الإلكترونية

ترجع نشأة فكرة الحكومة الإلكترونية إلى نائب الرئيس الأمريكي السابق (آل جور)، وكان ذلك ضمن تصور لديه لربط المواطن بمختلف أجهزة الحكومة للحصول على الخدمات الحكومية بأنواعها بشكل آلي إضافة إلى إنجاز الحكومة ذاتها بمختلف أنشطتها باعتماد شبكات الاتصال والمعلومات لخفض التكاليف وتحسين الأداء وسرعة الإنجاز وفعالية التنفيذ .

إذن تسعى الحكومة الإلكترونية إلى تقديم كافة الخدمات والمعاملات الحكومية عبر وسائط إلكترونية سواء كانت عبر شبكة المعلومات الدولية الإنترنت أو غيرها

لكن ما هو تعريف الحكومة الإلكترونية

تعريف الحكومة الإلكترونية:

لا يوجد تعريف محدد لمصطلح الحكومة الإلكترونية نظراً للأبعاد التقنية والإدارية والتجارية والاجتماعية التي تؤثر عليها.

وهناك عدة تعريفات للحكومة الالكترونية من أكثر من جهة دولية.

عرفت الأمم المتحدة الحكومة الالكترونية في ٢٠٠٢بأنها : «استخدام الإنترنت والشبكة العالمية العريضة لتقديم معلومات وخدمات الحكومة للمواطنين».

كما عرفت منظمة التعاون والتنمية في المجال الاقتصادي (OECD) في عام ٢٠٠٣، «الحكومة الإلكترونية بأنها:

استخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات وخصوصاً الإنترنت للوصول إلى حكومات أفضل».

بينما اعتمدت المنظمة العربية للتنمية الإدارية تعريفاً للحكومة الإلكترونية، بأنها : عملية

استخدام المعلومات العريضة والإنترنت، والاتصال عبر الهاتف الجوال لامتلاكها القدرة على تغيير وتحويل العلاقات مع المواطنين ورجال الأعمال ومختلف المؤسسات الحكومية

إذن تشير الحكومة الإلكترونية إلى استخدامات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ، مثل شبكات ربط الاتصالات الخارجية ، مواقع الإنترنت ، ونظم الحاسب الآلي بوساطة الجهات الحكومية

كمـا أن تبني مفهوم الحكومة الإلكترونية يؤثر على العلاقة الأساسـية بين الجهات الحكومية من جانب، والمواطنين وأعمالهم من جانب آخر من خلال مايأتي :

١- إعادة ابتكار الأعمال والإجراءات الحكومية بوساطة طرق جديدة لإدماج المعلومات وتكاملهـا وإمكانيـة الوصول إليها عن طريق موقع إلكتروني والمشـاركة في عملية الشراء وأداء الخدمة.

٢- إعادة ابتكار الأعمال والإجراءات الحكومية بوساطة طرق جديدة لإدماج المعلومات وتكاملهـا وإمكانيـة الوصول إليها عن طريق موقع إلكتروني والمشـاركة في عملية الشراء وأداء الخدمة.

إذن الحكومة الإلكترونية ليست هي الحل:

لفشل الجهود التنموية	أو لليروقراطية المتفشية	أو للروتين الحكومي	أو للحكومةغير الديمقراطية

لكـن الحكومة الالكترونية في الواقع ، التي تسـهل وتسـرع مـن ضرورة معالجة العوائق والصعوبات المحدودة أو الواسعة النطاق.

مثـل النظـم التعليمية السـيئة، ارتفاع أسـعار الاتصالات ، شـبكات المواصلات غيـر الموثوق بها ،الاسـتثمارات الضعيفة وبالأخص للنشـاطات الاقتصادية الصغيرة والمتوسطة.

كمـا تفرض الحكومة الإلكترونية تحديات ومتطلبـات جديدة لها علاقة باتفاقيات الملكية الفكرية، الخصوصية ، الضمان ، شـبكات المعلومات ، والمنافسـة مع شركات خدمات الإنترنت.

ثانياً : الحاجة للحكومة الإلكترونية

تنبع الحاجة للحكومة الإلكترونية من :

١- بعض ما يواجهه المواطنون وأصحاب الأعمال من حاجتهم لإنجاز أعمالهم.

٢- بعض الأعمال في الدوائر الحكومية .

٣- استخدام الكثير من الأوراق والمستندات .
٤- الحاجة لتعبئة نماذج بيانات موجودة في أنظمة المعلومات الحكومية فعلا .
٥- صعوبة تحديد الدائرة الحكومية المسؤولة عن بعض الأعمال أحياناً .
٦- الحاجة لمراجعة عدة دوائر حكومية لإنجاز عمل واحد .
٧- طول فترات الانتظار في الصفوف أو مواعيد المراجعة .
٨- وغيرها .

وبالتالي يمكن استخدام تقنية المعلومات والاتصالات في الأجهزة الحكومية :

- لدعم الأعمال الحكومية .
- والتفاعل مع المواطنين.
- وتقديم الخدمات الحكومية

ثالثاً : أهداف الحكومة الإلكترونية

بناء على ما سبق يمكننا القول إن الحكومة الإلكترونية في سورية يجب أن تسعى إلى تحقيق أربعة أهداف رئيسة :

١- تجميع كافة الأنشطة والخدمات الحكومية بأنواعها المختلفة في موضع واحد هو موقع الحكومة الرسمي على شبكة الإنترنت (بوابة الحكومة الالكترونية) ، في نشاط أشبه ما يكون بفكرة مجمعات الدوائر الحكومية .
٢- تحقيق حالة اتصال دائم بالجمهور (٢٤ ساعة في اليوم ٧ أيام في الأسبوع ٣٦٥ يوم في السنة) ، مع القدرة على تأمين كافة الاحتياجات الاستعلامية والخدمية للمواطن .
٣- تحقيق سرعة وفعالية الربط والتنسيق والأداء والإنجاز بين دوائر الحكومة ذاتها ولكل منها على حدة .
٤- تحقيق وفرة في الإنفاق في كافة العناصر بما فيها تحقيق عوائد أفضل من الأنشطة الحكومية ذوات المحتوى التجاري.

وهناك أهداف فرعية لإنشاء الحكومة الإلكترونية منها :

١- تقليل التزاحم وعدد مرات التردد للمواطن على الأجهزة الحكومية.
٢- تحقيق مبادئ العدالة والشفافية الكاملة للحصول على الخدمات من خلال النشر الإلكتروني.
٣- التركيز على عامل الجودة في تقديم الخدمات.
٤- تقليل زمن الحصول على الخدمة.

٥. نشر عملية استخدام شبكة الإنترنت بين المواطنين.
٦. تطوير نمط الحكومة في سرعة إنهاء المعاملات.
٧. إمكانية تقديم الخدمات الحكومية والمعلومات لمدة ٢٤ ساعة في سبعة أيام/أسبوع.
٨. تقديم خدمات حكومية متميزة لرجال الأعمال.

والحقيقة علمياً يضم مشروع الحكومة الالكترونية أربعة نماذج أساسية للخدمة : طبيعة الخدمات متعددة لكن بصورة رئيسة فهي تنقسم إلى النماذج الآتية:

الأول(G2G) وهـو نمـوذج التعامل الإلكتروني داخل أجهـزة الدولة) . الخدمات المتبادلة بين مؤسسات الحكومة بين بعضها).

والثانـي (G2B) للتعامـل الإلكتروني مع القطاع التجاري . الخدمات المتبادلة بين الحكومةوالأعمال «الشركات والمؤسسات التجارية».

أما النموذج الثالث(G2C) فهو للتعامل الإلكتروني مع الأفراد. (الخدمات المتبادلة بين الحكومةُوالمواطن)

والرابع (G2E). الخدمات المتبادلة بين الحكومة وموظفيها ويعرف بـ (G2E).

هذه النماذج تمكن المواطنين والقطاع الصناعي والتجاري من الوصول إلى المواقع الإلكترونية لمشروع الحكومة الالكترونية بوساطة «متصفح» مدعوم باللغة العربية من أي مكان في العالم.

ولقد أدى ظهور المجتمعات الالكترونية، مثل ظهور الشركات الإلكترونية والتجارة الإلكترونية ، التي حققت مكاسب كبيرة في القطاع الخاص.

وأما في مجال تقديم الخدمات الإلكترونية تستطيع الوسائل المتعددة للمعرفة إعطاء الكثيـر من الفعالية في تقديم الخدمات والبحث عنها والوصول إليها ومن الممكن أن يتم تقديم الخدمات معرفياً من خلال :

١) معرفة طبيعة الإجراءات المرتبطة بالخدمة، وفائدتها وأهدافها.
٢) معرفة من المسؤول عن تقديم هذه الخدمة والوقت اللازم للحصول عليها؟.
٣) معرفة موقع تقديم الخدمات الالكترونية والوثائق المطلوبة من المواطن.
٤) معرفة الرسوم الواجبة على المواطن لتقديم هذه الخدمات إليه.

رابعاً تحديات الحكومة الالكترونية السورية :

الواقـع تواجه الحكومـة الالكترونية السـورية تحديات اجتماعيـة وتحديات أمنية وتحديات تقنية وتحديات إجرائية ونظامية وسنشير اليها باختصار :

أولاً : تحديات اجتماعية

تشمل التحديات الاجتماعية النقاط الاتية :

١) الأمية المعلوماتية لدى المواطن

٢) عدم القدرة على الافادة من تطبيقات تكنولوجيا المعلومات والاتصالات

٣) عدم توافر الموظفين ذوي المهارات

٤) عدم القدرة على الارتقاء بمستوى التقنية في المجتمع

ثانياً : تحديات أمنية

- تتمثل التحديات الأمنية بالاتي :

١- عدم توافر الثقة في التعاملات الإلكترونية

٢- عدم وجود جهات متخصصة في أمن المعلومات

ثالثاً :تحديات تقنية :

يبين الشكل الاتي التحديات التقنية للحكومة الإلكترونية :

رابعاً : التحديات الإجرائية والتنظيمية

١) عدم وجود معايير وآليات واضحة لشراء معدات تقنيةالمعلومات، والبرمجيات.

٢) غياب القوانين المنظمة للتعاملات الإلكترونية

٣) السياسة الداخلية لبعض المؤسسات تعرقل كل الجهود الرامية إلى تحسين تقنية المعلومات.

٤) البيروقراطية (القوانين والنظم واللوائح غير متماشية مع التوجه نحو تحقيق هدف الحكومة الإلكترونية)

إذن يتطلب مشروع الحكومة الالكترونية في سورية العمل على تحقيق مايأتي :

١) تهيئة الجهات الحكومية داخلياً وخارجياً للتحول الإلكتروني.

٢) رفع كفاءة الجهاز الحكومي عن طريق أتمتةنظم العمل في الحكومة.

٣) توفير بعض الخدمات التي تهم قطاعاً كبيراً من الجمهور والمستثمرين على شبكة الإنترنت أو على خط الهاتف أو على الجوال.

٤) إتاحة معلومة دقيقة ومحدثة لمتخذي القرار والمستثمر.

ويتم ذلك من خلال :

- تمكين ترابط الجهات الحكومية إلكترونياً.
- تسهيل تبادل البيانات بين الجهات الحكومية إلكترونياً.

- تسهيل تنفيذ التعاملات بين الجهات الحكومية إلكترونياً.
- ولابد قبل الانتقال إلى العالم الرقمي من إعداد استراتيجية تنطلق من دراسة الواقع القائم ومشكلاته (تشخيص الواقع)لاعتماد استراتيجية واضحة وحكيمة في بناء الحكومة الإلكترونية..
- استراتيجية تنطلق من دراسة الواقع القائم ومشكلاته المتعددة ، حتى لا يؤدى هذا الانتقال في المقابل إلى انتقال عيوب الواقع الحالي إلى البيئة الإلكترونية

خامساً : الإجراءات المسبقة لبناء الحكومة الإلكترونية

١) القضاء على التعقيدات الزائدة والكم المبالغ فيه من الإجراءات.
٢) تسهيل الهياكل التنظيمية والاعتماد على الهياكل المتنوعة بديلاً عن الهرمية.
٣) تحقيق اللامركزية.
٤) تطبيق الحكومة الإلكترونية تدريجياً على بعض الخدمات الحكومية.
٥) وضع بناء تنظيمي أوهرمي للخدمات التي تقدم للجمهور من حيث أهميتها ، والبدء في الإجراءات التي تكون لها الأولوية في التطبيق.

- أما الخدمات الحكومية التي لا تتطلب إجراءات معقدة

فهذه يمكن تقديمها في الشكل التقليدي إلى أن يتم تقديمها للمستخدمين إلكترونياً.
إذاً نحتاج لوجود إدارة الكترونية فعالة تعمل على إدارة الأجهزة الحكومية لتحقيق أهداف الحكومة الالكترونية .

سادساً :عوامل نجاح مشروع الحكومة الإلكترونية:

- **دعم القيادة السياسية**
- **اقتناع الجهات الحكومية بضرورة استخدام تكنولوجيا المعلومات في معظم معاملاتها.**
- **تبسيط إجراءات إنجاز الخدمات الحكومية.**
- **مساهمة القطاع الخاص.**
- **توفر كوادر مؤهلة على استخدام الحاسبات ونظم المعلومات.**
- **تحسين شبكة الاتصالات**
- **التوعية المجتمعية المستمرة .**

والســؤال الأخير الأن بعد هذا العرض ما الإدارة الإلكترونية المفترض تطبيقها في هذه الحكومة ؟

الإدارة الإلكترونية : بلا ورق و بلا مكان و بلا زمان و بلا تنظيمات جامدة .

وهذه النقاط تمثل عناصر الإدارة الالكترونية .

عناصر الإدارة الإلكترونية

١- **إدارة بلا مكان :** تتمثل في الهاتف المحمول والهاتف الدولي الجديد (التليديسك) والمؤتمرات الإليكترونية والعمل عن بعد من خلال المؤسسات التخيلية.

٢-**إدارة بلا أوراق :** تتكون من الأرشيف الإلكتروني والبريد الإلكتروني والأدلــة والمفكرات الإلكترونية والرســائل الصوتية ونظم تطبيقات المتابعة الآلية.

٣- **إدارة بلا تنظيمات جامدة :** تعمل من خلال المؤسســات الشــبكية والمؤسســات الذكية التي تعتمد علي صناعة المعرفة.

٤- **إدارة بــلا زمان :** تســتمر ٢٤ ســاعة متواصلة ففكرة الليــل والنهار والصيف والشتاء هي أفكار لم يعد لها مكان في العالم الجديد

وبالتالي تنطلق توجهات الإدارة الإلكترونية للحكومة من :

إذن الإدارة الإلكترونية تشير لعدد من الحقائق :

١) تقوم بتهيئة فرص ميسرة لتقديم الخدمات لطالبيها من خلال الحاسب الآلي .

٢) تعمـل على تخفيف حدة المشـكلات الناجمـة عن تعامل طالـب الخدمة مع موظف محدود الخبرة أو غير معتدل المزاج .

٣) تعد الإدارة الإلكترونية وسيلة لرفع أداء وكفاءة الحكومة وليست بديلاً أو إنهاء لدورها .

وهناك العديد من الأنظمة الإلكترونية اللازمة للإدارة الإلكترونية منها:

١- أنظمة المتابعة الفورية وأنظمة الشراء الإلكتروني .

٢- أنظمة الخدمة المتكاملة

٣- النظم غير التقليدية الأخرى وتشمل :

- نظم التعامل مع البيانات كبيرة الحجم - النظم الخبيرة والذكية
- نظم تطوير العملية الإنتاجية - نظم تطوير عمليات التسويق والتوزيع وتشمل : نقاط البيع الإلكتروني، نقطة التجارة الإلكترونية، نظم إدارة علاقة العملاء.
- نظم تطوير العلاقة مع مؤسسات التمويل ومنها:

- البنوك الدولية - البورصات العالمية - بورصات السلع - مواصفات المدير الإلكتروني

٤- نظام الذاكرة المؤسسية:

يقوم هذا النظام بربط العاملين الموجودين بالمؤسسـة ببعضهم ، بغض النظر عن موقعهم الجغرافي بما يمكنهم من الإطلاع علي أنشطة الإدارات الأخرى .

أخيراًيمكـن القول بأنه لا يخفى علـى الجميع مدى أهمية تنفيذ التعاملات الحكومية بشـكل إلكترونـي في سـورية وخاصة في ظل الازمـة ؛ لما في ذلك من تيسـير تقديم الخدمات للمستفيدين سواء كانوا أفراداً أو مؤسسات حكومية أو خاصة.

ولقد كرسـت أغلب الحكومات والدول جهودها في سبيل تنفيذ وإطلاق مشروعات التعاملات الإلكترونية الحكومية (أو ما يسمى بـ «الحكومة الإلكترونية») ومنها سورية لتحقيق العديد من المزايا والمنافع.

وهذه الفوائد ليست حكراً على المستفيد أو طالب الخدمة فقط، بل تمتد إلى الجهات الحكومية التي تقدم هذه الخدمة.

المراجع :

- د. عادل حزحوش المغرقي وأخرون، الادارة الالكترونية،مصر، ٢٠٠٧ .
- د محمد الصيرفي،التجارة الالكترونية،الاسكندرية، ٢٠٠٨ .
- عباس بدران، الحكومة الالكترونية،دار فارس، الاردن، ٢٠٠٤ .
- ديفيدأسبورنوبيتربلاستريك- كتب المدير ورجل الاعمال- دار شعاع –مصر -١٩٩٧ .